أرنالدور أندريداسون
Arnaldur Indridason

صَقيعُ المَوْت

HARÐSKAFI

رواية

ثقافة THAQAFA
للنشر والتوزيع ذ.م.م.
Publishing & Distribution L.L.C.

صَقيعُ المَوْت

HARÐSKAFI

رواية

أرنالدور أندريداسون

Arnaldur Indriðason

ثقافة
THAQAFA
للنشر والتوزيع ذ.م.م
Publishing & Distribution L.L.C

بسم الله الرحمن الرحيم

يتضمن هذا الكتاب ترجمة رواية
Harðskafi
تأليف Arnaldur Indriðason
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر Forlagid Publishing
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Title of the original Icelandic edition: **Harðskafi**
Published by agreement with Forlagid Publishing, www.forlagid.is
Copyright © by Arnaldur Indriðason, 2007
All rights reserved
Arabic Copyright © 2015 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L
This books has been published with a financial support from

MIÐSTÖÐ ÍSLENSKRA BÓKMENNTA
ICELANDIC LITERATURE CENTER

الطبعة الأولى
1436 هـ - 2015 م

ISBN: 978-614-02-2528-2

جميع الحقوق محفوظة للناشر

ثقافة للنشر والتوزيع ذ.م.م
THAQAFA Publishing & Distribution L.L.C.

أبوظبي هاتف: (+971-2) 6766700 فاكس: (+971-2) 6766972
دبي هاتف: (+971-4) 2651623 فاكس: (+971-4) 2653661
بيروت هاتف: (+961-1) 786233 فاكس: (+961-1) 786230

إن دار ثقافة للنشر والتوزيع غير مسؤولة عن آراء وأفكار المؤلف. وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف وليس بالضرورة أن تعبر عن آراء الدار.

بالكاد كانت ماريا منتبهةً لما يجري خلال الجنازة. كانت تجلس بخدَرٍ على المقعد الأمامي الطويل، ممسكةً بيد بالدفين، وواعيةً بصعوبة لما حولها أو لمراسم الدفن. خطاب الكاهنة، وحضور المعزّين، وترتيل الجوقة الكنسية الصغيرة، كل ذلك اندمج على نحو مشوَّش في لازمة حزينة وحيدة. كانت الكاهنة قد زارتهم من قبل لتسجيل بعض الملاحظات، ولهذا السبب كانت ماريا تعرف مسبقاً محتوى خطابها الذي تركَّزَ في معظمه على حياة أم ماريا الأكاديمية، والشَّجاعة التي أظهرتها في محاربة المرض المخيف، والدائرة الواسعة من الأصدقاء الذين اكتسبتهم خلال حياتها، وماريا نفسها؛ ابنتها الوحيدة التي سارت إلى حد على خطى والدتها. ذكرت الكاهنة تميُّز ليونورا في مجال تخصصها وحرصها الشديد على رعاية صداقاتها؛ كما يدل على ذلك الحشد المتواجد في ذلك اليوم الخريفي البائس، وكان جلُّه من زملائها الأكاديميين. كانت ليونورا تَذْكُر لماريا بين الحين والآخر كم هو مجزٍ انتماء المرء لشريحة المثقفين. وكانت ماريا حينها تشعر بوجود عجرفة ضمنية في كلمات أمها، إلا أنها كانت تختار تجاهلها.

تذكَّرت الألوان الخريفية في المقبرة، والبرك المتجمِّدة على الطريق المفروش بالحصى والمفضي إلى القبر، وطقطقة الغشاء الجليدي الرقيق وهو يتكسَّر تحت أقدام حَمَلة النعش. وتذكَّرت النسيم البارد ورَسْم رمز النصارى الديني فوق تابوت أمها. لقد تخيَّلت ماريا نفسها في هذا الوضع لمرات لا تُحصَى من قبل؛ منذ أن أصبح واضحاً لديها أن المرض سيفتك بأمها، وها هو ذاك قد حصل. حدَّقتْ في النعش الراقد في القبر، وتَلَتْ صلاة ذهنية قصيرة قبل أن ترسم رمز النصارى الديني بيدها الممدودة، ثم وقفت بلا حراك بجانب القبر إلى أن قادها بالدفين بعيداً عنه.

تذكَّرت الناس يأتون إليها في صالة الاستقبال لاحقاً لتقديم العزاء لها. عرض بعضهم عليها المساعدة، سائلين إن كان هناك أي شيء يمكنهم فعله من أجلها.

لم يرجع ذهن ماريا إلى البحيرة إلى أن عاد الهدوء مجدداً، وتُركت وحدها مع أفكارها في وقت متأخر من تلك الليلة. لم يخطر في بالها قبل ذلك الحين – بعد انتهاء كل شيء، وبينما كانت تفكِّر في ما جرى في ذلك اليوم المنهك - أن لا أحد من عائلة والدها قد أتى إلى الجنازة.

1

استقبل هاتف الطوارئ اتصالاً من هاتف خلوي بعد وقت قصير من منتصف الليل. كان صوتاً نسائياً مضطرباً يقول باكياً:

«إنها... ماريا. لقد قتلت نفسها... أنا... إنه أمر فظيع... فظيع!».

«ما اسمك من فضلك؟»

«كا-كارين».

سألها عامل مقسم الطوارئ: «من أي مكان تتصلين؟».

«أنا عند... إنه منزلها المخصص للعطل».

«أين؟ أين يقع؟».

«... عند بحيرة ثينغفالافاتن. في... في منزلها المخصص لقضاء العطل. أسرعوا من فضلكم... أنا... أنا سأكون هنا...»

اعتقدت كارين أنها لن تتمكن من إيجاد المنزل، فقد مضى وقت طويل – ما يقارب من أربع سنوات - على زيارتها الأخيرة له. ورغم أن ماريا أعطتها توجيهات مفصَّلة كيلا تتوه، إلا أن جزءاً من هذه التوجيهات لم يعلق في ذهنها لافتراضها بأنها ستتذكرالطريق.

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة مساءً عندما غادرت ريكيافيك، وكان الظلام دامساً آنذاك. قادت سيارتها عبر قفار موسفيلشيدي حيث كانت حركة المرور قليلة، والتي اقتصرت على المصابيح الأمامية التي كانت تعبرها من الجهة المقابلة في طريقها نحو المدينة، وسيارة وحيدة أخرى كانت تتجه شرقاً، تعلَّقت بمصابيحها الحمراء الخلفية، ممتنةً للصحبة. لم تكن تحب القيادة وحيدة في الظلمة، وكانت تود الانطلاق في وقت أبكر لو لم يحدث ما يعرقلها، فهي كانت تعمل في قسم العلاقات العامة في بنك كبير، وقد بدا كما لو أن الاجتماعات والاتصالات الهاتفية لن تهدأ أبداً.

كانت كارين مدركةً لوجود جبل جريمانسفيل على يمينها، رغم أنها لم تكن قادرة على رؤيته، وسكالافيل على يسارها. تجاوزت التحويلة المؤدية إلى فينداشليد، حيث أمضت ذات مرة عطلة صيفية لمدة أسبوعين عندما كانت طفلة. تبعت المصابيح الخلفية بسرعة مريحة، إلى أن انحرفت وسارت عبر منطقة كيرلينغارهراون البركانية المتحجرة، وهناك افترقت السيارتان. أسرعت المصابيح الحمراء ثم اختفت في الظلمة. فتساءلت إن كانت تلك السيارة متجهةً نحو الممر الجبلي عند أوكساهريجير ومن ثم شمالاً عبر طريق جبل

كالديدالر، فهي نفسها سلكت ذلك الطريق البديع مرات كثيرة. عادت إلى ذهنها ذكرى يوم صيفي جميل أمضته ذات مرة بجوار بحيرة ساندكلوفتافاتن.

انعطفت كارين يميناً واتجهت نحو عتمة حديقة ثينغفيلر الوطنية. وجدت صعوبة في تمييز نقاط العلّام الطبيعية في الظلمة. هل كان يتوجَّب عليها الانعطاف قبل الآن؟ هل كان هذا هو المنعطف الصحيح المفضي إلى البحيرة؟ أم المنعطف التالي؟ هل ابتعدت كثيراً؟

أخطأت الطريق مرتين واضطرت للعودة مجدداً. كان مساء يوم الخميس وكانت معظم المنازل فارغة. لقد جلبت معها مؤونة من الطعام ومادة للقراءة، وكانت ماريا قد أخبرتها بأنها ركَّبت جهاز تلفزيون في المنزل مؤخراً. لكن اهتمام كارين الرئيسي كان منصبّاً على محاولة النوم، على الحصول على قسط من الراحة. كان البنك أشبه بمستشفى للمجانين بعد محاولة السيطرة الفاشلة التي جرت قبل فترة وجيزة، وكانت كارين قد وصلت إلى النقطة التي لم يعد بإمكانها فيها فهم الصراع الداخلي بين الفئات المختلفة ضمن المساهمين الأساسيين في البنك. كانت البيانات الصحفية تصدر كل ساعتين، ولزيادة الأمور سوءاً، رشح أن مبلغاً قدره مائة مليون كرونور وُعد بدفعه كتعويض لأحد شركاء البنك، وهو شخص كانت إحدى الفئات المساهمة تريد طرده. لقد نجح مجلس الإدارة في إثارة غضب شعبي، وكانت مهمة كارين تتمثل في تخفيف التوتر. وبعد مضي عدة أسابيع على هذا الحال، ومع نفاذ قدرة كارين على التحمُّل، خطر لها الهرب من المدينة. وبما أن ماريا كانت قد عرضت عليها مراراً إعارتها المنزل لعدة أيام، قررت كارين الاتصال بها، فأجابتها ماريا على الفور: «بالتأكيد».

شقت ماريا طريقها ببطء عبر طريق بدائي مفروش بنباتات قصيرة إلى أن أضاءت مصابيحُ سيارتها الأمامية المنزلَ الواقعَ بجانب الماء. لقد أعطتها ماريا مفتاحاً وأخبرتها أين تحتفظ بآخر إضافي داخل المنزل.

كانت متلهفة للاستيقاظ صباح اليوم التالي وسط الألوان الخريفية لحديقة ثينغفيلر الوطنية، التي كانت تستقبل في كل خريف أعداداً كبيرةً من الناس، لأن أماكن قليلة في البلد يمكنها التباهي بمثل ذلك العرض اللوني الزاهي كذاك المكان الواقع بجوار البحيرة حيث تنوُّعات اللونين البرتقالي والأحمر الصدئ للأوراق الساقطة تمتد على مد النظر.

نقلت أمتعتها من السيارة إلى التراس بجانب الباب، ثم وضعت

المفتاح في القفل وفتحت الباب وتلمَّست بيدها بحثاً عن مفتاح الإنارة. أضاء النورُ الممرَّ المؤدي إلى المطبخ. أدخلت حقيبتها الصغيرة ووضعتها في غرفة النوم الرئيسية. دُهشت لأن السرير لم يكن مرتَّباً، فتلك ليست من عادات ماريا. كما وجدت منشفة ملقية على أرض المرحاض. وعندما أشعلت ضوء المطبخ، أصبحت تشعر بحضور غريب. رغم أنها لم تكن خائفة من الظلام، إلا أن شعوراً مفاجئاً بعدم الارتياح تَملَّكها. كانت العتمة تخيِّم على غرفة الجلوس، التي كانت تتميز في ضوء النهار بإطلالة رائعة على البحيرة من خلال نوافذها.

أشعلت كارين ضوء غرفة الجلوس.

كانت هناك أربعة عوارض خشبية في السقف، تتدلى من واحدة منها جثة تدير ظهرها إلى كارين.

قذفتها الصدمة بقوة إلى الخلف فاصطدم رأسها بالجدار الخشبي. كانت الجثة معلَّقة على العارضة بواسطة حبل أزرق نحيل منعكس في النافذة العاتمة لغرفة الجلوس. لم تعرف كم مضى من الوقت قبل أن تتجرأ على الاقتراب على مهل من الجثة. لقد تحوَّل موقع البحيرة الهادئ في لحظة واحدة إلى موقع لقصة مرعبة لن تنسى تفاصيلها، التي حُفرت حفراً في ذاكرتها، ما بقيت على قيد الحياة. كرسيُّ المطبخ، الموجودُ في غير مكانه في غرفة الجلوس بسيطةِ الأثاث، مستلقٍ على جانبه تحت الجثة؛ زرقة الحبل؛ الانعكاس في النافذة؛ ظلمة حديقة ثينغفيلر؛ الجثة البشرية الساكنة المعلَّقة من العارضة.

اقتربت كارين بحذر ونظرت إلى الوجه الأزرق المتورِّم فتبيَّن لها أن شكَّها الرهيب كان في محلِّه. كانت صديقتها ماريا.

2

بدا كما لو أن فترة قصيرة على نحو غير عادي قد انقضت بين اتصال كارين ووصول المسعفين برفقة طبيب وبعض عناصر شرطة من بلدة سيلفوس المجاورة. كان قسم التحقيق الجنائي، الموكل بالتحقيق في القضية، يعرف فقط أن المرأة التي انتحرت كانت من ريكيافيك، وتعيش في ضاحية غرافارفوغر، ومتزوجة ولكن بدون أولاد.

كان المنزل يعج بأشخاص يتحدثون بأصوات منخفضة. كانوا يقفون في مختلف أرجاء المنزل مثل غرباء مُربَكين.

قال محقق شاب: «هل أنتِ التي اتصلت؟»

كانت المرأة التي وجدت الجثة جالسةً في المطبخ تحدق في الأرض بحزن.

«أجل، اسمي كارين».

«يمكننا استدعاء استشاري صدمات إذا-»

«لا، أعتقد... أنا بخير».

«هل كنت تعرفينها جيداً؟»

«أنا أعرف ماريا منذ أن كنا طفلتين. لقد أعارتني المنزل. كنت سأقضي عطلة نهاية الأسبوع هنا».

سألها المحقق: «ألم تري سيارتها خلف المنزل؟»

«لا. لم أكن أعتقد بوجود أحد هنا. ثم لاحظت أن السرير لم يكن مرتَّباً وعندما دخلت إلى غرفة الجلوس... لم أرَ شيئاً كهذا أبداً من قبل. يا إلهي، مسكينة ماريا! مسكينة!»

«متى تحدثت معها لآخر مرة؟»

«منذ بضع أيام فقط. عندما أعارتني المنزل».

«هل قالت إنها تنوي أن تكون هي نفسها هنا؟»

«لا. لم تذكر ذلك. قالت بالطبع إنها ستعيرني المنزل لبضع أيام. لم تكن هناك مشكلة».

«وهل كانت... في مزاج جيد؟»

«أجل، اعتقدتُ ذلك. بدت لي بأنها في حالتها الطبيعية عندما ذهبت كي آخذ المفتاح».

«كانت تعرف بأنك ستأتين إلى هنا».

«أجل. ماذا تعني؟»

قال المحقق: «كانت تعرف بأنك ستجدينها».

كان قد جذب كرسياً إلى مقربة من كارين عندما بدأ التحدث معها. فأمسكت بذراعه وهي تحدق فيه، ثم قالت: «هل تقصد...؟»

قال المحقق: «ربما كان يُراد لك أن تجدينها. هذا لا يعني أنني أعرف أي شيء حول ذلك».

«ولماذا كانت تريد ذلك؟»

«إنه مجرد تخمين».

«ولكن، هذا صحيح. كانت تعرف بأنني سأكون هنا خلال عطلة نهاية الأسبوع. كانت تعرف بأنني سآتي إلى هنا. متى... متى فَعَلَتْها؟»

«لم نُعطَ وقتاً دقيقاً للوفاة بعد، لكن الطبيب يعتقد بأنه لا يمكن أن يكون أبعد بكثير من مساء أمس. أي ربما منذ أربع وعشرين ساعة تقريباً».

أخفت كارين رأسها بين يديها.

«يا إلهي، إنه أمر غير... غير معقول نهائياً. لم يكن ينبغي علي أن أطلب استعارة المنزل. هل تحدثتم مع زوجها؟»

«الشرطة في طريقها لرؤيته الآن. إنهما يعيشان في غرافارفوغر، أليس كذلك؟»

«صحيح. كيف أمكنها فعل ذلك. كيف يمكن لأي شخص أن يفعل شيئاً كهذا؟»

أجابها المحقق وهو يؤمئ للطبيب بالمجيء: «من اليأس المطلق. العذاب الذهني. ألم تكوني تلاحظين أي شيء شبيه بذلك في حالتها؟»

«ماريا فقدت أمها منذ سنتين -بسبب السرطان. كانت صدمة فظيعة بالنسبة إليها».

قال المحقق: «فهمت».

ارتجفت شفتا كارين، فسألها المحقق إن كانت تريد من الطبيب فعل أي شيء لمساعدتها، فهزت رأسها قائلةً إنها بخير وتودُّ الذهاب إلى منزلها إذا كان مسموحاً لها فعل ذلك. لم تكن هناك أي مشكلة. كانوا سيتحدثون معها لاحقاً إذا دعت الضرورة.

رافقها المحقق إلى الشارع الفرعي المؤدي إلى المنزل ثم فتح باب السيارة لها.

وقال: «هل ستكونين بخير؟»

فأجابت: «أجل، أعتقد ذلك. شكراً لك».

راقبها المحقق بينما كانت تدير السيارة ثم تقودها مبتعدةً. وعندما عاد إلى الداخل، كانوا قد أنزلوا الجثة ووضعوها على الأرض، فركع بجانبها. كانت المرأة الميتة ترتدي قميصاً قصير الكمَّين وسروال جينز أزرق ولكن بدون جوربين. كانت نحيلة وذات وجه نحيف وشعر أسود قصير. لاحظ عدم وجود أي إشارة على حدوث صراع، لا على الجسد ولا في المنزل؛ باستثناء كرسي المطبخ المقلوب الذي استخدمته المرأة، حتماً، من أجل ربط الحبل حول العارضة. كان بالإمكان شراء الحبل الأزرق من أي محل لبيع الأدوات التي تُستخدَم في المهن المختلفة. لقد حفر شقاً عميقاً في رقبتها النحيلة.

قال المسؤول الطبي في المنطقة للمسعفين: «انقطاع الأوكسجين. من سوء حظها لم تُكسَر رقبتها. كان ذلك سيكون أسرع. لقد اختنقت عندما اشتدت الأنشوطة حول عنقها. وهذا يستغرق بعض الوقت. إنهم يسألون متى يمكننا أخذها من هنا».

سأله المحقق: «كم من الوقت يمكن أن يكون قد استغرق ذلك؟»

فأجاب: «دقيقتان -ربما أقل- قبل أن تفقد الوعي».

وقف المحقق ونظر حوله إلى أرجاء المنزل. مما استطاع رؤيته، كان منزل عطلات آيسلندياً عادياً جداً بطقم غرفة الجلوس الجلدي المؤلف من ثلاث قطع، ومائدة الطعام الأنيقة والمطبخ حديث التجهيز. كانت جدران غرفة الجلوس مغطاة بالكتب. اقترب من أحد أقسام الرفوف فلاحظ الجوانب الجلدية البنية لمجلدات يون أرناسون الخمسة «حكايات شعبية مجمَّعة». فقال في نفسه، قصص أشباح. وكانت بعض الرفوف الأخرى تحوي عناوين من الأدب الفرنسي وروايات آيسلندية، تتخللها قطع تزيينية صينية أو سيراميكية وصور مؤطَّرة، تتضمن ثلاث صور لامرأة واحدة في أعمار مختلفة، حسب تصوُّره. وكانت الجدران مزينة بمطبوعات غرافيكية فنية، ولوحة زيتية صغيرة، ورسومات بالألوان المائية.

توجَّه المحقق إلى ما افترض أنها غرفة النوم الرئيسية. لاحظ وجود شكل جسد محفور على أغطية الفراش، على أحد جانبي السرير. وكانت هناك كدسة من الكتب على طاولة السرير يعلوها مجلد شعري لديفيد ستيفانسون. وبجانب الكتب زجاجة عطر صغيرة.

لم يكن الدافع من وراء جولته في المنزل مجرد فضول، بل كان يبحث عن إشارات على وجود صراع، أي دليل يشير إلى أن المرأة لم تذهب إلى المطبخ، وتجلب الكرسي، وتضعه تحت العارضة، ثم تصعد عليه

وتلفَّ الحبل حول رقبتها طواعيةً. غير أن ما وجده هو إشارات على موت هادئ -رفيع المستوى إلى حد ما- على نحو فظيع.

قاطعه زميل من قسم التحقيق الجنائي في بلدة سيلفوس، قائلاً: «هل وجدت أي شيء؟»

«لا شيء. إنه انتحار. بوضوح وبساطة. ليس هناك إشارة إلى أي شيء آخر. لابد أنها قتلت نفسها».

«لا شك أن الأمر يبدو كذلك».

«ألا يجدر بي إنزال الحبل قبل مغادرتنا؟ لديها زوج، أليس كذلك؟»

«بلى، أَنزلْه من فضلك. لابد أنه سيأتي إلى هنا في وقت ما».

التقط المحقق الأنشوطة من الأرض وقلَّبها بين أصابعه. لقد رُبطت العقدة بشكل ينمُّ عن قلة خبرة إذ لم ينزلق الحبل بسلاسة عبر الأنشوطة. خطر له أنه كان يستطيع القيام بما هو أفضل ذلك، ولكن لم يكن منطقياً، ربما، توقُّع أنشوطة رفيعة المستوى من ربَّة منزل عادية من غرافارفوغر. من المؤكد أن المرأة لم تُجرِ دراسةً خاصةً حول الأسلوب وتستعد للانتحار بشكل تفصيلي. لربما كان الأمر نتيجة لحظة جنون وليس فعلاً ناجماً عن تخطيط دقيق مسبق.

فتح الباب الخلفي المفضي إلى مصطبة خشبية مؤلَّفة من درجتين فقط ما إن تنزلهما حتى تصبح على بُعْد مترَيْن من حافة البحيرة. كان الجو صقيعياً خلال الأيام القليلة السابقة، ما أدَّى إلى تَشكُّل غشاء رقيق من الجليد على سطح الماء القريب من الشاطئ, وفي بعض الأماكن، كان الغشاء ملتصقاً بالصخور، مثل لوح زجاجي لا تتجاوز سماكته سماكة ورقة، يدور من تحته الماء.

3

توجَّه إرلندر بسيارته نحو منزل متواضع منفصل عما حوله في ضاحية غرافارفوغر. كان يقبع لوحده في نهاية طريق مسدود من شارع تتوزع على جانبيه فيلات أنيقة معظمها متطابقة الشكل، مطلية إما بالأبيض أو الأزرق أو الأحمر، مع مرآب وسيارتين لكل منزل. كان الشارع حسن الإضاءة ونظيفاً، وكان واضحاً أن الحدائق تحظى بعناية ممتازة، فالأعشاب مقصوصة، والأشجار والأجمات مقلَّمة على نحو مرتَّب. كانت هناك أسيجة من الشجيرات المقلَّمة على شكل صناديق أينما نظرت. أما المنزل المقصود فقد كان يبدو أقدم من المباني الأخرى في الشارع، ومبنياً بطراز مختلف، بدون نوافذ ناتئة أو بيت زجاجي وبدون عمودين متفاخرين على جانبي الباب الأمامي. كان مبنىً أبيض ذا سقف مسطَّح ونافذة كبيرة في غرفة الجلوس تطل على كولافيوردر فيورد وجبل ماونت إسيا. وكان محاطاً بحديقة واسعة مُنارة بصورة جميلة ومُعتنى بها جيداً. كانت البوتينتيلا والسينكويفويل الألبية، إضافة إلى ورود الهانسا والثالوث، كلها قد ماتت مع مجيء الخريف.

كان الطقس بارداً على نحو غير عادي في تلك الأيام، مع ريح شمالية ودرجات حرارة بالغة القسوة. هبَّت نفحة ريح جافة طيَّرت أوراق الأشجار في الشارع إلى نهاية الطريق المسدود. ركن إرلندر سيارته ونظر إلى المنزل، ثم أخذ نَفَساً عميقاً قبل أن يدخل. كان ذلك هو الانتحار الثاني خلال أسبوع. لعل ذلك كان نتيجة حلول الخريف وقُرْب وصول الشتاء المظلم الطويل.

خطر له الاتصال بالرجل باسم شرطة ريكيافيك، كما جرت العادة، رغم أن شرطة سيلفوس كانت قد قررت مسبقاً نقلَ القضية إلى ريكيافيك من أجل «المعالجة المناسبة»، حسب تعبيرها. عندما وصل إرلندر ، كان الرجل جالساً في المطبخ برفقة قس أُرسل إليه من قبل الشرطة. فتح القس الباب وأرشده إلى المطبخ، معرِّفاً عن نفسه بأنه كاهن غرافارفوغر. كانت ماريا ترتاد دار عبادة مختلفة لكنهم لم يتمكَّنوا من الاتصال بكاهنها.

كان الزوج – وهو رجل قوية البنية يرتدي قميصاً أبيض وسروال جينز، ويُدعى بالدفين – يجلس بجمود بجانب مائدة المطبخ. قدَّم إرلندر نفسه وتصافحا، في حين بقي القس واقفاً بجانب باب المطبخ.

قال بالدفين: «عليَّ الذهاب إلى منزل العطل».

قال إرلندر: «أجل، لقد نُقلت الجث-» لكنه لم يكمل الجملة.

قال بالدفين: «قيل لي أن...»

فقاطعه إرلندر، قائلاً: «سنذهب معك إذا أحببت. مع أن الجثة نُقلت في الواقع إلى ريكيافيك. إلى المشرحة في بارونستيغر. اعتقدنا بأنك ستفضِّل ذلك على المستشفى في سيلفوس».

«شكراً لكم».

«سنحتاج إليك للتعرُّف عليها».

«طبيعي. بالتأكيد».

«هل كانت لوحدها في ثينغفيلر؟»

«أجل، لقد ذهبَتْ إلى هناك منذ يومين لشأن خاص وكان يُفترَض أن تعود الليلة. قالت بأنها قد تتأخر. لقد أعارت المنزل لصديقة من أجل قضاء عطلة نهاية الأسبوع. أو هذا ما قالته لي. أخبرتني بأنها قد تبقى وتنتظرها».

«كانت صديقتها كارين هي التي وجدتها. هل تعرفها؟»

«أجل».

«هل كنتَ هنا في المنزل؟»

«أجل».

«متى كانت آخر مرة تحدثت فيها مع زوجتك؟»

«مساء أمس. قبل أن تخلد للنوم. كان هاتفها الخلوي معها في منزل العطل».

«إذاً، لم تتصلْ بك مطلقاً اليوم؟»

«لا، أبداً».

«ألم تكن تتوقع حضورك إلى ثينغفيلر؟»

«لا. كنا سنقضي نهاية الأسبوع في البلدة».

«لكنها كانت تتوقع صديقتها هذا المساء؟»

«أجل، هذا ما فهمته. أخبرني القس أن ماريا ربما... فعلَتْها... مساء أمس».

«لم يعطنا أخصائي الأمراض وقت الوفاة بشكل أدق بعد».

سكتَ بالدفين.

قال إرلندر: «هل حاولَتْ ذلك من قبل؟»

«ذلك؟ الانتحار؟ لا، أبداً».

«هل كنت تعرف أنها كانت في حالة سيئة؟»

«كانت مكتئبة قليلاً وحزينة، ولكن ليس إلى هذه الدرجة... هذا...»
وانفجر في البكاء.
قال إرلندر: «أنا آسف»، ثم نهض واقفاً، «سنتحدث أكثر في مرة أخرى. هل تريد أن أستدعى شخصاً ما كي يأتي ويبقى معك؟ أو استشاري أحزان؟ يمكننا...»
«لا، إنني... شكراً لك».
في طريقه للخروج من المنزل مشى إرلندر عبر غرفة الجلوس، فرأى فيها مكتبة ضخمة. وكان قد لاحظ سيارة كبيرة أنيقة أمام المرآب عندما ركن سيارته بجانب المنزل.
فتساءل في نفسه: لماذا تموت وتترك منزلاً كهذا؟ هل حقاً ليس هناك شيء هنا لتعيش من أجله؟
كان يعلم أن هذه الأفكار عقيمة، فقد أثبتت التجربة أن الانتحار يمكن أن يكون غير متوقع وغير مرتبط بوضع المرء المالي. وغالباً ما يكون الفعل نفسه صادماً، ويُقْدم عليه أشخاص من جميع الأعمار: مراهقون ومتوسطو العمر ومسنّون، أناس قرروا ذات يوم إنهاء كل شيء. أحياناً يكون هناك تاريخ طويل من الاكتئاب والمحاولات الفاشلة. وفي حالات أخرى، يكون الفعل مفاجئاً تماماً للعائلة والأصدقاء. «لم تكن لدينا أي فكرة بأنه كان يشعر على هذا النحو». «لم تقل أي شيء على الإطلاق». «كيف كنا سنعرف؟» هكذا تُترَك العائلة محطَّمة، تملأ عيونها الأسئلة ويخنق أصواتها الرعب وعدم التصديق: «لماذا؟ هل كان ينبغي علي أن أتوقع حدوث ذلك؟ هل ثمة شيء كان يتوجّب علي فعله بصورة أفضل؟»
رافق الزوج إرلندر إلى المدخل.
«عرفت أنها فقدت أمها منذ مدة غير طويلة».
«أجل، هذا صحيح».
«هل تأثرت ماريا بشدة بوفاتها؟»
«لقد صدمها الأمر بقوة بالغة، ولكن هذا غير معقول كلياً. صحيح أنها كانت مكتئبة مؤخراً، لكنه يبقى غير قابل للفهم تماماً».
قال إيرلندر: «بالتأكيد».
قال بالدفين: «أتوقع أن الشرطة تتعامل مع الكثير من الحالات. من الانتحار، أقصد».
«للأسف، إنه يحدث دائماً».
«هل كانت... هل عانت؟»

أجاب إيرلندر بشكل قاطع: «لا. أبداً».

قال بالدفين: «أنا طبيب. لستَ مضطراً للكذب علي».

«إنني لا أكذب عليك».

«بقيت مكتئبة مدة طويلة بعض الشيء، لكنها لم تحاول الحصول على مساعدة. ربما كان ينبغي عليها أن تفعل ذلك. ربما كان ينبغي علي أن أكون أكثر إدراكاً لما كانت تمرُّ فيه. وجدَتْ ماريا صعوبة في تقبُّل خسارتها. كانت ليونورا في الخامسة والستين فقط؛ توفيت في عمر مبكر جداً. من السرطان. كانت ماريا تهتم بها ولست واثقاً بأنها تخطت موتها. كانت ابنة ليونورا الوحيدة».

«أتخيَّل أن هذا أمر يصعب تحمُّله».

«من الصعب ربما على المرء أن يضع نفسه مكانها».

قال إرلندر: «أجل، بالتأكيد. وماذا عن أبيها؟»

«إنه متوف».

رأى إرلندر تمثالاً للمسيح على الخزانة في المدخل وبجانبه نسخة من الإنجيل، فسأله: «هل كانت ماريا متديِّنة؟»

«أجل. كانت ترتاد الكنيسة. أكثر تديُّناً مني بكثير. وازداد تديُّنها مع تقدمها في العمر».

«أنت لست متديناً؟»

«لا أستطيع القول إنني كذلك». تنهَّد بالدفين بقوة، ثم أضاف: «إنه... إنه أمر غير معقول، عليك أن تعذرني، أنا...»

«أجل، أنا آسف. لقد انتهيت».

«سأذهب إلى بارونستيغر إذاً».

«جيد، سيحتاج أخصائي الأمراض التابع للشرطة إلى معاينتها. لابد من القيام بذلك في ظروف كهذه».

قال بالدفين: «أفهم ذلك».

وبعد لحظات أصبح المنزل خالياً. سار إرلندر خلف القس وبالدفين لمسافة قصيرة. وبينما كان ينعطف للخروج من الطريق الفرعي المؤدي إلى المنزل، نظر إلى مرآة الرؤية الخلفية واعتقد أنه رأى ستائر غرفة الجلوس تتحرك. ضغط على المكبح وحدَّق في المرآة، لكنه لم يتمكَّن من رؤية أي حركة في النافذة فرفع قدمه عن المكبح واستأنف طريقه معتقداً على نحو جازم بأنه كان مخطئاً.

أنهك الحزن ماريا خلال الأسابيع والأشهر الأولى التي تلت وفاة ليونورا. رفضت جميع الزيارات وتوقفت عن تلقي المكالمات الهاتفية. أخذ بالدفين إجازة لمدة أسبوعين من العمل لكنه كلما أراد فعل المزيد لها، كلما ازداد إصرارها على البقاء لوحدها. جلب لها أدوية لمكافحة التعب والاكتئاب لكنها لم تتناولها. كان يعرف طبيباً نفسياً راغباً بمقابلتها، إلا أنها رفضت رؤيته. قالت إنها بحاجة لتخطي حزنها بنفسها، وإن ذلك يحتاج وقتاً وعليه أن يتحلى بالصبر. لقد فعلَتْ ذلك من قبل وستفعله مجدداً.

كانت ماريا معتادة على القلق والاكتئاب، وقلة الشهية وفقدان الوزن، ومشاعر الشلل الذهني الذي يستنزف طاقتها ويجعلها غير مبالية بأي شيء سوى عالم حزنها الخاص. لم تكن تسمح لأي إنسان بدخوله. لقد مرَّت في حالة مشابهة إثر وفاة والدها، لكن أمها كانت موجودة حينئذ لمساندتها ومدِّها بالقوة. كانت تحلم بوالدها بشكل مستمر خلال السنوات الأولى التي تلت وفاته والكثير من أحلامها تحوَّلت إلى كوابيس لم تتمكَّن من التخلص منها. كان يتجلَّى لها بصورة نابضة بالحياة لدرجة أنها كانت تعتقد أحياناً بأنه ما يزال حياً. كانت تشعر بوجوده أثناء صحوها، بل وتشم رائحة سيجاره. وفي بعض الأحيان، كانت تشعر كما لو أنه كان يقف بجانبها، يراقب كل حركة تقوم بها. ولأنها كانت ما تزال طفلة، فقد اعتقدت أنه كان يزورها من الجنة.

قالت أمها، وكانت امرأة عقلانية، إن التصوُّرات والأصوات والروائح رد فعل طبيعي على الحزن، جزء من التفاعل الذهني مع وفاة والدها. كانا مقرَّبيْن جداً و كانت وفاته صادمة لدرجة أن حواسها كانت تستحضر وجوده، أحياناً عبر صورته، وأحياناً أخرى مع رائحة مصاحبة له. أسمتْ ليونورا هذه الحالة بالعين الداخلية القادرة على نفخ الحياة في صور ابنتها الذهنية؛ لقد أصبحت الفتاة سريعة التأثر بعد الصدمة وباتت حواسها فائقة الحساسية وهشة بحيث كانت تخلق مشاعر غير طبيعية ستختفي مع الزمن.

«ماذا لو أنها لم تكن العين الداخلية، كما كنتِ تقولين دائماً؟ ماذا لو أن ما كنتُ آراه عندما مات أبي كان يقع على الحد الفاصل بين عالمين؟ ماذا لو أنه كان يريد أن يزورني؟ يريد أن يخبرني بأمر ما؟»

كانت ماريا جالسة على حافة سرير أمها. لقد ناقشا مسألة الموت بصراحة بعد أن أصبح جلياً أن ليونورا لن تتمكَّن من الإفلات من مصيرها.

قالت ليونورا: «لقد قرأت جميع الكتب التي أحضرتها لي حول الضوء

والنفق. قد يكون هناك شيء ما فيما يقوله الناس. حول النفق والخلود. الحياة الأبدية. سأكتشف ذلك بعد فترة ليست بطويلة».

قالت ماريا: «هناك الكثير من الروايات النابضة بالحياة حول أشخاص ماتوا ثم عادوا إلى الحياة. حول تجارب الوصول إلى حافة الموت. حول الحياة بعد الموت».

«لقد ناقشنا هذا الأمر كثيراً...»

«لماذا يجب ألا تكون صحيحة؟ بعضها على الأقل؟»

بعينين نصف مغمضتين نظرت ليونورا إلى ابنتها الجالسة بجانبها، المنهكة تماماً. كان تأثير مرضها على ابنتها يكاد يكون أشد سوءاً من تأثيره عليها. كانت فكرة اقتراب أمها من الموت غير قابلة للاحتمال بالنسبة لماريا. عندما سترحل ليونورا، ستصبح ماريا وحيدة في العالم.

«لا أصدقها لأنني عقلانية».

ثم صمتتا لمدة طويلة. كانت ماريا مطأطئة الرأس أما ليونورا فكانت تغفوا قليلاً ثم تصحوا وقد أنهكهتها معركتها -التي مضى على بدئها ثلاث سنوات- مع السرطان الذي اقترب، أخيراً، من إلحاق الهزيمة بها.

همست ليونورا بعينين نصف مفتوحتين: «سأعطيك إشارة».

«إشارة؟»

رسمت ليونورا ابتسامة متعبة، وقالت: «دعينا... نبسِّط الأمر».

سألتها ماريا: «ماذا؟»

«يجب أن يكون... يجب أن يكون شيئاً محسوساً. لا يمكن أن يكون حلماً ولا يمكن أن يكون شعوراً غامضاً معيناً».

«هل تتحدثين عن إعطائي إشارة من وراء القبر؟»

أومأت ليونورا برأسها دلالةً على الموافقة، وقالت: «لم لا؟ إذا كان ما وراء القبر هذا أي شيء غير اختلاق مخيلة. الحياة الآخرة».

«كيف؟»

بدت ليونورا وكأنها ستغفوا، ثم قالت: «تعرفين... كاتبي... المفضَّل».

«بروست».

«سيكون... سيكون... راقبي...»

أخذت ليونورا يد ابنتها وقالت بإنهاك: «بروست». ثم غطَّت في النوم أخيراً. وبحلول المساء دخلت ليونورا في غيبوبة. وبعد يومين، ماتت دون أن تستعيد وعيها.

بعد ثلاثة أشهر من جنازة ليونورا، استيقظت ماريا في منتصف الصباح وهي ترتجف. كانت وحيدة في المنزل لأن بالدفين كان يغادر إلى العمل في وقت مبكر من الصباح. نهضت من السرير شاعرةً بالضعف والإنهاك نتيجة الأحلام البشعة والإجهاد النفسي والوهن. كانت تهمُّ بالدخول إلى المطبخ عندما شعرت غريزياً بأنها لم تكن وحيدة في المنزل.

في البداية، تلفَّتت حولها بفزع، معتقدةً بأن لصاً اقتحم المنزل. صاحت إن كان هناك أحد في الداخل.

كانت واقفةً هناك دون حراك عندما اشتمت فجأة رائحة خفيفة لعطر أمها.

حدَّقت ماريا أمامها فرأت ليونورا واقفة بجانب المكتبة في غرفة الجلوس نصف المعتمة، تتحدث إليها. لكنها لم تتمكن من فهم الكلمات.

بقيت تحدق في أمها لفترة طويلة، غير متجرأة على التحرُّك، إلى أن اختفت ليونورا فجأة كما ظهرت.

4

أشعل إرلندر الضوء في المطبخ حال وصوله إلى شقته. كان هناك صوت جيتار إيقاع قوي آتٍ من الطابق العلوي، حيث انتقل إليه مؤخراً زوجان شابان كانا يبثّان موسيقا صاخبة في كل ليلة -صاخبة إلى درجة تصم الآذان- ويقيمان الحفلات في كل عطلة نهاية أسبوع. كانت أصوات أقدام زوّارهما تخبط على السلَّم صعوداً ونزولاً حتى ساعات الصباح الأولى، محدثةً في الغالب ضجيجاً فظيعاً. تلقى الزوجان شكاوى من سكان الطابق الذي يسكنان فيه ووعدا بتحسين سلوكهما لكنهما لم يفيا بوعدهما بعد. بالنسبة لإرلندر، لم يكن ما يسمعه الزوجان موسيقا حقيقية بقدر ما كان تكراراً متواصلاً لنفس الإيقاع الهادر، يتخلله عويل زاعق.

سمع نقراً على الباب.

عندما فتح الباب، قال ابنه سيندري سناير: «رأيت ضوءكمُناراً».

قال إرلندر: «ادخل. لقد عدت لتوّي من غرافارفوغر».

قال سيندري وهو يغلق الباب خلفه: «هل هناك شيء مثير للاهتمام؟»

«إنه دائماً مثير للاهتمام. قهوة؟ شيء آخر؟»

قال سيندري وهو يخرج علبة سجائر: «ماء فقط. أنا في إجازة. لمدة أسبوعين». نظر إلى السقف، مصغياً إلى موسيقا الروك الهادرة التي لم يعد إرلندر يلاحظها. «ما هذا الضجيج؟»

صاح إرلندر من المطبخ: «جيران جدد. هل اتصلَتْ إيفا ليند بك؟»

«ليس مؤخراً. تَشاجرَتْ مع أمي منذ عدة أيام».

قال إرلندر وهو يقترب من باب المطبخ: «شجار مع أمك؟ بشأن ماذا؟»

«بشأن أنت، مما تناهى إلى سمعي».

«من أجل ماذا يمكن أن يتشاجرا بشأني؟»

«تحدَّثْ معها».

«هل هي تعمل؟»

«أجل».

«على المخدرات؟»

«لا، لا أظن ذلك. لكنها ما تزال ترفض المجي معي إلى أي لقاء».

كان إرلندر يعرف بأن سيندري كان يحضر اجتماعات لمنظمة AA

(كحوليون مجهولون) وكان يجدها مفيدة. فعلى الرغم من صغر سنه، إلا أن سيندري كان يعاني من مشاكل جدية مع الكحول والمخدرات، لكنه تمكَّن بمفرده من قلب صفحة جديد واتخاذ الخطوات اللازمة للسيطرة على إدمانه. أما بالنسبة لأخته إيفا، فرغم أنها توقفت عن التعاطي مؤخراً، إلا أنها كانت ترفض التفكير في إعادة التأهيل والاجتماعات اعتقاداً منها بأنها كانت قادرة على الوقوف على قدميها دون مساعدة من أحد.

قال إرلندر: «ماذا كان يحدث في غرافارفوغر؟ حادثة ما؟»

قال إرلندر: «انتحار».

«هل هو جريمة، أم...؟»

«لا، الانتحار ليس جريمة، إلا بالنسبة للأحياء ربما».

قال إرلندر: «أعرف شخصاً قتل نفسه».

«حقاً؟»

«أجل، سيمي».

«من هو؟»

«كان على ما يرام. كنا نعمل معاً لصالح المجلس المحلي. شخص حلو المعشر للغاية، لم يقل كلمة واحدة. وبعد ذلك ذهب وشنق نفسه بكل بساطة. فعل ذلك في العمل. كان لدينا مستودع وقد شنق نفسه فيه. وجده المشرف وقطع الحبل وأنزله».

«هل تعرف لماذا فعل ذلك؟»

«لا. كان يعيش مع أمه. ذهبتُ معه مرةً لنشرب معاً. لم يكن قد لمس الكحول أبداً من قبل، فراح يتقيأ».

هز سيندري رأسه، وقال: «سيمي. شخص غريب».

كان يبدو كما لو أن ضجيج جيتار الإيقاع الهادر لن يهدأ أبداً.

نظر سيندري إلى السقف وقال: «ألن تفعل شيئاً ما بخصوص ذلك؟»

قال إرلندر: «هذان الشخصان لن يصغيا لأحد».

«هل تريدني أن أتحدث معهما؟»

«أنت؟»

«يمكنني أن أطلب منهما إيقاف هذا الهراء. إذا أحببت».

فكَّر إرلندر في الاقتراح، ثم قال: «يمكنك المحاولة بالتأكيد. لم أكبِّد نفسي عناء الصعود. بشأن ماذا قلت أنهما تشاجرتا، إيفا وأمك؟»

«لم أتدخَّل. هل كان هناك شيء غريب بخصوص عملية الانتحار هذه؟ في غرافارفوغر؟»

«لا، مجرد مأساة. من النوع الأسوأ. كان الزوج في المنزل في المدينة والزوجة قتلت نفسها في منزلهما المخصص للعطلات».

«ولم يكن يعرف شيئاً؟»

«لا».

بعد فترة وجيزة على مغادرة سيندري، أوقفت موسيقا الروك في الأعلى ضجيجها. نظر إرلندر إلى السقف ثم ذهب وفتح باب الشقة، وصاح لسيندري سناير لكنه كان قد ذهب.

بعد بضع أيام تلقّى إرلندر تقرير أخصائي الأمراض حول الجثة التي وُجدت في ثينغفيلر. لم يُظهر التقرير أي شيء غير عادي باستثناء الموت شنقاً: لا وجود لإصابات جسدية أو أجسام أجنبية (bodies foreign) في الدم. كانت ماريا تتمتع بصحة جيدة وخالية من الأمراض. لم تكن هناك أي تفسيرات بيولوجية لاختيارها وضع نهاية لحياتها.

عاد إرلندر لرؤية الزوج، بالدفين، كي يبلغه بالنتائج. كانت إلينبورغ برفقته من أجل تقديم المساندة المعنوية، مع أنها لم تكن راغبة بالذهاب في البداية، لأن طَبَقَها كان مليئاً بما يكفي، حسب تعبيرها. أما سيغوردر أولي فكان في إجازة مَرَضية، طريح الفراش في منزله لإصابته بالإنفلونزا. طرق إرلندر على الباب، ثم نظر إلى ساعته.

دعاهما بالدفين إلى غرفة الجلوس. كان قد أخذ إجازة من العمل لمدة غير محددة. بقيت أمه معه لبضع أيام ثم غادرت. وزاره بعض زملائه وأصدقائه في حين اكتفى بعضهم الآخر بإرسال برقيات تعزية. وحضَّر ترتيبات الجنازة بنفسه مدركاً بأن بعض الناس كانوا ينوون كتابة نعوات. لقد أخبر إرلندر وإلينبورغ بكل ذلك بينما كان يعدُّ القهوة. كان حزيناً ويقوم بكل شيء ببطء، لكنه في الوقت عينه بدا ممسكاً بزمام نفسه جيداً. شرح إرلندر نتائج التشريح، وأخبره بأن وفاة زوجته سُجِّلت كانتحار، ثم قدَّم تعازيه مجدداً. أما إلينبورغ فلم تتكلم إلا لماماً.

قال إرلندر: «من الأفضل أن يكون هناك شخص ما بجانبك في ظروف كهذه».

قال بالدفين: «أختي وأمي تعتنيان بي جيداً. ولكن من المفيد أيضاً أن تكون لوحدك في بعض الأحيان».

«بالفعل، صحيح. بالنسبة لبعض الأشخاص إنه العلاج الأمثل».

رمقته إلينبورغ بنظرة خاطفة. كان إرلندر يثمِّن الوحدة أكثر من أي

شيء آخر في الحياة. تساءلتْ ماذا كانت تفعل معه في ذلك المنزل. كل ما قاله هو أنه كان بحاجة لإيصال تقرير أخصائي الأمراض، وأن الأمر لن يستغرق طويلاً، فإذا به يدردش مع الرجل كما لو أنهما كانا صديقين قديمين.

قال بالدفين: «يُلقي المرء اللائمة على نفسه. أشعر كما لو أنه كان يتوجب علي فعل شيء ما. كما لو أنه كان بوسعي فعل شيء أفضل».

قال إرلندر: «هذا رد فعل طبيعي. نحن نصادفه كثيراً في عملنا. في العادة تكون العائلة قد فعلت كل شيء أو كل ما بوسعها تقريباً عند حدوث شيء كهذا».

«لم أتوقَّع حدوث ذلك. يمكنني أن أجزم لك بهذا. لم أُصدَم في حياتي قط كما صُدمت عندما سمعت ما فَعَلَتْه. لا يمكنك أن تتخيَّل ما الذي شعرت به. إنني معتاد على جميع صنوف الأشياء كطبيب، ولكن عندما... عندما يحدث شيء كهذا... لا أعتقد أن أحداً يمكن أن يكون مستعداً له».

بدا بالدفين بأنه يشعر بالحاجة للتحدث فأخبرهما بأنه وزوجته التقيا في الجامعة. كانت ماريا تدرس التاريخ واللغة الفرنسية. أما هو فقد اهتم بالتمثيل في المرحلة الثانوية وارتاد كلية المسرح لبعض الوقت قبل أن يقرر أخيراً تغيير المسار واختيار الطب.

قالت إلينبورغ: «هل كانت ماريا أكاديمية محترفة؟» كانت إلينبورغ نفسها حائزة على شهادة في الجيولوجيا لكنها لم تعمل في هذا المجال أبداً.

أجاب بالدفين: «أجل. كانت تعمل من المنزل. لدينا غرفة مخصصة للدراسة في القبو. كانت تُعلِّم قليلاً وتنفذ دراسات تاريخية لصالح معاهد ومؤسسات تجارية. وكانت تقوم ببحوثها الخاصة وتكتب مقالات».

قال إرلندر: «متى انتقلتما إلى غرافارفوغر؟»

قال بالدفين وهو ينظر حوله في غرفة الجلوس: «لقد عشنا في هذا المنزل دائماً. انتقلتُ إلى هنا معها وليونورا عندما كنت ما أزال طالباً. كانت ماريا وحيدةَ أبويها فورثت المنزل عند وفاة أمها. لقد بُني قبل وضع المخططات للمنطقة والبدء بالبناء هنا على نطاق واسع. ستلاحظ أن المنزل متراجع قليلاً عن بقية المنازل».

قالت إلينبورغ: «يبدو أقدم من البقية».

تابع بالدفين حديثه: «توفيت ليونورا هنا. في واحدة من غرف النوم. استغرق الأمر ثلاث سنوات من تشخيص إصابتها بالسرطان إلى حين وفاتها. لم تكن ترغب في الذهاب إلى المستشفى. كانت تريد أن تموت في المنزل.

اعتنت ماريا بها طوال تلك الفترة».

قال إرلندر: «لابد أن هذا كان قاسياً على زوجتك. أخبرتَني أنها كانت متديِّنة».

لاحظ إرلندر أن إلينبورغ تنظر إلى الساعة.

«أجل، كانت متدينة. كانت متمسِّكة بمعتقدات طفولتها. كانت وأمها تتحدثان كثيراً حول الدين بعد مرض ليونورا. كانت ليونورا منفتحة. لم تكن تخشى مناقشة مرضها وموتها. لابد أن هذا، باعتقادي، ساعدها كثيراً فيما يتعلق بالحزن. أعتقد أنها كانت مستسلمة للموت في النهاية. أو أنها كانت مستسلمة كما يمكن أن يكون أي شخص آخر في مثل ظرفها. أعرف ذلك من عملي. بالطبع، لا أحد يتقبَّل حقاً اضطراره للموت بهذه الطريقة، ولكن ربما من الممكن أن تموت وأنت تشعر بالتصالح مع ذاتك وعائلتك».

قال إرلندر: «هل تقول إن ابنتها كانت متقبِّلة للموت أيضاً؟»

فكَّر بالدفين قليلاً، ثم قال: «لا أعلم. أشك في أن يكون أي شخص يقوم بما قامت به متقبِّلاً حقاً».

«لكنها فكَّرت في الموت كثيراً».

قال بالدفين: «طوال الوقت، باعتقادي».

«ماذا عن والدها؟»

«لقد توفي منذ زمن طويل».

«أجل، لقد أخبرتني بذلك».

«لم أقابله أبداً. كانت طفلة صغيرة عندما حدث ذلك».

«كيف توفي؟»

«غرق بالقرب من منزلهم الصيفي. في ثينغفيلر. سقط من قارب صغير. من الواضح أن الطقس كان شديد البرودة، وكان مدخِّنا شرهاً ويعيش نمط حياة جلوسية فـ... غرق».

قالت إلينبورغ: «إنه لأمر مأساوي أن يفقد المرء والداً في ذلك العمر الغض».

قال بالدفين: «كانت ماريا هناك».

سأله إرلندر: «زوجتك؟»

«كانت في العاشرة فقط. كانت الصدمة عليها هائلة. لا أظن أنها تجاوزت يوماً هذا الحدث حقاً. ولهذا عندما أُصيبت أمها بالسرطان، كانت الصدمة مضاعفة».

قالت إلينبورغ: «كان العبء ثقيلاً عليها».

قال بالدفين وهو يطأطئ رأسه: «أجل، كان العبء عليها ثقيلاً».

5

بعد عدة أيام، كان إرلندر جالساً في مكتبه بصحبة فنجان من القهوة، يفكّر في ملف قديم لشخص مفقود، عندما أُبلغ أن شخصاً يسأل عنه في مكتب الاستقبال: امرأة تُدعى كارين. تذكَّر أن هذا هو اسم الصديقة التي وجدت جثة ماريا في ثينغفيلر، فنزل إلى قاعة الانتظار حيث وجد امرأةً منتظرةً ترتدي سترة جلدية بنية وسروال جينز، وتحت السترة كنزة بيضاء سميكة ذات قبَّة مطويَّة.

بعد تبادل التحية، قالت كارين: «أردت التحدث معك بشأن ماريا. أنت الشخص المسؤول عن القضية، أليس كذلك؟»

«بلى، لكنها ليست قضية، كانت-»

«هل يمكنني التحدث معك قليلاً؟»

«كيف كنتما تعرفان بعضكما، مرة أخرى؟»

«كنا صديقتي طفولة».

«أوه أجل، بالتأكيد».

قادها إرلندر إلى مكتبه حيث جلست على كرسي قبالته. لم تخلع السترة الجلدية رغم سخونة الغرفة.

قال إرلندر: «لم نجد شيئاً غير طبيعي، إذا كنت تبحثين عن معلومات من هذا النوع».

«لا أستطيع إخراجها من ذهني. إنني أراها أمامي طوال الوقت. لا يمكنك أن تتخيل كم كان مفاجئاً أن تفعلَ ما فَعَلَتْه. أن أراها على ذلك النحو. كانت معتادة على إخباري بكل شيء لكنها لم تتحدث أبداً عن أي شيء من هذا القبيل. كنا نثق في بعضنا. إذا كان هناك من يعرف ماريا، فهي أنا».

«وماذا؟ ألا تعتقدين أنها انتحرت؟»

«بالضبط».

«ماذا حدث إذن؟»

«لا أعرف -ولكن لا يمكنها أن تفعل ذلك أبداً».

«لم تقولين هذا؟»

«أنا متأكدة وحسب. أنا أعرفها وأنا متيقِّنة أنها لا يمكن أن تُقْدم على الانتحار».

«الانتحار يفاجئ الناس في العادة. إن حقيقة عدم إخبارك بأي شيء

لا يعني عدم إمكانية أن تكون قد قتلت نفسها. ليس هناك أي إشارة إلى العكس».

«ولكن، إنني أجد الأمر غريباً بعض الشيء أن يقوم بالدفين بإحراقها».

«ماذا تقصدين؟»

«لقد أُقيمت جنازتها وانتهت. ألم تكن تعلم ذلك؟»

قال إرلندر بينما كان يعدُّ في ذهنه الأيام منذ زيارته الأولى إلى المنزل في غرافارفوغر: «لا».

«لم أسمعها أبداً تقول إنها تريد أن تُحرَق. أبداً».

«هل كانت ستخبرك بذلك؟»

«أعتقد ذلك».

«هل سبق أن ناقشتِ وماريا جنازتيكما -ما تريدان فعله بجثتيكما؟»

أجابت كارين بصرامة: «لا».

«إذاً فأنت لا تملكين حقاً أي دليل على ما إذا كانت تريد أن تُحرَق أم لا؟»

«لا، لكنني أعلم وحسب. كنت أعرف ماريا».

«كنت تعرفين ماريا. هل جئت إلى هذا المكتب لإبلاغنا رسمياً بأنك تعتقدين أن هناك شيء مريب بخصوص موتها؟»

فكَّرت كارين لبرهة قبل أن تجيب: «إنني أجد الأمر برمّته غريباً جداً».

«لكنك لا تملكين دليلاً حقيقياً يدعم شكَّك بأن شيئاً غريباً حدث».

«لا».

إذن، لا يمكننا فعل الكثير. هل تعلمين أي شيء بخصوص علاقة ماريا مع زوجها؟»

«أجل».

«و؟»

قالت كارين بتردد: «كانت جيدة».

«إذن فأنت لا تظنين أن لزوجها علاقة بما حصل؟»

«لا. ربما جاء شخص ما إلى باب المنزل في ثينغفيلر. هناك جميع أنواع المتجوِّلين هناك. سوّاح أجانب، على سبيل المثال. هل فكَّرتم في هذ الجانب؟»

«ليس هناك ما يشير إليه. هل كانت ماريا تنوي التواجد في ذاك المنزل عند وصولك».

«لا. لم نناقش هذا الأمر».

قال إرلندر: «لقد أخبرتْ بالدفين بأنها ستذهب لانتظارك».

«لماذا قالت له ذلك؟»

«ربما كي تُترَك بسلام».

قالت كارين: «هل أخبرك بالدفين حول ليونورا، أمها؟»

«أجل. قال إن وفاتها كان خسارة فظيعة لابنتها».

قالت كارين: «كانت ليونورا وماريا تملكان علاقة خاصة. لم أعلم قط بمثل هذه العلاقة الوثيقة. هل تعتقد أن الأحلام يمكن أن تخبر الحقيقة؟»

«لا أعلم إن كان هذا يخصك. مع كل الاحترام لك».

لقد باغتَتْه حدَّةُ المرأة، لكنه مع ذلك فهم دافعها. لقد أقدمَتْ صديقةٌ عزيزةٌ على فعلٍ تجده مستحيلاً على الفهم والتقبُّل. إذا كانت ماريا تشعر بذلك السوء، فهي، أي كارين، تشعر بأنه كان ينبغي عليها أن تعلم بذلك وأن تفعل شيئاً بهذا الشأن. ومع أن الوقت فات، إلا أنها كانت ما تزال تريد فعل شيء ما –وإذا لم يكن هناك شيء آخر، فعلى الأقل أن تعطي رأيها حول الحدث المأساوي.

قالت كارين: «ماذا عن الحياة بعد الموت؟»

هز إرلندر رأسه وقال: «لا أعلم ماذا-»

«كانت ماريا تؤمن بذلك. كانت تؤمن بالأحلام، بأنها يمكن أن تخبرها بشيء ما، أن ترشدها. وكانت تؤمن بالحياة بعد الموت».

بقي إرلندر صامتاً.

قالت كارين: «كانت أمها سترسل لها رسالة. كما تعلم، إذا كانت هناك حياة أخروية».

قال إرلندر: «لا، لست متأكداً بأنني أفهمك».

«أخبرتني ماريا بأنها كانت ستدعها تعرف إن كان ما تحدثتا عنه كثيراً قبل موتها تبيَّن أنه صحيح. إذا كانت هناك حياة بعد الموت، فإنها سترسل لها إشارة من العالم التالي».

نحنح إرلندر حنجرته ثم قال: «إشارة من العالم التالي؟»

«أجل. إذا تبيَّن أن هناك حياة آخرى».

«هل تعلمين ما هي؟ أي نوع من الإشارة كانت سترسلها؟»

لم تجبْ كارين.

فسألها إرلندر: «هل فعلتْ ذلك؟»

«ماذا؟»

«هل بعثت لابنتها رسالة من العالم التالي؟»

رمقت كارين إرلندر بنظرة طويلة، ثم قالت: «تعتقد أنني غبية، أليس كذلك؟»

قال إرلندر: «لا يمكنني معرفة ذلك حقاً. فأنا لا أعرفك مطلقاً».

«أتظن أنني أقول كلاماً فارغاً؟»

«لا، لكنني لا أعرف كيف يمكن أن يثير كل هذا اهتمام الشرطة. هل يمكنك أن تشرحي لي؟ رسالة من الحياة التالية! كيف يُفترَض بنا أن نحقق في شيء كهذا؟»

«أعتقد أن أقلَّ ما يمكنك فعله هو الإصغاء لما يجب علي قوله».

«إنني أصغي».

«لا، أنت لا تصغي». فتحت كارين حقيبتها وأخرجت شريط كاسيت ووضعته على طاولة مكتبه، ثم قالت: «ربما سيساعدك هذا».

«ما هذا؟»

«استمع إليه ثم تحدث معي. استمع إليه وأخبرني برأيك».

«لا يمكنني-»

«لا تفعل ذلك من أجلي. افعل ذلك من أجل ماريا. عندئذ ستعرف كيف كانت تشعر».

نهضت ثم قالت: «افعلْ ذلك من أجل ماريا».

ثم غادرت.

أخذ إرلندر الشريط معه إلى المنزل في ذلك المساء. كان شريط كاسيت عادياً لا يحمل أي علامات مميزة. كان إرلندر يملك مسجِّلة شرائط كاسيت وراديو قديمة لكنه لم يستخدمها أبداً لتشغيل الشرائط ولم يكن يعرف إذا كانت تعمل. وقف وبيده الشريط لمدة طويلة متسائلاً إذا كان ينبغي عليه الاستماع إليه.

وجد إرلندر المسجِّلة، وضغط على « open »، وأدخل الشريط، ثم ضغط على « play ». في البداية، لم يسمع أي شيء. مضت عدة ثوان أخرى، ولم يحدث شيء أيضاً. كان يتوقَّع سماع الموسيقا المفضَّلة للمرأة المتوفية، ولعلها موسيقا كَنَسية بما أن ماريا كانت متديِّنة. وفجأة سمع نقرةً خفيفةً ثم بدأ الشريط يهسهس.

وبعد ذلك، سمع صوتاً ذكورياً عميقاً يقول: «... بعد الدخول في غيبوبة».

رفع إرلندر الصوت.

تابع صوت الرجل كلامه: «بعد ذلك، لن أكون مدركاً لذاتي. الأموات هم الذين يختارون إما التحدث من خلالي أو كشف بعض الأشياء لي. إنني مجرد قناتهم للتواصل مع أحبائهم. وكم يدوم ذلك يختلف تبعاً لطبيعة التواصل».

أجابه صوت أنثوي رفيع: «أجل، فهمت».

«هل جلبتِ ما طلبتُه».

«لدي كنزة كانت مولعة بها كثيراً وخاتم أعطاه أبي لها كانت تضعه دائماً».

«شكراً لك. من الأفضل أن آخذ ذاك».

«تفضَّل».

«ذكِّريني أن أعطيك الشريط لاحقاً. لقد نسيتِ أخذه في ذلك اليوم. من السهل على المرء أن ينسى نفسه».

«أجل».

«حسناً، لنرَ ما يحدث. لستِ خائفة، أليس كذلك؟ أخبرتني في البداية أنك كنت متوترة بعض الشيء. يشعر بعض الأشخاص بالقلق مما يمكن أن يُكشَف في هذه الجلسات».

«لا، ليس بعد الآن. لم أكن خائفة حقاً، بل متشككة قليلاً فقط. لم يسبق لي أن فعلت شيئاً كهذا من قبل».

فترة صمت طويلة.

«هناك لمعان ماء».

صمت.

«الوقت صيف وهناك شجيرات ولمعان ماء. مثل انعكاس ضوء الشمس على بحيرة».

«أجل».

«هناك قارب بجانب البحيرة -هل يبدو ذلك مألوفاً؟»

«أجل».

«إنه قارب صغير».

«أجل».

«إنه فارغ».

«أجل».

«هل يبدو ذلك مألوفاً؟ هل تعرفين هذا القارب؟»

«أبي كان يملك قارباً صغيراً. كان لدينا منزل عطلات بجوار بحيرة ثينغفالافاتن».

أوقف إرلندر مشغِّلة الكاسيت. أدرك أن التسجيل كان لجلسة تحضير أرواح وكان متأكداً من أن الصوت الرفيع يعود للمرأة التي قتلت نفسها، رغم أنه لم يكن يعرف أي شيء عن الأمر، لكنه تذكَّر زوجها يقول إن أباها غرق في بحيرة ثينغفالافاتن. بدا سماع صوتها غريباً بعض الشيء، كما لو أنه كان يتلصَّص على الحياة الخاصة لشخص آخر. وقف بجانب مشغِّلة الكاسيتات طويلاً دون حراك، إلى أن تغلَّب الفضول على شكِّه فضغط على زر التشغيل مجدداً.

سمع صوت الوسيط يقول: «يمكنني أن أشم رائحة سيجار. هل كان يدخِّن؟»

«أجل. كثيراً».

«يريد منك أن تهتمي بنفسك».

«شكراً لك».

تلا كلمات المرأة فترة صمت طويلة. أصغى إرلندر إلى الصمت. كان هسيس الشريط هو الصوت الوحيد المسموع. وفجأةً، بدأ الوسيط بالتحدث من جديد ولكن بصوت مختلف كلياً هذه المرة، صوت عميق وقاسٍ وغاضب.

«احذري! ... إنك لا تعرفين ما أنت فاعلة!»

جفل إرلندر من نبرة الغضب في الصوت. لكنه تغيَّر في النَفَس التالي.

قال الوسيط: «هل كان كل شيء على ما يرام؟»

قالت المرأة: «أعتقد ذلك. ماذا كان...؟»

لكنها لم تُكمل.

فسألها الوسيط: «هل تَواصَلَ شخصٌ تعرفينه؟»

«أجل».

«جيد، أنا ... لماذا أشعر ببرد شديد...؟ أسناني تصطك».

«كان هناك صوت مختلف...»

«مختلف؟»

«أجل، ليس صوتك».

«ماذا قال؟»

«قال يجب أن أكون حذرة».

«لا أعرف ماذا كان. لا أذكر أي-»

«ذكَّرَني...»

«أجل؟»

«ذكَّرني بأبي».

«البرد... لا يأتي من هناك. البرد الشديد الذي أشعر به. إنه مرتبط مباشرةً بك. ثمة شيء خطير يتعلق به. شيء ينبغي أن تحذري منه».

مدَّ إرلندر يده وأوقف التسجيل. لم يستطع الاستماع أكثر من ذلك. بدا الأمر له معيباً. كان التسجيل يحوي مادة تلامس ضميره. شعر كما لو أنه يتنصَّت من وراء باب. لم يستطع تحمُّل الإساءة لذكرى المرأة بالتنصّت أكثر من ذلك.

6

كان الرجل العجوز ينتظر إرلندر في قاعة الانتظار. كان معتاداً على المجيء إلى مركز الشرطة برفقة زوجته لكنه هذه المرة جاء لرؤية إرلندر وحيداً بعد وفاتها. كانا يزوران مكتبه بشكل منتظم منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً، أولاً كل أسبوع، ثم كل شهر، ثم عدة مرات في السنة، ثم مرة في السنة، وأخيراً كل سنتين أو ثلاث سنوات في عيد ميلاد ابنهما. وخلال هذه السنين أصبح إرلندر يعرفهما جيداً ويتفهّم الحزن الذي يدفعهما للمجيء إليه. لقد خرج ابنهما الصغير، ديفيد، من منزلهما في 1976 ولم يُسمَع عنه أي شيء منذ ذلك الحين.

صافح إرلندر العجوز وقاده إلى مكتبه، وخلال الطريق سأله عن أحواله فقال العجوز إنه انتقل إلى دارٍ لرعاية المسنين منذ بعض الوقت لكنه لم يكن سعيداً هناك: «ليس فيها أي شيء سوى العجائز». لقد جاء إلى مركز الشرطة بسيارة أجرة فسأل إرلندر إن كان باستطاعته أن يطلب سيارة لإرجاعه عند انتهاء لقائهما.

قال إرلندر بينما كان يفتح باب مكتبه للعجوز: «سأجعل أحدهم يعيدك إلى حيث تقيم. دار رعاية المسنين ليست مثيرة إذن؟»

أجاب العجوز بينما كان يجلس: «ليس كثيراً، لا».

لقد جاء للاستعلام عن أخبار حول ابنه، رغم أنه كان يعرف منذ وقت طويل بأنه لن يجد أي أخبار عنه. كان إرلندر يفهم هذا الإصرار غير العادي ويستقبل الزوجين دوماً بشكل لائق ويصغي إليهما بكل اهتمام. كان يعلم أنهما يتابعان الأخبار دوماً في الصحف والتلفزيون والراديو، على أمل ضئيل بأن يكون شخص ما في مكان ما قد وجد خيطاً يتصل باختفاء ابنهما. ولكن، لم يظهر أثر واحد طوال كل تلك السنين.

قال الرجل العجوز: «كان سيبلغ التاسعة والأربعين في هذا اليوم. آخر عيد ميلاد احتفل به كان عيد ميلاده العشرين. لقد دعا جميع أصدقائه في الجامعة، فاضطُّررت وغنثورن لترك المنزل خلال تلك الفترة. استمرت الحفلة حتى ساعات الصباح الأولى. لم يتسنَّ له الاحتفال بعيد ميلاده الواحد والعشرين».

هز إرلندر برأسه. لم تكتشف الشرطة أي دليل يتصل باختفاء ابنهما منذ أن تبلَّغت بذلك، بعد ست وثلاثين ساعة من مغادرته المنزل. كان ديفيد يدرس أحياناً في منزل أحد أصدقائه حتى وقت متأخر من الليل

ويذهب إلى المدرسة برفقته في الصباح، وكان قد أخبر والديه بأنه سيزوره في ذلك المساء وقد ينام عنده. كانا يراجعان تحضيراً لامتحاناتهما النهائية وكان يُتوقَّع أن يُنهيا مدرستهما التكميلية المتقدمة في ذلك الربيع. وذكر أيضاً أنه كان بحاجة للذهاب إلى إحدى المكتبات. وعندما لم يأتِ إلى المنزل في اليوم التالي، بدأ والداه بالاتصال بمنازل أصدقائه والسؤال عنه. اتصلوا بصديقه فقال إن ديفيد لم يزره، ولم يذكر له مخططاته لذلك المساء. كان الصديق قد سأل ديفيد إن كان يود الذهاب إلى السينما، لكن ديفيد قال إن لديه أمراً آخر ليفعله، دون أن يذكر ما هو. كما تبيَّن أن الأصدقاء والمعارف الآخرين كانوا يجهلون مكان تواجد ديفيد. كان يرتدي ثياباً خفيفة عندما غادر المنزل.

وُضعت بلاغات في الصحف وبُثَّت مناشدات ونداءات في التلفزيون، ولكن دون جدوى، ومع مرور الوقت ببطء، تضاءل أمل والديه وشقيقه. لقد رفضوا رفضاً قاطعاً الاستماع لأي تلميح بالانتحار، مُصرِّين على أن الفكرة ذاتها كانت غريبة عن ديفيد. ولكن، بعد انقضاء أسابيع وأشهر دون أي تفسير لاختفاء ديفيد، قال إرلندر إن عليهم عدم استثناء هذا الاحتمال. هو نفسه لم يستطع رؤية احتمالات كثيرة أخرى في هذه القضية، نظراً لأن الشاب لم يكن يخطط لتسلُّق الجبال أو السفر إلى الداخل. كان هناك تفسير محتمل آخر، وهو أنه ورَّط نفسه في مشكلة مع شخص من مجتمع الجريمة فتخلَّص منه، لأسباب غامضة، وأخفى الجثة. نفى والداه وأصدقاؤه بشكل حاسم أن يكون قد تشاجر مع أي شخص أو تورَّط في أي نشاط جرمي قد يفسِّر اختفاءه. وأكَّدت تحقيقات الشرطة أنه لم يغادر البلد عبر الجو، ولم يكن اسمه موجوداً على لوائح المسافرين في أي سفينة. ولم يلاحظ العاملون في أي مكتبة من مكتبات البلد وجوده في مكتباتهم يوم اختفائه.

أخذ العجوز فنجاناً من إرلندر ورشف قهوته بصخب، رغم أنها لم تكن ساخنة جداً. لقد حضر إرلندر جنازة زوجته ولاحظ أنهما لم يكونا يملكان الكثير من الأصدقاء ولا عائلة كبيرة. كان ابنهما الآخر مطلقاً وبدون أطفال. وكانت هناك جوقة مكوَّنة من نسوة ضئيلات الحجم تنشدن وقوفاً بجانب الأورغن: «أيها الخالق السماوي...»

بعد أن شرب نصف فنجانه، قال الرجل العجوز: «هل هناك أي خبر حول قضيتنا؟ هل ظهر أي شيء؟»

كرر إرلندر الإجابة التي سمعها الرجل العجوز عدداً لا يُحصى من

المرات: «لا، للأسف». كان أكثر ما يزعجه هو عدم وجود ما يمكنه فعله للعجوز سوى الإصغاء لشكاويه المتكررة بشأن فظاعة ما حدث لابنه الحبيب واستغرابه من إمكانية حدوث ذلك ومن عدم وجود أي خبر عنه؟

قال العجوز: «بالطبع، أطباق الشرطة ملأى بما يكفي».

قال إرلندر: «تأتي بأعداد كبيرة في وقت واحد».

قال: «أجل، حسناً، لا، على أي حال، من الأفضل أن أذهب». لكنه بقي في مكانه كما لو كان هناك شيء آخر ليقوله، رغم أنهما تناولا كل الجوانب الهامة.

مستشعراً بتردد العجوز، قال إرلندر: «سأتصل بك إذا ظهر أي شيء».

«أجل... هممم... في الحقيقة يا إرلندر، قد لا أزعجك مرة أخرى. لعل الوقت حان لتسليم أمرنا لله. أتعلم، لقد وجدوا شيئاً ما...»، سعل العجوز، «لقد وجدوا بعض القذارة في رئتي. لطالما كنت أدخن كأحمق ويبدو أن كل خطأ تفعله ستتحمَّل نتائجه السلبية في النهاية، لذا لا أعلم ما... وكل ذلك الغبار الإسمنتي لا يمكن أن يساعد أيضاً. لذا أردت أن أقول وداعاً يا إرلندر، وأشكرك على كل ما فعلته من أجلنا منذ أن جئت لمقابلتنا لأول مرة في ذلك اليوم الرهيب. كنا نعلم بأنك تود المساعدة، وقد فعلت، رغم أننا ما زلنا حيث كنا. إنه ميت. بالتأكيد، وكان كذلك طوال هذه السنين. أظن أننا كنا نعرف ذلك منذ مدة طويلة. لكن المرء... نحن... حيث توجد حياة يوجد أمل، أليس كذلك».

وقف الرجل العجوز فوقف إرلندر أيضاً وفتح الباب، ثم قال: «هناك دائماً أمل. كيف تشعر مع ذلك الشيء في رئتيك؟»

«إنني عجوز ضعيف في هذه الأيام على أي حال. منهك طوال الوقت. منهك تماماً. ومنذ أن أُبلغت بالتشخيص، يبدو لي أن التنفس أصبح أكثر إجهاداً أيضاً».

ساعده إرلندر في الطريق إلى قاعة الانتظار ووجد سيارة شرطة تعيده إلى دار المسنين. وعلى درجات سلَّم مركز الشرطة تبادلا كلمات الوداع.

قال العجوز: «الوداع يا إرلندر». كان نحيلاً محني الظهر نتيجة العمل الجسدي المرهق، مع شعر أشعث أبيض كثيف. كان بنَّاءً في الماضي وقد أصبح وجهه الآن رمادياً مثل غبار الإسمنت.

قال إرلندر: «اعتنِ بنفسك».

راقب العجوزَ يدخل إلى سيارة الشرطة، ثم لاحق السيارة بعينيه إلى أن اختفت وراء المنعطف.

كانت الكاهنة التي تتعامل معها ماريا في أغلب الأحيان تُدعى إيفور، مع أنها لم تكن تخدم في غرافارفوغر بل في أبرشية مجاورة. لقد صُدمت وحزنت للمصير الذي آلت إليه ماريا ولشعورها بعدم وجود أي خيار آخر إلا قتل نفسها.

قالت الكاهنة لإرلندر الجالس في مكتبها في الكنيسة في نهاية ذلك اليوم: «مجرد التفكير في أن امرأة في ذروة حياتها تقتل نفسها كما لو أنها لا تملك أي خيار آخر أمر يفطر الفؤاد. تثبت التجربة أنه من الممكن مساعدة الأشخاص الذين يعانون من كرب وضيق ذهني إذا تدخَّل المرء في وقت مبكر بما يكفي».

قال إرلندر: «ألم تلاحظي أي إشارة على نوع الحالة التي كانت تعيشها ماريا؟ فهمتُ أنها مؤمنة وترتاد هذه الكنيسة».

«كنت أعرف أنها كانت في حال سيئة بعد وفاة أمها، ولكن لم يكن هناك أي شيء يوحي بأنها ستلجأ إلى إجراء يائس كهذا».

كانت الكاهنة في سن الأربعين تقريباً، ترتدي طقماً أورجوانياً أنيقاً وتزيِّن نفسها بمجموعة من المجوهرات: ثلاثة خواتم، وسلسلة ذهبية حول رقبتها، وقرطين كبيرين. لقد أثارت استغرابها زيارةُ الشرطة للسؤال عن عضوة في الأبرشية أقدمت على الانتحار، فسألت على الفور إن كانت هذه مسألة تخص الشرطة.

فأجابها إرلندر: «لا، بالطبع لا»، ثم اخترع مبرراً آنياً وهو إكمال تقريره حول القضية. لقد سمع أن ماريا كانت على تواصل مع هذه الكاهنة فأراد أن يعرف إن كان باستطاعته التحدث معها. لسوء الحظ، إن الانتحار أحد جوانب الحياة القاتمة التي تصل إلى مكاتب رجال الشرطة، وكان إرلندر يأمل في تعلُّم المزيد حول الأسباب والنتائج علَّ ذلك يساعده في عمله. أُعجبت إيفور بهذا الشرطي الكئيب، وانتابها شعور فوري بأنه شخص جدير بالثقة.

سألها إرلندر: «هل تحدثتْ معك حول الموت؟»

أجابت إيفور: «أجل، فعلَتْ. حول أمها وكذلك حول حادثة من طفولتها لا أعلم إن كنتَ مطلعاً عليها».

«تقصدين عندما غرق والدها؟»

«هذا صحيح. كانت ماريا في حالة مريعة بعد فقدانها أمها. لقد أشرفتُ على مراسم تلك الجنازة، في الواقع. كنت أعرف الأم والبنت بشكل

جيد جداً، وخاصة بعد وقوع ليونورا في المرض. كانت امرأة شجاعة، امرأة مميزة؛ لم يكن هناك شيء يخيفها».

«ماذا كانت تعمل؟»

«تقصد وظيفتها؟ كانت بروفيسورة في الجامعة، بروفيسورة في الأدب الفرنسي».

قال إرلندر: «وكانت ابنتها مؤرخة. هذا يفسر العدد الهائل من الكتب في المنزل. هل كانت ماريا مكتئبة؟»

«لنقل فقط إنها كانت حزينة جداً. آمل حقاً ألا تكرر هذا. لا ينبغي علي حقاً مناقشة ذلك معك. إنها لم تلجأ إلي على نحو خاص في حزنها، لكنني أحسست بأنها كانت ترزح تحت وطأة ألم شديد. صحيح أنها كانت معتادة على المجيء إلى الكنيسة، بيد أنها لم تفتح نفسها لي أبداً. حاولتُ مواساتها لكن ذلك كان صعباً جداً في الحقيقة. كانت غاضبة جداً –غاضبة بسبب موت أمها بتلك الطريقة. غاضبة من المسؤولين في السلطة. أعتقد أنها ربما فقدت بعض إيمانها، الإيمان الطفولي التي كانت تمتلكه دائماً، بعد مشاهدة أمها تذوي وتموت».

قال إرلندر: «لكن الله يتصرف بطرق غريبة، أليس كذلك؟ هو وحده العالم بمغزى كل هذه المعاناة؟»

«لم أكن لأقوم بهذا العمل لو لم أكن مؤمنة بأن الإيمان يمكن أن يساعدنا. إذا لم نكن نملك الإيمان، أين كنا سنكون؟»

«هل كنت تعلمين باهتمامها بالماورائيات؟»

«لا، لا يمكنني القول إنني كنت أعلم بذلك. ولكن، كما قلتُ، كانت كتومة وحذرة فيما يتعلق بحياتها الخاصة. أو جوانب معينة فيها».

«مثل؟»

«كانت تؤمن بالأحلام، بأنها يمكن أن تمنحها القدرة على رؤية أشياء لا يمكننا رؤيتها في حياتنا الصاحية. نما اعتقادها هذا بقوة أكبر مع الوقت إلى أن تولَّد لدي انطباع بأنها كانت تعتقد أن الأحلام كانت نوعاً من الباب المفضي إلى عالم آخر».

«حياة ما بعد الموت؟»

«لا أعلم تماماً ماذا كانت تقصد».

«وماذا قلتِ لها؟»

«ما نعظ به في الكنيسة. نحن نؤمن بالإحياء في يوم الحساب وفي الحياة الأبدية. إن إعادة لم شمل الأحبة تمثل جوهر رسالة عيد الفصح».

«هل كانت تؤمن بهذا النوع من إعادة لم الشمل؟»
«أحسست بأنها استمدت عزاءً معيناً من الفكرة، أجل».

*

كانت إلينبورغ برفقة إرلندر أيضاً عندما قام بزيارة قصيرة أخرى لزوج ماريا، بالدفين، في نفس اليوم الذي تحدث فيه مع الكاهنة. وقفت إلينبورغ بجانبه في غرفة الجلوس في المنزل الكائن في غرافارفوغر، تراقبه وهو يشرح سبب زيارته –وهو ضياع دفتر ملاحظاته- إذ لم يمتلك إرلندر أبداً في حياته دفتر ملاحظات.

قال بالدفين بعد إلقاء نظرة خاطفة حول الغرفة: «لم أرَ شيئاً من هذا القبيل هنا. سأبلغك إن وجدتُه».

قال إرلندر: «شكراً لك. آسف لإزعاجك».

ابتسمت إلينبورغ بارتباك.

قال إرلندر: «أخبرني، أعلم إنه ليس شأني، ولكن هل كانت ماريا تعتبر الموت نهاية كل شيء؟»

كرر بالدفين باستغراب: «نهاية كل شيء؟»

«أقصد، هل كانت تؤمن بالحياة بعد الموت؟»

حدَّقت إلينبورغ فيه بشيء من التساؤل، إذ لم يسبق أن سمعته يطرح مثل هذه الأسئلة من قبل.

قال بالدفين: «أعتقد ذلك. أعتقد أنها كانت تؤمن بالإحياء بعد الموت. مثل المسيحيين الآخرين».

«عندما يمر الناس في ظرف قاس أو يختبرون فقدان شخص عزيز، غالباً ما يبحثون عن أجوبة، أحياناً من وسطاء روحانيين أو أشخاص يتمتعون بقوىً فوق-طبيعية».

«لا أعلم بشأن ذلك. لماذا تسأل؟»

كان إرلندر على وشك إخباره حول شريط التسجيل الذي أعطته إياه كارين لكنه غيَّر رأيه. فجأةً أحسَّ بأن إقحام كارين في هذا الأمر وذكْر مخاوفها ليس فعلاً حكيماً. كان يريد الحفاظ على ثقتها به.

قال إرلندر: «أفكر بصوت مسموع فحسب. لقد أزعجناك بما يكفي، آسف للتطفُّل».

صافحت إلينبورغ الرجل مبتسمةً وقالت بضع كلمات مواسية.

حالما أصبحا في السيارة وبدأ إرلندر يقودها مبتعداً، سألته إلينبورغ

بغضب: «لماذا كان كل ذلك؟ لقد أقدمت المرأة على الانتحار وأنت تبدأ بالتحدث بكلام سخيف حول الحياة بعد الموت! ألا تملك أي حس باللباقة؟»

قال إرلندر: «لقد ذهبَتْ لرؤية وسيط روحاني».

«كيف تعرف ذلك؟»

أخرج إرلندر شريط كارين وسلَّمها إياه. «إنه تسجيل لجلسة تحضير أرواح حضرتها زوجته».

قالت إلينبورغ بدهشة: «جلسة تحضير أرواح؟ لقد ذهبت لجلسة تحضير أرواح؟»

«لم أستمع للشريط بأكمله. كنت سأدعه يستمع لما فيه، لكنني...»

«لكنك ماذا؟»

«أريد إيجاد الوسيط الروحاني. فجأة أردتُ معرفة نوع اللعبة التي كان يلعبها الوسيط وما إذا فعل شيئاً ما للتسبب بهذه المأساة؟»

«أتظن أنه كان يتلاعب بها؟»

«صحيح. ادَّعى أنه يشاهد قارباً على بحيرة، ويشم رائحة سيجار. ذلك النوع من الهراء».

«هل كان يلمِّح إلى غرق والدها؟»

«أجل».

«ألا تؤمن بالوسطاء الروحانيين؟»

قال إرلندر وهو ينعطف للخروج من الطريق المقطوع: «ليس أكثر من إيماني بالجنِّيات».

7

عندما وصل إرلندر إلى المنزل في ذلك المساء، أعدَّ لنفسه شطيرة من لحم الحمل المدخَّن بعد دهنها بالزبدة، وشغَّل ماكينة إعداد القهوة، ثم أعاد وضع شريط كارين في المسجلة.

كان يفكّر في انتحار ماريا، في درجة اليأس المطلوبة للإقدام على مثل هذا الفعل والعذاب الذهني المطلق الذي لابد أنه يكمن خلفه. لقد قرأ في السابق رسائل من أشخاص قتلوا أنفسهم، بعضها كان يتألف من بضع أسطر فقط، أو جملة واحدة، أو حتى كلمة واحدة؛ في حين أن بعضها الآخر كان أطول مع تعداد مفصل للأسباب الدافعة للفعل -نوع سيئ من الاعتذار. كانت الرسائل تُترك أحياناً على الوسادة في غرفة النوم. وأحياناً، على أرضية المرآب. آباء، أمهاء، مراهقون، متقاعدون، أشخاص وحيدون في هذا العالم.

كاد إرلندر أن يضغط على زر تشغيل المسجِّلة عندما سمع طرقاً على الباب. ذهب وفتحه فانسلَّت إيفا ليند بجانبه ودخلت.

قالت وهي تخلع مطعفها الجلدي الأسود الطويل حتى الركبتين: «هل الوقت غير مناسب؟ الجو بارد إلى درجة فظيعة في الخارج. ألن تهدأ هذه العاصفة؟»

قال إرلندر: «أشك في ذلك. يُتوقَّع أن تستمر الأسبوع بأكمله».

«هل زارك سيندري؟»

«أجل. أتريدين بعض القهوة؟»

«أجل، من فضلك. ماذا قال لك؟»

ذهب إرلندر إلى المطبخ وأحضر القهوة. لقد حاول في السابق تخفيف تناوله للكافيين في المساءات لأنه كان يعاني أحياناً من صعوبة في النوم إذا شرب أكثر من فنجانين. هذا لا يعني أنه كان يمانع السهر في الليل، فهو الوقت الأمثل بالنسبة إليه للتفكير في المشاكل.

قال إرلندر عند عودته: «لم يقل الكثير، رغم أنه ذكر أنك تشاجرت مع أمك. كان يعتقد أن الشجار يتعلق بي».

أخرجت إيفا ليند علبة سجائر من معطفها، ثم انتزعت واحدة بأظافرها وأشعلتها. ونفثت الدخان في سحابة طويلة عبر غرفة الجلوس.

«لقد فقدت العجوز البشعة عقلها».

لماذا؟»

«أخبرتها بأنه ينبغي عليكما أن تلتقيا».

قال إرلندر باستغراب: «أمك وأنا؟ لماذا؟»

«هذا بالضبط ما قالته أمي. 'لماذا؟' لتلتقيا. لتتحدثا. لإيقاف هذه السخافة المتمثلة بعدم التحدث. لماذا لا يمكنكما فعل ذلك؟»

«ماذا قالت لك؟»

«طلبت مني أن أنسى الأمر. نهاية القصة».

«هل كان هذا هو سبب الشجار؟»

«أجل. ماذا عنك أنت؟ ما رأيك؟»

«أنا؟ لا شيء. إذا كانت لا ترغب في ذلك، فهذا كل شيء».

«هذا كل شيء. ألا يمكنكما التحدث مع بعضكما؟»

فكّر إرلندر في الأمر لوهلة، ثم سألها: «ماذا تحاولين تحقيقه يا إيفا؟ تعلمين أن الأمر انتهى منذ زمن طويل. لم نتحدث معاً منذ عقود».

«هذا هو بيت القصيد -أنتما لم تتحدثا معاً منذ أن وُلد سيندري وأنا».

«التقيت بها صدفة عندما كنتِ في المستشفى. لم يكن ذلك سارّاً. أعتقد أن عليك أن تنسي الأمر يا إيفا. كلانا لا نريد ذلك».

تعرَّضت إيفا للإجهاض منذ بضع سنوات وقد استغرق منها الأمر مدة طويل كي تتغلب على حزنها. كانت مدمنة على المخدرات لسنوات لكن سيندري أخبر إرلندر بأنها بدأت مؤخراً، بمبادرة فردية منها، بتنظيم نفسها وأنها كانت تبلي بلاء حسناً.

قال إيفا وهي تنظر إلى أبيها: «هل أنت متأكد تماماً؟»

«أجل، متأكد تماماً. أخبريني، كيف حالك أنت؟ تبدين مختلفة، أكبر قليلاً».

«أكبر؟ أتقدَّمُ في السن أليس كذلك؟»

«لا، ليس هذا ما عنيته. أكثر نضجاً، ربما. لا أعلم ما أحاول قوله. قال سيندري إنك كنت تنظِّمين نفسك».

«إنه يتحدث كلاماً فارغاً».

«هل هو مصيب؟»

لم تُجبْ إيفا ليند على الفور، بل سحبت نَفَساً من سيجارتها وحبسته في رئتيها لمدة طويلة قبل أن أن تزفره أخيراً عبر أنفها.

ثم قالت: «ماتت صديقتي. لا أعرف إن كنت تتذكرها».

«من؟»

«اسمها هانا. وجدها عناصرك خلف صناديق القمامة في ميود».

همس إرلندر بينما كان يعود بذاكرته إلى الوراء: «هانا؟»

قالت إيفا ليند: «لقد أخذت جرعة مفرطة».

«تذكَّرت. لم يحدث ذلك منذ وقت طويل، صحيح؟ كانت مخدرة بالهيروين. لا نرى هذه المادة كثيراً هنا، ليس بعد على الأقل».

«كانت صديقة جيدة».

«لم أكن أعلم».

قالت إيفا ليند: «وهل تعلم أي شيء؟ إما أن تفعل ما فَعَلَتْه أو...»

«أو؟»

«أحاول فعل شيء مختلف، أحاول إخراج نفسي من الحفرة. أفعل ذلك بشكل حقيقي لمرة واحدة».

«ماذا تعنين بقول فعل ما فعلَتْه؟ هل تعتقدين أنها فعلت ذلك عمداً؟ أخذت جرعة مفرطة؟»

«لا أعرف. لم تكن تبالي. بأي شيء».

«لم تكن تبالي؟»

«لم تكن تكترث لأي شيء».

«ما هي قصتها، من جديد؟» تذكَّرَ فتاة مسكينة في العشرين من عمرها وُجدت مع إبرة في ذراعها خارج مركز التسوُّق في ميود في الشتاء الماضي. عثر عليها عمال النظافة في وقت مبكر من الصباح، ممددة على الأرض بدون حراك وظهرها على الحائط.

قالت إيفا ليند: «لماذا تتحدث دائماً مثل بروفيسور؟ ماذا يهم؟ لقد ماتت. أليس هذا كافياً؟ ماذا تهم «قصتها»؟ ماذا يهم أنه لم يكن هناك من يقف بجانبها؟ على أي حال، لم تكن تريد المساعدة لأنها كانت تكره نفسها. لماذا إذن سيكبِّد أحدهم نفسه مشقة مساعدتها؟»

قال إرلندر بحذر: «يبدو أنها كانت تهمك».

«كانت صديقتي. على أي حال، لم أقصد التحدث حولها. هل ستوافق على مقابلة أمي؟»

قال إرلندر: «هل تشعرين أنني لم أقف بجانبك؟»

«لقد فعلتَ أكثر مما يكفي».

«لم أنجح أبداً في التعامل معك. لا يمكنني أبداً مساعدتك بأي طريقة».

«لا تقلق. سأتجاوز الأمر».

«هل كانت تكره نفسها؟»

«من؟»

«صديقتك. قلتِ إنها كانت تكره نفسها. هل كان هذا هو سبب تناولها جرعة مفرطة؟ هل تقولين إنها كانت تحتقر نفسها؟»

أطفأت إيفا ليند سيجارتها ببطء، ثم قالت: «لا أعلم. أظن أنها فقدت كل احترامها لذاتها. لم يعد يهمها ما سيحدث لها. كانت تكره أشياء كثيرة لكن أكثر ما كانت تكرهه هي نفسها».

«هل اختبرت يوماً مثل تلك الحالة؟»

«نحو ألف مرة فقط. هل ستقابل أمي؟»

«لا أعتقد حقاً بأن ذلك يمكن أن يؤدي إلى شيء ما. ليس لدي أدنى فكرة عما سأقوله لها وآخر مرة تحدثنا فيها معاً أكلَتْ رأسي».

«هل يمكنك أن تفعل ذلك من أجلي؟»

«على ماذا تتوقعين الحصول من ذلك؟ بعد كل هذه السنين؟»

«أريد فقط أن تتحدثا أنتما الاثنان. أن أراكما معاً. هل هذا صعب جداً إلى هذه الدرجة اللعينة. لديكما ولدان، سيندري وأنا».

«من المؤكد أنك لا تأملين برجوعنا إلى بعضنا البعض؟»

تأمَّلت إيفا ليند والدها مطوَّلاً قبل أن تقول: «أنا لست غبية. لا تظن أنني غبية».

ثم نهضت وجمعت أشياءها وقالت وداعاً وذهبت.

تذكَّر إرلندر كيف كانت إيفا ليند تنتفض فجأة بهذه الطريقة في بعض الأحيان. اعتقدَ بأنه لن يعرف أبداً كيف يتحدث معها دون أن يعيدها إلى الماضي. بالنسبة إليه، كانت فكرة الالتقاء مع هالدورا، زوجته السابقة وأم ولديه، عبثية لأن هذا الفصل من حياته انتهى منذ وقت طويل، رغم ما قد تقوله إيفا ليند أو تحلم به. لقد أصبحت هالدورا شخصاً غريباً تماماً بالنسبة إليه وليس هناك أي شيء يمكن أن يتحدثا معاً بشأنه.

تذكَّر الشريط مجدداً فذهب إلى المسجلة وشغَّلها. أعاد الشريط إلى الخلف قليلاً لإنعاش ذاكرته بخصوص ما سمعه من قبل. سمع صوت الوسيط يصبح عميقاً وغاضباً عندما قال بنبرة تشبه الصراخ: «إنك لا تعرفين ما أنت فاعلة!» ثم تغيَّر الصوت في النَفَس التالي عندما تحدث الوسيط عن شعوره بالبرد.

قالت المرأة: «كان هناك صوت مختلف...»

«مختلف؟»

«أجل، ليس صوتَك».

«ماذا قال؟»

«قال يجب أن أكون حذرة».

«لا أعرف ماذا كان. لا أذكر أي-»

«ذكِّرني...»

«أجل؟»

«ذكِّرني بأبي».

«البرد... لا يأتي من هناك. البرد الشديد الذي أشعر به. إنه مرتبط مباشرةً بك. ثمة شيء خطير يتعلق به. شيء ينبغي أن تحذري منه».

صمْت.

سألها الوسيط: «هل كل شيء على ما يرام؟»

«ماذا تقصد بـ 'احذري منه'؟»

«لا أعرف. لكن البرودة لا تُنبئ بأمر حسن. أنا متأكد من ذلك».

«هل يمكنك استحضار أمي؟»

«إنني لا أستحضر أحداً. هي ستظهر إذا كان ذلك مناسباً. إنني لا أستحضر أحداً».

«كان ذلك وجيزاً جداً».

«للأسف ليس بيدي حيلة بخصوص هذا الأمر».

«بدا غاضباً جداً. قال: 'إنك لا تعرفين ما أنت فاعلة'».

«عليك أن تقرري بنفسك ما تريدين استخلاصه من هذا الأمر».

«هل يمكنني المجيء ثانيةً؟»

«بالتأكيد. آمل أن أكون أن استطعت مساعدتك قليلاً».

«لقد فعلت، شكراً لك. كنت أعتقد ربما...»

«ماذا؟»

«ماتت أمي بالسرطان».

قال الوسيط بتعاطف: «فهمت. لم تخبريني. هل مضى وقت طويل على وفاتها».

«سنتان تقريباً».

«وهل تواصلتْ معك هنا؟»

«لا، ولكن يمكنني الشعور بها. يمكنني الشعور بوجودها».

«هل أعطتك أي إشارة؟ هل ذهبْتِ إلى وسيط روحاني آخر؟»

تلا هذا السؤال فترة صمت طويلة.

فقال الوسيط: «آسف. بالطبع، هذا ليس شأني».

«كنت أنتظرها لتأتي إلي في حلم لكنها لم تأتِ».

«لماذا كنت تنتظرين ذلك؟»

«لقد عقدنا...»

بعد فترة صمت أخرى قال الوسيط: «ماذا؟»

«لقد عقدنا اتفاقاً».

«أوه؟»

«إنها... لقد تحدثنا حول... أنها ستعطيني إشارة».

«ما نوع الإشارة؟»

«إذا كانت هناك حياة بعد الموت فسترسل لي رسالة».

«ما نوع الرسالة؟ حلم؟»

«لا، ليس حلماً. لكنني كنت أنتظر أن أحلم بها. إنني مشتاقة جداً لرؤيتها من جديد. لكن إشارتنا مختلفة قليلاً».

«تعنين... هل فعلت ذلك؟ هل أعطتك إشارة؟»

«أجل، أعتقد ذلك. منذ عدة أيام».

قال الوسيط بلهفة واضحة: «ماذا كانت؟ ماذا كانت الإشارة؟ أي نوع من الإشارة يُفترَض أن تكون».

فترة صمت طويلة أخرى.

وأخيراً قالت: «كانت بروفيسورة في الأدب الفرنسي في الجامعة. وكان مارسيل بروست كاتبها المفضل وخاصة عمله 'بحثاً عن الوقت الضائع'. كانت تملك المجلدات السبع جميعها بالفرنسية في نسخة مجلدة بشكل جميل. قالت إنها ستستخدم بروست. والإشارة ستعني أجل، هناك حياة بعد الموت».

«وماذا حدث؟»

«تعتقد أنني مجنونة».

«لا، نهائياً. لقد انشغل الناس بالسؤال المتعلق بما إذا كانت هناك حياة بعد الموت منذ زمن بعيد. إننا نحاول إيجاد الجواب منذ آلاف السنين، على المستوى العلمي وكذلك على المستوى الشخصي أيضاً، مثلكما أنت وأمك. إنها ليست المرة الأولى التي أسمع فيها قصة كهذه. وأنا لا أحكم على الناس».

تلت كلماته فترة صمت طويلة. ظل إرلندر جالساً باهتمام بالغ. كان

هناك شيء مغرٍ على نحو غريب في كلمات المرأة المتوفية، شيء جازم وحاسم صدَّقه إرلندر. فعلى الرغم من أنه كان متشككاً إلى درجة بعيدة بشأن ما كانت تقوله وكان مقتنعاً بأن جلسات تحضير الأرواح، كهذه التي كان يستمع إليها، غير نافعة، إلا أنه كان متأكداً بأن المرأة كانت تؤمن حقاً بما تقول، بأن ما شهدَتْه كان حقيقياً بالنسبة إليها.

وأخيرا انقطع الصمت.

«في البداية، بعد وفاة أمي، كنت أجلس في غرفة الجلوس وأحدِّق في أعمال بروست، غير متجرأة على إبعاد ناظري عنها. لم يحدث شيء. مرَّت أسابيع. أشهر. أول شيء كنت أفعله عندما أصحو في الصباح هو النظر إلى المكتبة. وآخر شيء أفعله في الليل هو التحقق مما إذا كان قد حدث شيء ما. وبشكل تدريجي أدركت بأن ذلك لم يكن ذو جدوى وكلما كنت أفكر في الأمر أكثر، وكلما طال تحديقي في رفوف المكتبة، كلما فهمت على نحو أفضل سبب عدم حدوث أي شيء».

«لماذا لم يحدث أي شيء؟ ماذا أدركتِ؟»

«تبيَّن لي ذلك مع الوقت وكنت أشعر بامتنان عظيم. كانت أمي تساعدني خلال حزني. لقد أعطتني شيئاً للتركيز عليه بعد وفاتها. كانت تعلم بأنني سأكون محطمة، بصرف النظر عن كل ما كان يمكن أن تقوله. لقد فعلتْ ما بوسعها لتحضيري لموتها؛ كنا نُجري باستمرار حوارات مطوَّلة إلى أن بلغَتْ من الضعف ما يمنعها من الحديث. ناقشنا الموت وكيف سترسل إلي الإشارة. ولكن، بالطبع، كل ما حدث هو أنها جعلت مسار الحزن أسهل علي».

صمت.

«لا أعرف إذا كنتَ تفهمني».

«أنا أفهمك. تابعي».

«وبعد ذلك، منذ عدة أيام، بعد قرابة عامين على وفاة أمي -كنت قد توقفت عن مراقبة رفوف المكتبة وبروست حينئذ- استيقظت ذات صباح وذهبت كي أعدَّ القهوة وأجلب الصحيفة، وعندما كنت في طريق العودة إلى المطبخ ألقيت نظرة غير مقصودة إلى غرفة داخل غرفة الجلوس فـ...»

قال الوسيط بصوت هامس: «ماذا؟»

«كان ملقياً على الأرض ومفتوحاً».

«ما هو؟»

«طريق سوان لبروست. المجلد الأول في السلسلة».

فترة صمت طويلة أخرى.

ألهذا السبب جئت إلي؟»

«هل تؤمن بالحياة بعد الموت؟»

قال الوسيط بصوت هامس: «أجل. بالتأكيد. أنا أؤمن بالحياة بعد الموت».

8

عندما استيقظ إرلندر في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، تذكَّر الرجل العجوز الذي زاره في مركز الشرطة للسؤال عن خبر حول ابنه، بعد نحو ثلاثين عاماً على اختفائه. كانت واحدة من القضايا الأولى التي أبقاها إرلندر مفتوحة مدةً طويلةً بعد تخلِّي الجميع عنها. في تلك الأيام، كان فرع التحقيق يقع في منطقة صناعية في كوبافوغر. تذكَّر قضيتيْن أخريين حول شخصين مفقودين من تلك الفترة لم يحقق فيهما بنفسه، لكنه مع ذلك كان مطَّلعاً على تفاصيلهما. تتعلق إحداهما -وقد حدثت قبل عدة أسابيع فقط من اختفاء ابن الرجل العجوز- بشاب غادر حفلة في كيفلافيك ناوياً الذهاب مشياً إلى قرية نياردفيك المجاورة، لكنه لم يصل إليها أبداً. كان الوقت شتاءً وقد هبَّت عاصفة ثلجية هوجاء خلال الليل. أُرسلت فرق البحث إلى المنطقة وبعد ثلاثة أيام عُثر على فردة واحدة من حذائه بجانب الخط الذي خلَّفه المد على الشاطئ. كان يسير على الطريق الصحيح، ولكن يبدو أن العاصفة دفعته صوب البحر، ولم يُسمَع عنه شيئاً بعد ذلك. كان يرتدي قميصاً، بدون معطف أو كنزة، عندما غادر الحفلة وكان ثملاً، بحسب أصدقائه الذين كانوا برفقته في الحفلة.

أما القضية الأخرى فكانت تتعلق بشابة من بلدة أكيوريري. كانت تدرس في الجامعة وتستأجر شقة في ريكيافيك، ولكن لم يكن الممكن معرفة زمن اختفائها بدقة. عندما لم يتلقَّ المؤجِّر إيجاره مقدَّماً للشهر التالي، ذهب ليجلب النقود بنفسه فلم يجد أحداً في الشقة. لم يكن لديها محاضرات إلزامية في الجامعة لأنها كانت تكتب أطروحتها في علم الأحياء في ذلك الحين. علاوة على ذلك، كانت بنتاً وحيدة وكان أبواها يقومان برحلة لمدة شهرين حول آسيا ولم يكونا يتصلان بها إلا بشكل متقطع. وعندما عادا إلى البلد وذهبا لزيارة ابنتهما، كانت قد اختفت. أدخلهما المؤجر إلى الشقة فوجدا كل شيء في مكانه، كما لو أنها كانت قد خرجت منذ لحظات فقط. كانت كتبها المدرسية مفتوحة على الطاولة حيث كانت تعمل على الأطروحة. وكان هناك كأسان في حوض الجلي ولم يكن السرير مرتباً. لقد اتصلت مع أصدقائها هاتفياً في أكيوريري قبل بعض الوقت من اختفائها وأخبرت اثنين من زملائها الطلاب بتلك الاتصالات فافترضا أنها ذهبت شمالاً إلى أكيوريري قبل عدة أسابيع. وما يدعم هذه النظرية اختفاء سيارتها القديمة المهترئة، وكانت من طرار أوستن ميني، أيضاً.

ذهب إرلندر إلى المطبخ وشغَّل ماكينة القهوة. ثم وضع قطعة من الخبز في المحمصة، وبعد أن أصبحت جاهزة دهنها بالزبدة، ثم جلب الجبن والمربى. فكَّر فيما سمعه في الشريط الذي أعارته إياه كارين وتساءل بشأن ما سيفعله به. لقد أصبح بفضله قادراً على تقييم حالة ماريا الذهنية بشكل أفضل قبل إقدامها على قتل نفسها.

تحوَّلت أفكاره إلى سيندري وإيفا ليند وزوجته السابقة هالدورا. لم يكن باستطاعته تصوُّر لقاء يجمعه معها، مهما كانت أهمية هذا اللقاء بالنسبة لإيفا ليند. نادراً ما كان يفكر في هالدورا لأن ذلك كان ينبش ذكريات جميع الشجارات والخلافات التي جرت بينهما قبل أن يهجرها هي وولديه. كانت فكرة الطلاق تتطور تدريجياً قبل مدة طويلة وكان يريد فعل ما بوسعه لتخفيف آثاره، لكنه كلما كان يلمح لها حول رغبته في إنهاء العلاقة ومغادرة المنزل، كانت تُسكته قائلةً إن هذا كلام سخيف وإنهما قادران على معالجة مشاكلهما، غير أنها لم تكن تدرك أياً من تلك المشاكل ولم يكن لديها فكرة عما كان يتحدث.

رغم غوصه في ذكريات الماضي، إلا أن إرلندر لم يتمكّن من إبعاد ذكرى صوت ماريا وكلماتها للوسيط الروحاني. لا يمكن أن تكون جلسة تحضير الأرواح تلك قد أُجريت منذ مدة طويلة، فقد ذكرت ماريا في الشريط بأنها حدثت قبل مدة وجيزة من انقضاء سنتين على وفاة أمها، ومن الواضح أيضاً أن ذلك لم يكن لقاءها الأول مع الوسيط. فكَّر إرلندر في الرابط القوي بين ماريا وأمها. لابد أنه كان استثنائياً. ولعل موت الأب في ثينغفالافاتن قرَّبهما من بعضهما أكثر وساعدهما رغم صعوبة الظروف. هل يمكن أن يكون شيئاً آخر غير الصدفة هو الذي جعل ماريا تجد الكتاب على الأرض، نفس الكتاب الذي اتفقتا على أن يكون الإشارة على وجود حياة بعد الموت؟ أو هل يملك شخص آخر يداً في الأحداث؟ هل أخبرت ماريا شخصاً ما -زوجها أو شخصاً آخر- عن الاتفاق مع أمها في الفترة الواقعة ما بين موت ليونورا وسقوط الكتاب عن الرف، ثم نسيت الواقعة لاحقاً. هل قامت بنفسها بأخذ الكتاب من الرف بدون قصد ثم لم ترجعه إلى مكانه بشكل صحيح؟ شرحت ماريا في نهاية التسجيل أنها جاءت إلى الوسيط بسبب الإشارة التي كانت تعتقد أنها أُرسلت بواسطة أمها. كانت تريد الحصول على تأكيد، وإجراء اتصال مع أمها إذا كان ذلك ممكناً كي تتقبَّل وفاة والدتها. لكن الانتحار يشير إلى أنها لم تكن متقبِّلة، بل على العكس من ذلك، إنه يشير إلى أن الوضع برمَّته أدى في نهاية

المطاف إلى نهايتها تلك.

حاول إرلندر إيجاد سبب للدافع القوي الذي استحوذ عليه عندما استمع إلى الشريط. دافع لمعرفة المزيد حول المرأة التي قتلت نفسها، وحول أصدقائها والعائلة، واكتشاف السبب الذي جعل حياتها تتبع ذلك المسار الذي انتهي في أنشوطة حبل في منزل العطلات. كان يريد الوصول إلى أساس القصة؛ كان يريد إيجاد الوسيط الروحاني واستجوابه، وكشف حقيقة الحادثة في بحيرة ثينغفالافاتن، واكتشاف حقيقة ماريا. فكَّر في الصوت الذي حذَّرها طالباً منها التزام الحذر، وأن تعي ما كانت تفعله. من أين أتى ذلك الصوت العميق الخشن؟

نسي إرلندر قهوته وهو جالس بجانب مائدة المطبخ، متسائلاً حول السبب الذي كان يجعله يضيِّع وقته على هذا الأمر. عادت به أفكاره إلى أمه في شقة القبو التي انتقلت إليها بعد وفاة والده. كانت تعمل في مصنع أسماك، بلا كلل ولا ملل كعادتها، وكان إرلندر يزورها بانتظام، جالباً معه غسيله الوسخ في بعض الأحيان. وهناك كانت تعد له الطعام، ومن ثم كانا إما يجلسان ويستمعان للمذياع أو كان إرلندر يقرأ لها بينما كانت تقوم بحياكتها الأبدية -ربما وشاح ستعطيه له لاحقاً. لم يكونا بحاجة كبيرة للتكلُّم، فالصمت الأنيس كان كافياً بالنسبة إليهما.

رغم أنها كانت ما تزال في منتصف العمر عندما توفي والده، إلا أن أحداً آخر لم يدخل حياتها. كانت تقول إنها تستمتع بكونها وحيدة. لكنها لم تقطع تواصلها مع أصدقائها وأقربائها في الشرق، إضافة إلى جيران سابقين انتقلوا أيضاً إلى ريكيافيك. كانت آيسلندا تتغير في تلك الآونة، حيث كان الناس ينتقلون من الأرياف إلى المدن. اشترى إرلندر لها تلفازاً رغم تأكيدها له بأنها لم تكن تشعر بالوحدة مطلقاً في المدينة. كانت امرأة مستقلة تعتمد على نفسها ونادراً ما طلبت منه فعل شيء لها.

لم يكونا يتحدثان حول بيرغور، الذي انتُزع منهم بشكل مفاجئ ومؤلم. ومع أنها كانت، في بعض الأحيان، تُلقي ملاحظة عامة حول الصبي أو كلا الشقيقين، إلا أنها لم تتحدث يوماً عن خسارة ابنها. بالنسبة إليها، كانت تلك مسألة خاصة وكان إرلندر يحترم تكتُّمها.

كان إرلندر يزور أمه دائماً في الذكرى السنوية لتلك الحادثة، اليوم الذي وجد فيه إرلندر وشقيقه الأصغر وأبوهما أنفسهم وسط عاصفة ثلجية هوجاء. وفي واحدة من تلك الأيام، قالت له أمه، بعد أن أمضيا معظم الأمسية بصمت: «كان والدك يود أن يعرف قبل أن يموت».

عارفاً بما كانت تقصده، أجابها إرلندر: «أجل».

رفعت عينيها عن الكتاب الذي كانت تقرأ فيه، وقالت: «هل تعتقد بأننا سنعرف يوماً ما؟» كان قد استجمع شجاعته أخيراً وأراها الكتاب في وقت متأخر من ذلك المساء، غير واثق مما إذا كان بذلك يفعل الصواب أم لا.

«لا أعرف. لقد حدث ذلك منذ زمن طويل».

واصلت القراءة.

وأخيراً رفعتْ رأسها مجدداً وقالت: «أي كتلة من الهراء هذه».

«أعلم».

«ما علاقة الآخرين بذلك، هذا الكلام حولي وحول أبيك؟ ما علاقة أي شخص آخر بهذا؟»

لم يُجبْ.

قالت أمه: «لا أريد لأحد أن يقرأه».

«في الواقع، لا يمكننا أن نمنعهم».

«والكلام الذي يقوله عنك؟»

«إنه لا يزعجني».

«هل نُشر هذا منذ فترة قصيرة؟»

«أجل، إنه الجزء الثالث في سلسلة. الجزء الأخير. نُشر قبل عيد الميلاد بقليل. هل تعرفين الرجل الذي كتبه؟ داغبيارتور هذا؟»

«لا، لابد أنه تحدَّث مع المزارعين المحليين».

«أجل، هذا ما فكَّرت فيه. إنه شديد التفصيل ومعظم ما يقوله صحيح».

«ليس لديه الحق في قول ذلك عني وعن أبيك».

«بالطبع لا».

«هذا غير منصف من جانبه».

«لا، أعرف».

«من أين حصل على هذا الحق؟»

«لا أعرف».

أغلقت أمه الكتاب ثم قالت مجدداً: «لا أريد لأحد أن يقرأ هذا».

«لا».

قالت وهي تسلِّمه الكتاب: «لا أحد. وكأن ما حدث كان خطأه. وكأنه كان خطأ أي شخص آخر. هذا هراء!»

أخذ إرلندر الكتاب منها. ما كان ينبغي عليه ربما أن يريها إياه. أو على الأقل، كان عليه أن يحضِّرها بشكل أفضل لقراءة الفصل الذي يحمل عنوان «مأساة في قفار إسكيفيوردر». لم يكن ينوي أن يُري القصة لأحد. كانت أمه محقة بالفعل، إذ لا حاجة لجذب الانتباه لما كُتب فيه.

في الشتاء الذي نُشر فيه الجزء الذي يحوي قصة مأساة الأخوين، أُصيبت والدة إرلندر بالإنفلونزا. لم يعلم إرلندر بذلك لانشغاله التام بالكتاب، وكذلك لأن أمه لم تكن ترغب في إزعاجه. عادت للعمل قبل أن تُشفى تماماً فانتكست ولزمت الفراش مجدداً. وعندما اتصلت مع إرلندر أخيراً، كانت قد وصلت إلى وضع حرج جداً أصبحت فيه أقرب إلى الموت من الحياة، ذلك أن الالتهاب أثَّر على قلبها على نحو خطر. أرغمها إرلندر على الذهاب إلى المستشفى، لكنهم لم يستطيعوا فعل الكثير لها. كانت في بداية ستينياتها عندما توفيت.

أخذ إرلندر رشفة من قهوته فوجدها باردة. نهض وذهب إلى غرفة الجلوس وأخذ الجزء الثالث من المكتبة، نفس النسخة التي كانت أمه تقرؤها. كانت غاضبة من كاتب القصة لأنه برأيها كان شديد القسوة على العائلة. وكان إرلندر يوافقها الرأي فالكتاب كان يحوي تأكيدات حول أشياء لا تخص أي إنسان آخر -بصرف النظر عن إمكانية صحتها. كان ولداه، سيندري وإيفا، يعرفان بوجود القصة لكنه كان متردداً بشأن إعطاؤها لهما، ربما كُرمى لأبيه، وربما بسبب رد فعل أمه.

ما إن أرجع الكتاب إلى مكانه على الرف حتى عاد لغز امرأة غرافارفوغر ليسكنه من جديد. ما الذي دفعها إلى تلك الأنشوطة؟ ماذا حدث في بحيرة ثينغفالافاتن يوم توفي والدها؟ كان يريد معرفة المزيد. ولكن، يجب أن يكون هذا تحقيقاً خاصاً به، وينبغي عليه العمل بحذر كيلا يثير الشكوك. سوف يتحدث مع الناس ويخرج باستنتاجات، كما يفعل مع أي قضية أخرى. لكنه سيحتاج للكذب بشأن سبب فضوله، كأن يخترع مهمة غير واقعية. على أي حال، لن تكون هذه هي المرة الأولى التي يفعل فيها إرلندر أمراً لا يفخر به تماماً.

كان إرلندر يريد أن يعرف لماذا لقيت ماريا ذلك المصير القاسي والوحيد بجوار البحيرة حيث لقي والدها أيضاً مصيره البارد.

كما أن الجملة حول السماء، حيث كان الكتاب مفتوحاً، كانت ذات مغزى أيضاً.

لقد منحها اجتماعها مع الوسيط الروحاني شيئاً من القوة. كانت ماريا مقتنعة بأن أمها أعطتها إشارة عبر إخراج «طريق سوان» من المكتبة. لم تتخيَّل أي تفسير آخر، وبدا أن الوسيط، الأكثر لطفاً وتفهُّماً بين الرجال، كان يوافقها الرأي، إذ أخبرها عن أمثلة لحالات مشابهة لأموات اتصلوا مع الأحياء، إما بشكل مباشر أو عبر الأحلام، وأحياناً عبر أحلام أشخاص آخرين بدلاً من الأقرب والأعز عليهم.

لكن ما لم تخبره للوسيط هو أنها بدأت بعد بضع أشهر من وفاة ليونورا برؤية ظهورات شبحية واضحة على نحو غير عادي، ومع ذلك لم تفزع منها، رغم خوفها من الظلام. كانت ليونورا تظهر إليها في ممر غرفة النوم أو حتى جالسة على حافة سريرها. وإذا ذهبت إلى غرفة الجلوس، كانت ترى ليونورا أحياناً واقفة بجانب رفوف المكتبة أو جالسة على كرسيها في المطبخ. بل كانت تظهر لها عندما تغادر المنزل، على شكل انعكاس باهت في نافذة أحد المحال أو وجه يتلاشى بين الحشود.

في البداية، لم تكن هذه الرؤى تدوم طويلاً، ربما للحظة واحدة فقط، لكنها أصبحت لاحقاً أطول مدةً وأشد وضوحاً، وازدادت معها قوة حضور ليونورا، تماماً كما حصل مع ماريا بعد وفاة والدها. لقد قرأت سابقاً حول هذا النوع من الهلوسات المتصلة بالحزن وعلمت أن التصوُّرات يمكن أن تكون متعلقة بالإحساس بالخسارة والشعور بالذنب والقلق المزمن. وعرفت أيضاً أن بعض الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة تشير إلى أنها إسقاطات لذهنها الخاص، لعينها الداخلية. كانت امرأة مثقفة، ولم تكن تؤمن بالأشباح.

لكنها مع ذلك لم تشأ إغلاق جميع السبل. لم تعد ماريا واثقة بأن العلم يملك الإجابات على جميع أسئلة الإنسان.

وساهم مرور الزمن في تعزيز اعتقاد ماريا بأن تصوراتها كانت أكثر من مجرد أوهام ذهنية يختلقها عقل أثقله الألم والمعاناة. وفي إحدى المراحل، أصبحت هذه التصورات واقعية لدرجة أحست معها بأنها لابد أن تكون آتية من عالم آخر، رغم ما يقوله العلم في هذه الأشياء. وشيئاً فشيئاً بدأت تؤمن بإمكانية وجود عالم آخر. غمرت نفسها مرة أخرى في روايات -قرأتها ليونورا تحت إصرار ماريا- حول تجارب الاقتراب من الموت والإشعاع الذهبي والحب المرتبط به، حول الهيئة الإلهية في الضوء، وانعدام الوزن في النفق المظلم المفضي إلى الضوء. بدلاً من السعي للحصول على مساعدة للتخلص من معاناتها، حاولت تحليل حالتها الخاصة باستخدام منطقها الخاص ومحاكمتها الذهنية.

انقضت سنتان إلا قليلاً على هذه الحالة. ومع الوقت قلَّ تكرار الرؤى وضَعُفَ هوسها ببروست. وبدأت حياتها تستعيد حالتها المستقرة رغم معرفتها بأنها لن تكون أبداً كما كانت عندما كانت أمها على قيد الحياة. وذات صباح، استيقظت باكراً وحدث أن ألقت نظرة عابرة إلى المكتبة.

لم يتغير أي شيء.

أو ...

نظرت مجدداً إلى الكتب.

شعرت بالدوار عندما أدركت أن الجزء الأول كان مفقوداً. عندما اقتربت أكثر رأت «طريق سوان» ملقياً على الأرض.

دون أن تتجرأ على لمس الكتاب، توقف وحدَّقت في الصفحتين المفتوحتين، فقرأت:

«صحيح إن الغابة سوداء الآن،

لكن السماء زرقاء...»

9

عاد سيغوردر أولي إلى العمل، لكنه كان ما يزال يسعل وينفخ أنفه باستمرار بواسطة منديل ورقي. قال إنه لم يستطع تحمُّل البقاء في المنزل لمدة أطول، مع أنه لم يتعافَ كلياً من الإنفلونزا اللعينة. كان يرتدي سترة صيفية فاتحة اللون رغم برودة الخريف، وكان قد ذهب إلى الصالة الرياضية ومن ثم إلى الحلّاق مع طلوع فجر ذلك الصباح. وعندما صادف إرلندر، كان يبدو بأنه بأفضل حال، رغم بقاء فيروسه.

قال سيغوردر أولي: «كل شي ماشي؟»

تجاهل إرلندر العبارة المزعجة، التي كان سيغوردر أولي يعرف بأنها تغيظه دائماً، وسأله بالمقابل: «كيف حالك؟»

«أوه، كما تعلم. هل هناك شيء يحدث؟»

«الأشياء المعتادة. هل ستعود للعيش معها؟»

كان هذا هو نفس السؤال الذي طرحه إرلندر على سيغوردر أولي قبل إصابته بالإنفلونزا. كان إرلندر يحب زوجة سيغوردر، بيرجثورا، وقد أحزنه فشل زواجهما. لقد ناقشا أسباب الانفصال مرة واحدة من قبل وأحس إرلندر من كلام زميله بأن الأمل لم ينقطع بعد. غير أن سيغوردر أولي لم يُجبه حينئذ ولا هذه المرة، لأنه كان يجد تدخُّل إرلندر مزعجاً.

بدلاً من الإجابة، قال سيغوردر أولي: «ما زلتَ مهووساً بقضايا المفقودين، كما أسمع». ثم اختفى خلف الزاوية.

بما أنه لم يكن هناك الكثير ليفعله كما جرت العادة، أخرج إرلندر ملفات قضايا المفقودين الثلاثة التي حدثت في تعاقب سريع قبل قرابة ثلاثين عاماً ورتَّبها أمامه على الطاولة. كان يتذكَّر بوضوح والدي الفتاة. لقد ذهب لزيارتهما بعد شهرين من الإبلاغ عن فقدان ابنتها، عندما لم يُسفر البحث عن أي شيء. كانا قد انتقلا من أكيوريري للعيش في ريكيافيك في منزل أصدقاء مسافرين. لاحظ إرلندر على الفور من منظرهما بأنهما كانا يعيشان جحيماً حقيقياً منذ اختفاء ابنتهما، حيث كان الإنهاك بادياً على هيئة المرأة في حين كان الرجل غير حليق الذقن مع هالات سوداء تحت عينيه. كان كل منهما يمسك بيد الآخر. عرف إرلندر أنهما ذهبا لمقابلة معالج نفساني لأنهما كانا يلومان نفسيهما فيما حدث؛ أي الذهاب في تلك الرحلة الطويلة وعدم الاتصال مع ابنتهما بشكل دائم. كانت تلك الرحلة تحقيقاً لحلم قديم لهما بزيارة الشرق الأقصى، حيث سافرا إلى الصين

واليابان ووصلا حتى إلى منغوليا. كان آخر اتصال أجرياه مع ابنتهما عبر خط تلفوني رديء من فندق في بيجينغ. وقد اضطُرَّا لحجز الاتصال الهاتفي مسبقاً بوقت طويل، لكن ابنتهما قالت إن الأمور تجري على خير ما يرام وأنها كانت تتطلَّع لسماع كل مغامراتهما.

قالت المرأة بصوت خافت: «كانت تلك هي المرة الأخيرة التي نسمع منها». لم نرجع إلى البلد إلا بعد أسبوعين من هذا الاتصال لكنها كانت مختفية حينئذ. اتصلنا بها مجدداً عندما وصلنا إلى كوبنهاجن وكذلك عندما حطَّت طائرتنا في كيفلافيك، لكنها لم تُجبْ. وعندما وصلنا إلى شقتها، كانت قد اختفت».

أضاف زوجها، قائلاً: «لم نتمكَّن حقاً من إجراء اتصال هاتفي جيد إلى أن عدنا إلى أوروبا. حاولنا الاتصال بها حينئذ لكنها لم تُجبْ».

أومأ إرلندر برأسه مؤيِّداً. لقد أُجري بحث شامل عن ابنتهما، التي كانت تُدعى غودرون، وتُلقَّب بـ «دونا»، ولكن دون جدوى. استجوبت الشرطة أصدقاءها وزملاءها الطلاب وأقاربها، بيد أن أحداً منهم لم يستطع تفسير اختفائها أو يقدِّم تصوُّر لما يمكن أن يكون قد حدث لها. مشَّطوا الشواطئ في ريكيافيك والمنطقة المحيطة بواسطة قوارب نجاة قابلة للنفخ مسحت الخط الساحلي بأكمله في حين تولَّى الغطاسون البحث تحت البحر. وفيما يبدو، لم يلاحظ أحد تحركات سيارتها، أوستن ميني، أيضاً. ورغم إجراء بحث جوي لكامل منطقة ريكيافيك والطريق الشمالي المؤدي إلى أكيوريري وجميع الطرق الرئيسية، إلا أنهم لم يستطيعوا إيجادها.

قال والدها: «كانت مجرد سيارة عتيقة خربة، حقاً، اشترتها بنفسها من الشمال. لم يكن باستطاعتك الدخول إليها إلا عبر باب السائق، أما باب الراكب فكان عالقاً، ومقابض رفع وإنزال النوافذ كانت مكسورة، ولم يكن الصندوق الخلفي يُفتَح، لكنها رغم ذلك كانت مولعة بها وتقودها إلى كل مكان».

تحدَّث الوالدان عن هوايات ابنتهما، وكان من بينها دراسة البحيرات. كانت تدرس علم الأحياء وتملك اهتماماً خاصاً بالبحيرات والحياة المائية. وقد أخذت عملية البحث عنها هذا الأمر بعين الاعتبار فشملت البحيرات القريبة من ريكيافيك وأكيوريري وعلى الطرق المتجه شمالاً، ولكن دون جدوى.

رفع إرلندر عينيه عن الملف، متسائلاً أين يعيش الزوجان في الوقت الحالي وقد بلغا كلاهما العقد السابع من عمريها، آملاً بأن يكونا مستمتعين بتقاعدهما. لعلهما ما زالا يعيشان في أكيوريري. كانا يتصلان به بين الحين

والآخر خلال السنوات القليلة الأولى لكنه لم يسمع منهما شيئاً منذ مدة طويلة.

أخذ ملف الشاب المفقود من نياردفيك. بدا له أن هناك تفسيراً أكثر وضوحاً لاختفاء هذا الشاب، الذي لم يكن يرتدي ثياباً مناسبة بينما كان يمشي بين القرى، ورغم أن المسافة كانت قصيرة، إلا أن عاصفةً ثلجيةً عنيفةً كانت تضرب المنطقة في تلك الأثناء تسبَّبت ربما بموته. يُرجَّح أن يكون تعثَّر وسقط في البحر وجرفته الأمواج بعيداً عن الشاطئ. ولابد أن كمية الكحول التي شربها، وكانت مفرطة وفق جميع الروايات، قد أعاقت قدرته على إنقاذ نفسه، من خلال إضعاف محاكمته، وطاقته، وإرادته. قامت فرق الإنقاذ المحلية، وعائلة الشاب وأصدقاؤه بتمشيط الخط الساحلي بأكمله من منارة غاردسكاجي إلى ألفتانيس في الأيام التالية، لكن الشاب لم يترك أي أثر وكان لابد من تأجيل البحث مرة بعد مرة بسبب ظروف الطقس القاهرة. لقد باءت جميع الجهود الرامية لإيجاده بالفشل.

اتصل إرلندر مع صديقة ماريا، كارين، لإبلاغها بأنه استمع للشريط الذي تركته في مكتبه. أجريا حواراً مطوّلاً أعطته كارين خلاله أسماء عدة أشخاص كانوا على صلة بماريا. ورغم أنها لم تسأل إرلندر عن سبب رغبته في التوسُّع في القضية، إلا أنها بدت مسرورة لردة فعله.

قرر إرلندر زيارة أحد الأشخاص الذين ذكرتهم كارين، ويُدعى إنغفار، وحدث ذلك في عصر يوم ماطر وبارد. كان الرجل لطيفاً ولم يشكِّك في التوضيح الذي قدَّمه إرلندر بخصوص سبب طرح الأسئلة حول ماريا، حيث ادَّعى بأن الشرطة كانت تشارك في دراسة شاملة حول الانتحار بالتعاون مع الدول الشمالية الأخرى. في الواقع، لم تكن هذه كذبة كاملة، إذ كانت هناك بالفعل دراسة تقوم بها وزارات الشؤون الاجتماعية في دول شمال أوروبا وقد ساهمت الشرطة فيها من خلال تقديم المعلومات. وكان الهدف من تلك الدراسة كشف جذر المشكلة، أو بحسب تعبير تقرير سويدي: دراسة أسباب الانتحار، والتوزيع حسب العمر، والجنس، والطبقة الاجتماعية، ومحاولة تحديد العوامل المشتركة.

استمع إنغفار باهتمام بينما كان إرلندر يصوغ حجته. كان في عقده السادس، وتبدو عليه سمات السماحة والهدوء، وهو صديق قديم للعائلة وصاحب والد ماريا، ماغنوس. بالطبع، لقد صُدم بالخبر وحضر جنازة ماريا، التي وصفها بالجميلة. ووجد إقدام الفتاة على ذلك الفعل اليائس بأنه أمر

غير قابل للفهم.

«رغم علمي بأنها كانت ترزح تحت ضغط كبير».

رشف إرلندر من القهوة التي قدَّمها الرجل له، ثم قال وهو يضع فنجانه على الطاولة: «فهمت أنها تأثَّرت بشدة بوفاة والدها».

أجاب إنغفار: «بشكل فظيع. فظيع للغاية. أتمنى ألا يضطر أي طفل للمرور بمثل تلك المحنة. لقد شَهدَتِ الأمر بأكمله، كما تعلم».

أومأ إرلندر برأسه دلالةً على الموافقة.

تابع إنغفار كلامه: «اشترى ماغنوس وليونورا منزل العطلات بعد فترة قصيرة من زواجهما. كثيراً ما كانا يدعواني وزوجتي العزيزة الراحلة جونا للبقاء معهما في عطل نهاية الأسبوع وما إلى ذلك. كان ماغنوس يمضي وقتاً طويلاً في قاربه. كان مهووساً بالصيد، وكان يمكنه الاستمرار لأيام في كل مرة. كنت أرافقه في بعض الأحيان. حاول حمل ماريا الصغيرة على الاهتمام بالصيد لكنها لم ترغب بالذهاب معه. والشيء نفسه كان ينبطق على ليونورا، فهي لم ترافق ماغنوس في رحلات صيده أبداً».

«إذاً لم يكونا معه على متن القارب؟»

«لا، بالتأكيد لا. كان ماغنوس وحيداً. على أي حال، سيكون بوسعك قراءة ذلك في تقاريركم. في تلك الأيام، لم يكن يهتم الناس كثيراً بارتداء أو حمل سترات النجاة. ولم يكن ماغنوس يملك أي شيء من هذا القبيل معه في القارب عندما كان يذهب للصيد في البحيرة. حسبما أتذكر، كان القارب يأتي مجهزاً بسترتي نجاة، لكن ماغنوس كان يقول دائماً إنه لم يكن بحاجة إليهما وكان يحتفظ بهما في كوخ القارب. بصورة عامة، لم يكن يبتعد كثيراً، بالكاد يغادر الشاطئ».

«لكنه ذهب أبعد قليلاً في تلك المرة؟»

«أجل، صحيح، مما سمعتُه. كان الطقس بارداً على نحو غير عادي في ذلك اليوم. في مثل هذا الوقت من السنة، الخريف».

سكت إنغفار قليلاً، ثم أضاف بشيء من الشرود: «لقد خسرتُ واحداً من أعز أصدقائي بفقدانه».

قال إرلندر: «هذا شيء صعب».

«كان قاربه يملك محركاً خارجياً وعرفنا من الشرطة فيما بعد أن المروحة انفصلت من مكانها وفقد القارب توجيهه وتوقف. لم يكن ماغنوس يملك مجدافين وسقط عن القارب بينما كان يحاول العبث بالمحرك. كان وزنه زائداً ومدخناً شرهاً ولم يكن يتبع أي تمرينات رياضية، ولهذا أفترض

أن هذا لم يساعده. قالت ليونورا إن الريح تسارعت -هبَّة باردة من جبل سكيالدبريد رفعت الأمواج فغرق ماغنوس في ظرف دقائق. بحيرة ثينغفالافاتن باردة جداً في مثل هذا الوقت من السنة. لا أحد يمكنه البقاء فيها على قيد الحياة لأكثر من بضع دقائق».

«لا، بالتأكيد».

«أخبرتني ليونورا بأن القارب لم يكن يبعد أكثر من مائة وخمسين مترا أو نحو ذلك عن الشاطئ. لم يشاهدا ما حدث. لمحا فقط ماغنوس في الماء وسمعا صراخه، الذي انقطع بعد فترة وجيزة».

نظر إرلندر إلى الخارج عبر نافذة غرفة الجلوس فرأى أضواء المدينة تلمع في المطر. من ضجيج حركة المرور، التي كان يستطيع سماعها من داخل المنزل، عرف أنها كانت تتزايد.

تابع إنغفار حديثه، قائلاً: «بالطبع، لقد شكَّل موته صدمة ساحقة بالنسبة لزوجته وابنته. لم تتزوج ليونورا مجدداً. لقد عاشت هي وماريا معاً طوال حياتها الباقية، حتى بعد زواج الفتاة. لقد انتقل زوجها، الدكتور، للعيش معهما ببساطة».

«هل كانتا متديِّنتيْن، الأم والبنت، حسب علمك؟»

«أعرف أن ليونورا كانت تستمد راحة معينة من الدين بعدما حدث في ثينغفيلر. لقد ساعدها ذلك ولاشك أنه ساعد البنت أيضاً. كانت ماريا ملاكاً صغيراً، بكل أمانة. لم تعاني ليونورا معها من أي مشكلة، حتى أبسطها. ثم قابلَتْ ذلك الطبيب -الذي يبدو رجلاً محترماً جداً بالنسبة لي. إنني لا أعرفه بشكل جيد في الواقع، لكنني تحدثت معه قليلاً بعد وفاة ماريا وبالطبع كان حزيناً جداً، كما كنا جميعاً، جميع من كان يعرفها».

قال إرلندر: «كانت ماريا تحمل شهادة في التاريخ».

«أجل، كانت مهتمة بالماضي؛ وقارئة عظيمة. أخذت ذلك من والدتها».

«هل تعرف ماذا كان اختصاصها بالتحديد؟»

«لا، لا أعرف، في الحقيقة».

«هل يمكن أن يكون تاريخ الدين؟»

«في الواقع، أعرف أن اهتمامها في الحياة الأخروية تعزَّز بعد موت والدتها. لقد غمرت نفسها بالروحانية، بأفكار حول الحياة بعد الموت وذلك النوع من الأشياء».

«هل تعرف إذا كانت ماريا تزور وسطاء روحانيين أو أشخاص ذوي قدرات فوق-طبيعية؟»

«لا، لا أعرف شيئاً حول ذلك. إذا حدث ذلك، فإنها لم تخبرني به أبداً. هل سألتَ زوجها؟»

قال إرلندر: «لا. إنها مجرد فكرة خطرت في بالي. هل كانت تبدو لك مكتئبة جداً؟ هل كان باستطاعتك تخيُّل أنها يمكن أن تفعل شيئاً كهذا؟»

«لا، أبداً. التقيتها عدة مرات وتحدثت معها على الهاتف لكنها لم تعطني أبداً انطباعاً بأن هذا يمكن... في الواقع، بل على العكس تماماً. كنت أظن بأنها بدأت تستعيد حالتها الطبيعية. آخر حوار أجريته معها كان قبل بضع أيام من... قبل أن تفعلها. بدت لي أكثر عزماً مما كانت في أوقات كثيرة من قبل، أكثر تفاؤلاً، على الأقل. ظننت بأنني لحظت إشارات على وجود تحسُّن. لكنني أعتقد أن الوضع يكون على هذا النحو في بعض الأحيان».

«ماذا؟»

«أن الناس في حالتها يتحسّنون حالما يتخذون القرار».

«هل يمكنك أن تتخيَّل التأثير الذي يمكن أن يكون قد وقع عليها كطفلة صغيرة عندما شهدت الحادثة في ثينغفيلر؟»

«في الواقع، لا يمكن للمرء، بالطبع، أن يضع نفسه مكانها. في حالة ماريا، لقد تعلَّقت بأمها واستمدَّت كل قوتها وعزاءها منها بعد الحادثة. لم تكن ليونورا تجرؤ على إبعاد عينيها عن الطفلة في تلك الأشهر والسنوات الأولى. لاشك أن حادثة كهذه ستترك أثراً عميقاً وستبقى معك طوال ما بقي من حياتك».

«صحيح. إذن فقد حزنتا معاً».

ظل إنغفار صامتاً، فسأله إرلندر: «هل تعلم لماذا توقف المحرك؟»

«لا. قالوا إن المروحة انفصلت. هذا كل ما عرفناه».

«هل كان يصلح المحرك بنفسه، حينئذ؟»

«ماغنوس؟ لا. لم تكن لديه أدنى فكرة عن ذلك النوع من الأشياء. لم يلمس محركاً في حياته حسب علمي. إذا أردتَ معرفة المزيد حول ماغنوس يمكنك التحدث مع أخته، كريستين. قد تكون قادرة على مساعدتك. تحدَّثْ معها».

في وقت لاحق من ذلك اليوم، ذهب إرلندر لمقابلة صديق مدرسة قديم لماريا يُدعى جوناس ويشغل منصب مدير مالي في شركة منتجات الدوائية. كان جالساً في مكتبه الفسيح مرتدياً طقماً مفصَّلاً أنيقاً وربطة

عنق صفراء فاقعة. كان طويل القامة نحيلاً وذا لحية لم تُحلَق منذ ثلاثة أيام، ليس مثل سيغوردر أولي. عندما اتصل به مسبقاً، بدا جوناس مندهشاً بعض الشيء من التحقيق بشأن انتحار صديقته القديمة من أيام المدرسة، وتساءل بحيرة حول علاقته بالأمر، لكنه لم يطرح أي أسئلة خرقاء.

انتظر إرلندر جوناس كي ينهي اتصالاً هاتفياً قال إنه مضطر للإجابة عليه -فهم إرلندر أنها مسألة خارجية عاجلة. لاحظ صورة لامرأة مع ثلاثة أطفال على أحد الرفوف فافترض أنها عائلة المدير المالي.

قال جوناس حالما أعاد سماعة الهاتف إلى مكانه: «أجل، بشأن ماريا. هل صحيح ما سمعته؟ هل أقدمت على الانتحار؟»

«هذا صحيح».

«لم أستطع صديق ذلك».

«التقيتَها في الجامعة، أليس كذلك؟»

«خرجنا معاً لمدة ثلاث سنوات، اثنتان في المدرسة التكميلية المتقدمة وواحدة في الجامعة. كانت تدرس التاريخ، كما تعرف ربما. كانت تحب ذلك النوع من البحوث».

«هل عشتما معاً، أو ...؟»

«في السنة الأخيرة. إلى أن لم يعد بإمكاني الاحتمال».

سكت جوناس، فانتظره إرلندر.

ثم تابع جوناس كلامه، قائلاً: «لا، كانت أمها...لأقل ذلك بصراحة، كانت تتدخَّل بشكل مفرط. والغريب في الأمر هو أن ماريا لم تكن ترى أي شيء غريب في ذلك. انتقلْتُ للعيش في منزلها في غرافارفوغر لكنني سرعان ما تخليت عن الفكرة كلها. كانت ليونورا هي الأهم ولم أشعر يوماً بأن ماريا كانت لي. ناقشتُ الأمر معها لكنها لم تفهم؛ كانت تريد أن تعيش أمها معها وهذا ما كان. تشاجرنا قليلاً وفي النهاية لم أستطع ببساطة التحمُّل أكثر فابتعدت. لا أعرف إذا افتقدتني ماريا يوماً. لم أرها إلا نادراً منذ ذلك الحين».

قال إرلندر: «لقد تزوجتْ فيما بعد».

«أجل، من طبيب، أليس كذلك؟»

«إذن فأنت لم تفقد الاتصال بها كلياً؟»

«في الواقع، لقد سمعت بالصدفة ولا يمكنني القول إنني تفاجأت».

«هل رأيتها ذات مرة بعد انفصالكما؟»

«ربما مرتين أو ثلاث بالصدفة، في حفلات وشيء من هذا القبيل. كان

ذلك جيداً. كانت ماريا فتاة رائعة. إنه لأمر فظيع للغاية أن تختار إنهاء حياتها بتلك الطريقة».

«بدأ الهاتف الخلوي يرن في جيب إرلندر، فاعتذر وأجاب.

سمع إيفا ليند تقول من الجانب الآخر من الخط: «إنها مستعدة لفعل ذلك».

«ماذا؟»

«مقابلتك».

«من؟»

«أمي. إنها مستعدة لفعل ذلك. لقد وافقت على لقائك».

قال إرلندر وهو يلقي نظرة إلى جوناس الذي كان يمسِّد بصبر ربطة عنقه الصفراء: «أنا في اجتماع».

قال إيفا ليند: «هل أنت مستعد لذلك؟»

«هل يمكنني التحدث معك لاحقاً. إنني في اجتماع».

«فقط قلْ نعم أو لا».

قال إرلندر: «سأتحدث معك لاحقاً». وأنهى الاتصال.

ثم عاد ليسأل جوناس، قائلاً: «هل كان الموت يعني شيئاً معيناً بالنسبة لماريا؟ هل كان أمراً تفكر فيه ماريا كثيراً، قدر ما تسعفك ذاكرتك؟»

«ليس كثيراً، لا أظن ذلك. لم نناقش هذا الموضوع -كنا ما نزال يافعين، في النهاية. لكنها كانت تخاف من الظلام دائماً. هذا هو الشيء الأساسي الذي أذكره بخصوص علاقتنا، رعبها المطلق من الظلام. لم يكن بوسعها البقاء وحيدة في المنزل بعد هبوط الليل. كان هذا سبباً آخر لرغبتها في العيش مع ليونورا، باعتقادي. ومع ذلك...»

«ماذا؟»

«رغم خوفها من الظلمة، أو ربما بسببه، إلا أنها كانت دوماً تقرأ قصص الأشباح، جميع أنواع هذه القصص، الحكايا الشعبية الآيسلندية لجون أرناسون وسوى ذلك. وكانت أفلامها المفضلة هي أفلام الرعب المتعلقة بالأشباح وكل هذا الهراء. كانت تراها، ثم لا تكاد تتجرأ على النوم في الأمسيات. لم تكن قادرة على البقاء لوحدها. دائماً كانت بحاجة لتواجد شخص ما معها».

«مم كانت تخاف؟»

«لم أعرف حقاً لأنني لم أكن أهتم بمثل هذه الأشياء. لم أخف يوماً

من الظلام. ولا أعتقد أنني استمعت إليها بشكل مناسب».

«لكنها كانت منغمسة بشدة في خوفها؟»

«كان الأمر يبدو على هذا النحو بالتأكيد».

«هل كانت حساسة لمحيطها -هل كانت ترى أو تسمع أشياء معينة؟ هل كان خوفها من الظلام نابعاً من شيء شهدَتْه أو كانت تعرفه؟»

«لا أعتقد ذلك. مع أنني أذكر أنها كانت تصحوا أحياناً وتحدِّق بثبات في باب غرفة النوم كما لو أنها كانت ترى شيئاً ما. وبعد ذلك ينقضي الأمر. أظن أنه كان شيئاً باقياً من أحلامها. لم يكن بإمكانها شرح هذا الأمر. أحياناً كانت تعتقد أنها رأت أشكالاً بشرية. دائماً عندما تكون صاحية. كان كل ذلك في عقلها».

«هل كانوا يتحدثون معها؟»

«لا، كان هذا شيئاً فارغاً، مجرد أحلام، كما أقول».

«هل من المهم أن أسألك حول أبيها في هذا السياق؟»

«أجل، بالتأكيد. كان واحداً منهم».

«واحد من أولئك الذين كانت تراهم؟»

«أجل».

«هل كانت تذهب لجلسات تحضير أرواح عندما كنت معها؟»

«لا».

«كنتَ ستعلم بذلك؟»

«أجل. لم تفعل شيئاً كهذا أبداً».

«خوفها من الظلام، أي شكل كان يأخذ؟»

«أوه، الشكل العادي، كما أتوقع. لم تكن تجرؤ على النزول إلى الغسالة في القبو لوحدها. كانت بالكاد تذهب إلى المطبخ لوحدها. كانت دائماً بحاجة لإبقاء جميع الأضواء مفتوحة. وكانت بحاجة لأن تسمعني إذا كانت تتحرك في المنزل في المساء، وخاصة إذا كان الوقت متأخراً في الليل. لم يكن يعجبها خروجي من المنزل، عندما لم أكن أستطيع إمضاء الليل معها».

«هل حاولَتِ الحصول على مساعدة بهذا الخصوص؟»

«مساعدة؟ لا. أليس مجرد شيء... هل يمكنك الحصول على مساعدة من أجل الخوف من الظلام؟»

في الحقيقة، لم يكن إرلندر يعلم، لذا قال: «ربما. من أخصائي نفسي أو شخص من هذا النوع».

«لا، لا شيء من هذا القبيل، على الأقل ليس عندما كنت معها. ربما يتوجَّب عليك أن تسأل زوجها».

أومأ إرلندر برأسه موافقاً، ثم نهض وقال: «شكراً على مساعدتك».

قال جوناس، وهو يمرر يده من جديد على ربطة عنقه الصفراء: «على الرحب والسعة».

10

ظلت زيارة الرجل العجوز إلى مركز الشرطة للسؤال عن أخبار حول ابنه المفقود تنهش ذهن إرلندر، الذي كان يتمنى بصدق لو كان هناك شيء يمكنه فعله من أجله، رغم علمه بعدم قدرته على تحقيق ما يستحق الذكر عملياً. لقد أُهملت القضية منذ زمن طويل واعتُبرت قضية شخص مفقود لم تُحَل. ومع أن فرضية الانتحار كانت التفسير الأرجح لهذه القضية، وقد ناقش إرلندر هذ الفرضية المحتملة مع الوالدين العجوزين فيما مضى، إلا أنهما رفضاها كلياً. بالنسبة إليهما، لم تخطر مثل هذه الفكرة أبداً في ذهن ولدها ولم يحاول فعل أي شيء من هذا القبيل. كان شاباً سعيداً ومليئاً بالحياة ولم يحلم يوماً بقتل نفسه.

وقد لقي رأيهما هذا كل التأييد من أصدقائه الذين قابلهم إرلندر في حينه، حيث رفضوا على نحو مطلق فكرة أن يكون ديفيد قتل نفسه، معتبرينها فكرة سخيفة، رغم أنهم لم يقدِّموا أي إضاءة مهمة حول سواها. ولم يكن ديفيد يختلط مع أنماط من الأشخاص يمكن أن يؤذونه، إذ كان ببساطة شاباً عادياً جداً ينهي مدرسته التكميلية المتقدمة ويخطط لدراسة القانون في الجامعة مع اثنين من أعز أصدقائه في الخريف التالي.

جلس إرلندر في مكتب ثورستين، أحد هذين الصديقين، بعد عقود على آخر مرة تحدثا فيها حول اختفاء الشاب. لقد حصل ثورستين على شهادة الحقوق، وعُيِّن مستشاراً في المحكمة العليا ويدير حالياً شركة قانونية كبيرة مع شريكيْن آخريْن. لقد زاد وزنه كثيراً عما كان عليه في أوائل عشرينياته، وفَقَدَ معظم شعره، وأحدث الإرهاق أكياساً أسفل عينيه. تذكَّر إرلندر الشابَّ الذي التقاه قبل نحو ثلاثين عاماً؛ كان يافعاً، نحيفاً، قوي البنية مقبلاً على الحياة، التي خلَّفت أثرها عليه، محوِّلةً إياه إلى رجل متوسط العمر منهك القوى.

قال المحامي: «لماذا عدت إلى هنا لطرح الأسئلة حول ديفيد؟ هل هناك خبر جديد؟» ثم ضغط على زر الإنترفون وطلب من سكرتيرته عدم إزعاجه.

حدث هذا اللقاء بعد يومين من تحدثه مع الحبيب السابق لماريا. أبدت إلينبورغ تذمُّرها من تضييع وقته على ملفات قديمة تتعلق بأشخاص مفقودين وعدم فعله أي شيء يخص العمل في تلك الأيام. طلب إرلندر منها ألا تُزعج رأسها بشأنه، فردَّت عليه بحدة: «لست قلقة عليك. أنا

قلقة بخصوص أموال دافعي الضرائب».

قال إرلندر رداً على ثورستين: «لا، لا يوجد خبر جديد. أعتقد أن أباه يحتضر. وهذه هي الفرصة الأخيرة لفعل شيء ما قبل رحيله عن الحياة».

قال المحامي: «أفكر فيه بين الحين والآخر. ديفيد وأنا كنا صديقين رائعين وإنه لشيء محزن ما حصل له. محزن جداً».

قال إرلندر: «أعتقد أننا فعلنا كل ما بوسعنا».

«لا أشك في ذلك. أذكر كم كنتَ مخلصاً. كان هناك ضابط آخر معك...؟»

«ماريون برايم. تولَّينا القضية سوياً. توفي ماريون في تلك الفترة. هل كنت مسافراً في الريف عندما اختفى؟»

«أجل، والداي من كيركيوبايركلاوستر. كنت معهما هناك في زيارة. بقينا هناك لمدة أسبوع أو نحو ذلك. ولم أسمع بشأن ديفيد إلا بعد عودتي إلى المدينة».

«ذكرْتَ حواراً هاتفياً أجريتَه معه، آخر حوار بينكما. عندما كنتَ في كيركيوبايركلاوستر. هو اتصل بك».

أجل. سألني متى كنت سأعود إلى المدينة».

«أراد إخبارك بشيء ما».

«أجل».

«لكنه لم يقل ما هو».

«لا. كان متكتماً للغاية، لكنه بدا مبتهجاً. كان خبراً جيداً ذاك الذي أراد إبلاغي به، وليس خبراً سيئاً. طلبت منه أن يخبرني بشكل محدد، فضحك. طلب مني عدم القلق، وبأن كل شيء سيتوضَّح».

«وهل كان مسروراً بخصوص خبره؟»

«أجل».

«أعلم أننا طرحنا عليك كل هذه الأسئلة حينئذ».

«صحيح. ولم أستطع مساعدتكم. ليس أكثر مما يمكنني فعله الآن».

«وليس هناك أي شيء آخر غير ما قلته حينئذ: بأنه كان يملك خبراً ليبلغك إياه، وأنه كان سعيداً بهذا الخبر».

«هذا صحيح».

«لم يكن والداه يعرفان ماذا يمكن أن يكون».

«لا، يبدو أنه لم يخبرهما».

«هل لديك أي فكرة عما يمكن يكون؟»

«مجرد تخمينات. بعد فترة طويلة من الحادثة، خطر لي بأن الخبر يمكن أن يتعلق بفتاة، بأنه وقع في حب فتاة ما، لكنني أخمِّن فقط. لا أعتقد أن الفكرة خطرت في ذهني إلا حين التقيت مع جيلبرت مرة أخرى».

«لم يكن ديفيد يملك صديقة حين اختفائه؟»

قال المحامي مبتسماً: «لا، لا أحد منا كان يملك صديقة. لسبب ما، ينتابني شعور بأنه كان سيكون آخر واحد يحصل على صديقة منا نحن الشباب. كان خجولاً إلى درجة كبيرة جداً فيما يتعلق بهذه الأمور. هل تحدَّثتَ مع جيلبرت؟»

«جيلبرت؟»

«انتقل إلى الدانمارك تقريباً في نفس الوقت الذي اختفى فيه ديفيد. لقد عاد إلى آيسلندا الآن. أتصوَّر أنه ربما يكون الشخص الوحيد الذي لم تقابلوه».

«آه أجل، أتذكَّر بصعوبة. لا أظن أننا تمكَّنا من الوصول إليه».

«كان ذاهباً للعمل في فندق في كوبنهاجن لمدة عام لكنه أحب المكان لدرجة أنه بقي فيها. تزوَّج امرأة دانماركية. لم يعد إلى البلد إلا منذ عشر سنوات تقريباً. يتصل بي من حين لآخر. تولَّد لدي انطباع مرةً، مما قاله لي، بأن ديفيد التقى بفتاة. على الأقل، هذا ما كان يعتقده جيلبرت، لكن الأمر كله كان ضبابياً».

«ضبابياً؟»

«أجل. جداً».

في ذلك المساء، بعد أن انتهى من تناول الطعام واستقر في كرسيه استعداداً للقراءة، اتصلت به صديقته فالجردر لتحاول جرَّه للذهاب برفقتها إلى المسرح. كان المسرح الوطني يعرض مسرحيةً كوميدية مشهورة تريد مشاهدتها وكانت تتمنى أن يذهب إرلندر معها، غير أن ردّ فعله لم يكن متحمساً لأن المسرح كان يُشعره بالضجر. ولم تفلح فالجردر سابقاً في إقناعه بالذهاب إلى السينما أيضاً. أما النشاط الثقافي الوحيد الذي لم يكن يكرهه تماماً فهي الحفلات الموسيقية، مثل الموسيقا الكورالية، والعروض الموسيقية الفردية، وحفلات الأوركسترا السيمفونية. وآخر حفلة حضرها مع فالجردر كانت لجوقة مختلطة من سفارفادارداالر، وكان بين أعضائها أحد أقرباء فالجردر. تضمَّن البرنامج قصائد ملحَّنة للشاعر ديفيد ستيفانسون. واستمتع

إرلندر بالحفلة استمتاعاً كاملاً.

قالت فالجردر على الهاتف: «يُفترَض أن تكون المسرحية مسلية جداً. كوميديا خفيفة. سوف تفيدك».

قال إرلندر بوجه متجهم: «حسناً. متى العرض؟»

«غداً مساءً. سأقلُّك».

سمع نقراً على بابه فودَّع فالجردر وذهب ليفتح الباب فوجد إيفا ليند واقفةً مع سيندري في الخارج. حيَّا والديهما ثم دخلا وجلسا في غرفة الجلوس، وأشعل كل منهما سيجارة.

قال إرلندر: «ماذا قلت لذينك الشخصين في الطابق الأعلى؟ لم أسمع صوت صفير منهما منذ أن تحدثتَ معهما».

رسم سيندري ابتسامة كبيرة. لقد ذُهل إرلندر حقاً من عدم سماع هدير موسيقا الروك الصاخبة من الأعلى وكان يتساءل بشأن ما يمكن أن يكون سيندري قد قاله ليجعل الزوجين أخيراً يُظهران بعض المراعاة لجيرانهما.

«أوه، كانا وادعين إلى حد كبير؛ فتاة مع حلقة في أنفها وشاب غريب الأطوار بعض الشيء. قلت لهما إنك محصِّل ديون مأجور. وأنك تُسجَن بين الحين والآخر للتسبب بـ GBH (أذى جسدي بالغ) وأنك بدأت تشعر بالغضب من الضجة».

قال إرلندر: «ظننت أنهما تركا الشقة».

قالت إيفا ليند وهي تحدق في عيني أخيها: «أيها الغبي. هل بدأت تكذب من أجله الآن؟»

قال سيندري مبرراً: «كان ضجيجاً فظيعاً».

قالت إيفا ليند موجِّهة كلامها لأبيها: «هل فكَّرت في الأمر؟ حول أمي. سوف تقابلها، أليس كذلك؟»

لم يتسنَّ لإرلندر الوقت الكافي للتفكير فيما كانت إيفا تحاول تدبيره. ولكن، رغم أنه لم يكن يرغب في رؤية زوجته السابقة، وأم ولديه، إلا أنه لم يكن يريد أيضاً الظهور بمظهر الرافض لمبادرة إيفا، وخاصة بعد أن بدأت تطوِّر اهتماماً جديداً.

فسألها بعد لحظة تفكير: «ما الذي تريدين تحقيقه؟»

نقَّل إرلندر نظره بين الأخ وأخته بينما كانا جالسين على الأريكة قبالته. لقد أصبحت زياراتهما تزداد تواتراً على نحو تدريجي، بدءاً بسيندري، بعد عودته إلى ريكيافيك من الشرق حيث كان يعمل في مصنع للأسماك،

ومن ثم إيفا ليند، بعد تخفيف تعاطيها للمخدرات. كانت زياراتهما تعني الكثير لإرلندر، وبشكل خاص عندما كانا يأتيان معاً. وكان يحب مراقبة علاقتهما، التي بدت له بأنها جيدة. كانت إيفا ليند تمثِّل الأخت الكبرى الآمرة وتتبنى في بعض الأحيان دوراً أبوياً حيث كانت توبِّخ سيندري حين تستاء منه. ظن إرلندر بأنها أُعطيت مسؤولية الاهتمام بأخيها في بعض الأحيان عندما كانا صغيرين. ومع أن سيندري كان يردُّ عليها بكل ما يملك، إلا أنه لم يكن يُظهر أي مشاعر سيئة أو نفاذ صبر منها.

قالت إيفا ليند: «أعتقد فقط أن هذا سيكون جيداً لكليكما. لا أفهم لماذا لا يمكنكما حتى التحدث معاً».

«لماذا تريدين التدخُّل؟»

«لأنني ابنتكما».

«ماذا قالت؟»

«آه، كما تعلم، إنها ستفعل ذلك. ستقابلك».

«هل اضطُررتِ للضغط عليها كثيراً؟»

«أجل. أنتما لا تقلّان سوءاً عن بعضكما البعض. لا أعلم لماذا انفصلتما أساساً».

«لماذا يشكِّل هذا الأمر أهمية كبيرة بالنسبة إليك؟»

«ينبغي أن تكونا قادرين على التحدث معاً. لا أريد أن يستمر الوضع على هذا النحو أكثر من ذلك. أنا... وسيندري أيضاً، لم نركما معاً قط. ولا لمرة واحدة. ألا تجد ذلك غريباً؟ هل تعتقد أن هذا طبيعي؟ أن ولديكما لم يشاهداكما معاً أبداً؟ والداهما؟»

تساءل إرلندر: «هل هذا شيء غير عادي في هذه الأيام؟» ثم أضاف موجِّهاً كلامه لسيندري: «هل أنت عازم على هذا الأمر مثلها؟»

قال سيندري: «إنني لا أبالي حقاً. تحاول إيفا أن تجرَّني إلى ذلك لكنني حقاً لا-»

قاطعته إيفا ليند، قائلةً: «أنت لا تعرف أي شيء لعين».

«لا، صحيح. لا فائدة من محاولة القول لها بأن هذا هراء. إذا كان لديك أنت وأمي أدنى اهتمام بالتحدث معاً، لكنتما فعلتما ذلك مسبقاً. إيفا تدسُّ أنفها وحسب، كما تفعل دائماً. لا يمكنها التوقف عن فعل ذلك. تدسُّ أنفها في كل مكان، وخاصة عندما لا يكون لها أي علاقة بالأمر».

نظرت إيفا ليند بغضب إلى أخيها وقالت: «أنت غبي».

قال إرلندر: «أعتقد بأن عليك أن تتخلي عن هذا الأمر. إنه...»

قالت إيفا: «إنها مستعدة لذلك. لقد تطلَّب مني الأمر شهرين لإقناعها. ليس لديك فكرة عن الموقف الذي اضطُّررت لوضع نفسي فيه».

«انظري، أنا أفهم ما تحاولين فعله ولكن بكل جدية لا أعتقد أنني أستطيع إجبار نفسي على فعل ذلك».

«لم لا؟»

«إنه... لقد انتهى الأمر بيني وبين أمك منذ وقت طويل ولن يفيد أحداً استحضار كل ذلك الآن. إنه ماض. انتهى. أعتقد بأن من الأفضل النظر إلى الأمر على هذا النحو وأن نحاول التركيز بدلاً من ذلك على المستقبل».

قال سيندري لأخته: «أخبرتك».

«التركيز على المستقبل! هراء!»

قال إرلندر: «هل فكَّرت في الأمر ملياً، إيفا؟ هل تخطط للمجيء إلى هنا؟ هل يُفترَض بي أن أزورها؟ أم سنتقابل على أرض محايدة؟»

نظر إليها وهو يفكر في حقيقة أنه استخدم للتو مصطلحاً من الحرب الباردة بينما كانت يتحدث عن زوجته السابقة.

قالت إيفا ليند باستهجان: «أرض محايدة! ماذا يشبه برأيك التعامل معكما أنتما الاثنين؟ أنتما غريبا الأطوار، كلاكما».

نهضت وقالت: نحن لسنا سوى نكتة سمجة بالنسبة إليك. أنا وأمي وسيندري، نحن لسنا سوى نكتة!»

قال إرلندر: «هذا ليس صحيحاً مطلقاً يا إيفا. أنا حقاً لم-»

قاطعته إيفا ليند قائلة: «أنت لم تُعرْنا أدنى اهتمام! لم تستمع لكلمة واحدة كنا بحاجة لقولها!»

وقبل أن يعي إرلندر وسيندري ما يحصل كانت قد اندفعت خارجةً من الباب وصفقته وراءها بقوة شديدة لدرجة أن المبنى بأكمله ردَّد صدى الارتطام.

قال إرلندر متسائلاً، وهو ينظر إلى ابنه: «ماذا...؟ ماذا حدث؟»

رفع سيندري كتفيه، ثم قال: «إنها على هذا النحو منذ أن أقلعت عن التعاطي. حساسة إلى درجة غير معقولة. لا يمكنك أن تقول كلمة واحدة دون أن تفقد صوابها».

«متى بدأت هذه المسألة المتعلقة برغبتها في أن نلتقي أنا وأمك؟»

«إنها تتحدث دائماً بهذه الطريقة. منذ أن أصبح بإمكاني التذكُّر. إنها تعتقد... أوه، لا أعرف. إيفا مليئة بالسخافات».

«لم أسمعها أبداً تتحدث عن أشياء سخيفة. ماذا تعتقد إيفا؟»
«قالت إن ذلك يمكن أن يساعدها».
«ماذا؟ ما الذي يمكن أن يساعدها؟»
«إذا أنت وأمي... إذا لم تكن الأمور بهذا السوء بينك وبين أمي».
حدَّق إرلندر في ابنه، وقال: «هي قالت ذلك؟»
«أجل».
«قد يساعدها ذلك في السيطرة على حياتها؟»
«شيء من هذا القبيل».
«إذا حاولنا أنا وأمك التصالح؟»
قال سيندري وهو يطفئ سيجارته: «إنها تريدكما أن تتحدثا معاً فقط. لمَ هذا الأمر معقد إلى هذه الدرجة؟»

بقي إرلند صاحياً بعد ذهاب ولديه يفكِّر في منزل يقع في شرق البلاد اعتُقد ذات يوم بأنه مسكون. كان منزلاً خشبياً مكوَّناً من طابقين بناه تاجر دانماركي قُبيْل نهاية القرن التاسع عشر. في الثلاثينيات من القرن العشرين انتقلت عائلة من ريكيافيك لتسكن فيه، وبعد ذلك بفترة قصيرة بدأت تنتشر قصص تتحدث حول ربة المنزل التي كانت تسمع باستمرار صوت طفل يبكي خلف الألواح الخشبية لجدران غرفة الجلوس. لم يذكر أحد من قبل شيئاً كهذا ولم يكن باستطاعة أحد سماع صوت البكاء غير ربة المنزل عندما تكون لوحدها في المنزل. ورغم أن زوجها كان يقول لها باستخفاف إن الصوت يعود لقطط محلية، إلا أنها كانت تصرِّ بعناد على عدم صحة ذلك. ومع الوقت أصبحت المرأة تخاف من الظلام والأشباح، وبدأت تعاني من كوابيس وتشعر بعدم الارتياح في المنزل بشكل عام. وفي النهاية لم تعد تستطيع الاحتمال أكثر فأقنعت زوجها بالانتقال من المنطقة، وعادا إلى ريكيافيك بعد إمضاء ثلاث سنوات فقط في الشرق. بيع المنزل لعائلة محلية لم تلاحظ أي شيء غير عادي.

وبعد فترة قصيرة من العام 1950، اهتم رجل بقصة ربة المنزل والطفل الباكي، وبدأ الاستقصاء عن تاريخ المنزل، فوجد أن عدة عائلات عاشت فيه منذ أن باعه التاجر الدانماركي، كان بينها ثلاث عائلات في فترة واحدة، ولكن لم يأتِ أحد منهم على ذكر طفل يبكي خلف ألواح جدران غرفة الجلوس. ولدى التنقيب أكثر في تاريخ المنزل المبكر بحثاً عن أي صلة لطفل به، اكتشف الرجل أن التاجر الدانماركي الذي بناه كان لديه ثلاث

بنات عشن جميعاً حتى سن متقدمة. ولم يكن لدى خدم التاجر أي أولاد. لكنه عندما وصل إلى تاريخ إنشاء المنزل، اكتشف وجود نجّاريْن رئيسييْن، أحدهما استلم العمل من الآخر. وكان لدى النجار السابق الذي استقال طفلة عمرها سنتين توفيت في حادثة في الموقع الذي بُنيت فيه غرفة الجلوس لاحقاً، حيث وقعت عليها كومة من العوارض الخشبية من مكان مرتفع فقتلتها على الفور.

سمع إرلندر قصة المنزل المسكون في شبابه من أمه التي سمعتها مباشرة من الرجل الذي كشف حكاية ابنة النجار. كان ذلك الرجل يستثني كلياً احتمال أن تكون ربة المنزل قد علمت أي شيء حول بناء المنزل. أما إرلندر وأمه فلم يعرفا ما يمكن أن يستخلصاه من القصة.

ماذا تخبرنا هذه القصة حول الحياة والموت؟

هل كانت المرأة القادمة من ريكيافيك أكثر حساسية للتأثيرات الماورائية من الناس الآخرين، أو هل سمعت قصة ابنة النجار واستجابت على ذلك النحو بسبب معاناتها من خيال مفرط النشاط؟

وإذا كانت أكثر حساسية من الناس الآخرين، فما هو بحق الله ذاك الشيء الذي كان يكمن خلف الألواح الخشبية لجدران غرفة الجلوس؟

11

كانت المرأة تتذكَّر بوضوح الفترة التي بدأت فيها ماريا وبالدفين الخروج في مواعيد. كان اسمها ثورغردر، وكانت امرأة طويلة وذات عظام عريضة، وشعر طويل داكن. لقد درسَت التاريخ مع ماريا في الجامعة لمدة سنتين ثم تركتها وتحوَّلت لدراسة التمريض، لكنها ظلت على تواصل وثيق مع ماريا منذ أيامهما الدراسية. وكانت كثيرة الكلام ولا تخجل مطلقاً من الحديث مع ضابط شرطة مثل إرلندر، حتى أنها تحدثت دون أن يسألها إرلندر حول محاولة سرقة شهدتها بنفسها عندما كانت في إحدى الصيدليات حيث اندفع رجل مقنع بسرعة إلى الصيدلية حاملاً سكيناً وهدَّد البائعة.

قالت ثورغردر: «كان مثيراً للشفقة حقاً. مدمن على المخدرات. قبضوا عليه على الفور وتوجَّب علينا نحن المتواجدين التعرُّف عليه. كان ذلك سهلاً إذ كان ما يزال يرتدي نفس الملابس الرثة. لم تكن هناك حاجة للقناع. شاب جذاب للغاية».

ابتسم إرلندر وتذكَّر سيغوردر أولي، الذي كان سيقول،'فرد من الطبقة السفلية' -إحدى المصطلحات التي جلبها معه من أميركا. بالنسبة لسيغوردر أولي، لم يكن هذا المصطلح ينطبق فقط على المدمنين، الذين كان يصفهم بالفاشلين كلياً، وإنما أيضاً على أي شخص آخر لم يكن يعجبه لأي سبب كان: موظفون غير متعلِّمين، مساعدون في المحال التجارية، عمال، وحتى الحرفيون، كل هؤلاء كانوا يثيرون استياءه. سافر ذات مرة إلى باريس بواسطة طائرة مؤجَّرة لقضاء عطلة نهاية أسبوع مع بيرغثورا، وأحس بالاشمئزاز عندما ثمل معظم المسافرين الآخرين، الذين كانوا في طريقهم لقضاء إجازاتهم السنوية، وأشاعوا الصخب في الطائرة. ولزيادة الطين بلة، راحوا يصفقون ويهللون عند هبطت الطائرة بسلام في باريس. حينئذ، قال لبيرغثورا بنبرة ملؤها القرف والاحتقار لسلوك الطبقة السفلية: «عوام».

حوَّل إرلندر الحوار بشكل سلس إلى ماريا وزوجها قبل أن تدرك ثورغردر بأنها كانت تخبره كل شيء عن اختصاص التاريخ الذي تركته وحول صديقتها ماريا التي قابلت الطبيب المستقبلي في ديسكو للطلاب.

قالت: «سوف أفتقد ماريا. بالكاد يمكنني التصديق حتى هذه اللحظة بأنها رحلت بتلك الطريقة. المسكينة، لابد أنها لم تكن في حال جيدة».

قال إرلندر مذكِّراً إياها: «عرفتما بعضكما في الجامعة، كما تقولين؟»

قالت ثورغردر وهي تشبك ذراعيها فوق صدرها: «أجل، كانت ماريا

مولعة تماماً بالتاريخ. مولعة بالماضي. أما أنا فكنت أشعر بالملل حتى النخاع. كانت معتادةً على الجلوس في المنزل وطباعة كل ملخَّصاتها. لم أعرف أي شخص آخر يكبِّد نفسه هذا العناء. وكانت طالبة جيدة، وهذا أمر لا يمكنك قوله بالتأكيد عن جميعنا الذين درسنا التاريخ».

«هل كنتِ تعرفين بالدفين؟»

«في الواقع، فقط بعد أن أصبح هو وماريا معاً. كان بالدفين شاباً رائعاً. كان يدرس التمثيل لكنه تخلى عنه نوعاً ما عندما بدآ الخروج معاً. لم يكن يملك في الحقيقة ما يجب أن يملكه الممثل من خصائص، بكل وضوح».

«أوه؟»

«أجل، أو هذا ما سمعته -بأن من الأفضل بالنسبة إليه اختيار الطب. كانوا عصبة رئعة، طلاب المسرح، دائماً يضحكون. أشخاص مثل أوري فيلدستيد، الذي يُعتبَر من الأسماء الكبيرة اليوم. ليليا وسايبيورن -لقد تزوَّجا. إينار فيفيل. كلهم أصبحوا نجوماً. على أي حال، تحوَّل بالدفين إلى الطب وتابع التمثيل إلى جانب الدراسة لبعض الوقت، لكنه توقف في نهاية المطاف».

«هل ندم على فعله ذلك، على حد علمك؟»

«لا، ليس كما سمعت. رغم أنه ما يزال شديد الاهتمام بالمسرح. لقد حضرا الكثير من المسرحيات وكانا يعرفان أشخاصاً كثراً في عالم الفن، ويملكان أصدقاء في جميع المسارح».

«هل تعرفين ما هو نوع العلاقة التي كانت تربط بالدفين مع ليونورا؟»

«في الحقيقة، بالطبع لقد انتقل للعيش في منزل ماريا، وكانت ليونورا -وهي شخصية قوية جداً- تعيش هناك أيضاً. كانت ماريا تقول لي أحياناً إن أمها كانت تحاول التحكم بهما وأن ذلك كان يزعج بالدفين».

«ماذا عن ماريا؟ ما هي الحقبة التاريخية التي كانت مهتمة بها؟»

«كانت تهتم فقط بالعصور الوسطى، المادة التي أجدها الأشد إثارة للضجر. دَرَسَتْ سفاح القربى وأولاد الزنا والقوانين والعقوبات المرتبطة بهما. وكانت أطروحتها الختامية حول عمليات الإغراق في ثينغفيلر. كانت مليئة بالمعلومات. لقد نقَّحْتُ مسودة الأطروحة من أجلها».

«عمليات الإغراق؟»

قالت ثورغردر: «أجل، إعدام الزانيات في بركة الإغراق وسوى ذلك».

ظل إرلندر صامتاً. كانا يجلسان على مقعد في قاعة الانتظار في المستشفى التي كانت ثورغردر تعمل فيها. مرَّت امرأة عجوز ببطء بجانبهما متعكّزةً على إطار زيمر. كان هناك مجموعة من طلاب الطب يقفون في مكان قريب يقارنون بين ملخصاتهم.

تابعت ثورغردر، قائلةً: «بالطبع، هذا منسجم «.

فسألها إرلندر: «ما هو المنسجم؟»

«في الواقع، لقد سمعت أنها... سمعت أنها شنقت نفسها. في منزل عطلاتها في ثينغفيلر».

نظر إرلندر إليها دون أن يجيب.

فقالت ثورغردر بارتباك عندما لم تتلقَّ أي رد فعل: «ولكن بالطبع لا علاقة لي بذلك».

«هل تعلمين إذا كان لديها أي اهتمام بالماورائيات؟»

«لا، لكنها كانت تفزع من الظلام. دائماً كانت كذلك، منذ أن عرفتها لأول مرة. لم يكن باستطاعتها العودة إلى المنزل من السينما لوحدها، على سبيل المثال. كنتَ مضطراً دائماً للذهاب معها. ورغم ذلك، ذهبَتْ لمشاهدة جميع الأفلام الأشد رعباً».

«هل تعرفين لماذا كانت تخاف إلى تلك الدرجة من الظلام؟ هل تحدثتْ يوماً حول هذا الأمر؟»

قالت ثورغردر: «أنا...» ثم سكتت.

ألقت نظرة إلى الرواق كما لو أنها كانت تريد التأكد من أن أحداً لم يكن يُصغي. كانت المرأة العجوز قد وصلت إلى نهاية الرواق وتقف هناك وكأنها لا تعرف ما ستفعله تالياً، وكأن الهدف من جولتها تلك تاه منها في مكان ما خلال سيرها البطيء والمؤلم عبر الممر. ومن مكان بعيد كان المذياع يبث أغنية قديمة مفضلة: كان يحب البحر، ثوردر العجوز...

«لدي شعور بأنها لم تكن... ثمة شيء ما يتعلق بما حدث عند بحيرة ثينغفالافاتن. عندما توفي والدها».

«ماذا؟»

«إنه شعور خالجني منذ وقت طويل حول ما حدث في بحيرة ثينغفالافاتن عندما كانت طفلة صغيرة. كنتَ تجد ماريا في بعض الأحيان شديدة الاكتئاب، ومفرطة الحيوية في أحيان أخرى. لم تذكر أبداً بأنها كانت تتناول أي أدوية، لكن تقلُّبات مزاجها الشديدة لم تبدُ طبيعية لي في بعض الأحيان. ذات مرة، منذ مدة طويلة عندما كانت غارقة في اكتئاب شديد،

كنت معها في منزلها في غرافارفوغر فإذا بها تبدأ بالكلام حول بحيرة ثينغفالافاتن. كانت تلك هي المرة الأولى التي أسمع فيها بالقصة، فهي لم تثر الموضوع أمامي أبداً من قبل، وعلى الفور انتابني شعور بأنها كانت مسكونة بالذنب حيال ما حصل».

«لماذا كانت تشعر بالذنب؟»

«حاولتُ مناقشة الأمر معها لاحقاً لكنها لم تفصح عن مشاعرها مجدداً كما فعلَتْ في المرة الأولى. أحسستُ بأنها كانت حذرةً دوماً بسبب ما حصل لكنني مقتنعة تماماً بأن هناك ما كان يقلقها، شيء لم يكن باستطاعتها إخبار أحد به».

«بالطبع، ما حدث كان أمراً فظيعاً. لقد شاهدت أبيها يغرق».

«بالطبع».

ماذا قالت؟»

«قالت إنه ما كان ينبغي عليهم الذهاب إلى منزل العطلات».

«هل هذا كل شيء؟»

«و...»

«نعم؟»

«وأنه ربما كان ينبغي أن يموت؟»

«والدها؟»

«أجل، والدها».

انفجر الجمهور بالضحك، بمن فيه فالجردر، أما إرلندر فاكتفى برفع حاجبيه. كان الزوج قد ظهر على نحو غير متوقع عند الباب الثالث وأطلق صرخة غريبة لدى مشاهدته زوجته في ذراعي كبير الخدم. دفعت الزوجة كبير الخدم عنها وهي تصرخ قائلةً إنه كان يحاول التهجُّم عليها، فأظهر كبير الخدم تعبيراً كما لو أنه كان يقول، «في أحلامك!» فدوَّت عاصفة أخرى من الضحك. التفتت فالجردر، المشرقة بابتسامة عريضة، إلى إرلندر فأحسَّت بسأمه. داعبت ذراعه فابتسم لها.

وبعد العرض ذهبا إلى مقهى حيث طلب إرلندر شارتروز مع قهوته في حين طلبت فالجردر كيك شوكولاته ساخنة مع الآيس كريم، ومشروباً كحولياً حلواً. ناقشا المسرحية التي استمتعت بها فالجردر، بعكس إرلندر، الذي أشار إلى وجود تناقضات في الحبكة.

فقالت فالجردر: «أوه إرلندر، إنها مسرحية هزلية فقط. لا يُفترَض بك

أن تأخذها بهذه الجدية. يُفترَض بك أن تضحك وتنسى نفسك. لقد وجدتُها ملسية جداً».

«أجل، لقد ضحك الناس كثيراً بالتأكيد. لستُ معتاداً على ارتياد المسرح. هل تعرفين ممثلاً يُدعى أوري فيلدستيد؟»

تذكَّر ما قالته ثورغردر حول أصدقاء بالدفين من الممثلين. أما هو فلم يكن يعرف أي شيء تقريباً حول عالم المشاهير.

قالت فالجردر: «بالطبع أعرفه. لقد رأيتَه في البطة البرِّية».

«البطة البرِّية؟»

«أجل، كان هو الزوج. أكبر قليلاً من الدور، ربما، لكنه... ممثل جيد جيداً».

«أجل، صحيح».

لقد نجحت فالجردر، الشغوفة بالمسرح، في جرِّ إرلندر معها إلى عدد من المسرحيات. في البداية، اختارت له مسرحيات جدّية وهامة، لمسرحيين كبار من أمثال إسبين وستريندبيرغ، آملةً بأن تنال إعجابه، لكنها اكتشفت بأنه كان سئماً، فجرَّبت المسرحيات الكوميدية، غير أن حظها لم يكن أوفر فيها أيضاً، اذ كانت برأيه غير مقبولة نهائياً. لكنه استمتع بالفعل بعرض كئيب لمسرحية موت بائع، مع أن ذلك لم يفاجئ فالجردر بكل معنى الكلمة.

كان المقهى شبه فارغ، إلا من موسيقا عذبة تُبَثُّ من مكان ما فوق رأسيهما. بدت لإرلندر بأنها موسيقا أغنية «موون ريفر» لسيناترا، لأنه كان يملك تسجيلاً لهذه الأغنية بصوت سيناترا. كما أنه حضر ذات يوم فيلماً في السينما -نسي اسمه- غنَّت فيه ممثلة جميلة هذه الأغنية. لم يكن هناك أشخاص كثر في الخارج في ذلك الطقس الخريفي البارد. كانوا يمرُّون بخطوات سريعة بجانب نافذتهما، متدثِّرين بجاكيتات سميكة أو معاطف مطرية؛ أشخاص بلا وجوه، وبلا أسماء، لديهم عمل ما في المدينة في تلك الساعة المتأخرة.

قال إرلندر وهو يرشف من مشروبه الكحولي: «إيفا تريد منا أنا وهالدورا أن نلتقي».

قالت فالجردر: «أوه».

«تريدنا أن نحاول تحسين علاقتنا».

«هذا منطقي، أليس كذلك؟» كانت فالجردر تقف دوماً في صف إيفا ليند عندما يُذكَر اسمها في سياق حوار بينهما. «لديكما ولدان. من الطبيعي

أن يكون بينكما نوع من الاتصال. هل هي مستعدة لمقابلتك؟»

«هذا ما تقوله إيفا».

«لماذا لم تتواصلا طوال هذه السنين؟»

قال إرلندر: «كلانا لم نُرِدْ ذلك».

«لابد أن هذا كان صعباً عليهما. على سيندري وإيفا».

لم يُجب إرلندر، فسألته فالجردر: «ما هو أسوأ ما يمكن أن يحدث؟»

«لا أعرف. لقد أصبحَتْ بعيدة جداً. علاقتنا. الحالة التي كنا فيها. حياة بأكملها انقضت منذ أن كنا نعيش معاً. عمَّ سنتحدث؟ لماذا نبش الماضي الآن؟»

«لعل الزمن شفى الجراح».

«لم يَبْدُ الأمر كذلك عندما التقيت بها مصادفةً منذ بضع سنوات. لم تنسَ أي شيء».

«لكنها تريد أن تلتقي بك الآن؟»

«على ما يبدو، أجل».

«لعلها إشارة إلى أنها مستعدة لحدوث مصالحة».

«ربما».

«وهذا هام بالنسبة لإيفا».

«هذا هو بيت القصيد. إنها تضغط بقوة كبيرة من أجل ذلك ولكن...»

«ماذا؟»

«لا شيء، لولا...»

«نعم؟»

«لا أستطيع تحمُّل أي نوع من التسوية».

نادى المشرفُ جيلبرتَ، الذي كان يرتدي أوفرولاً أزرق ويدخن سيجارة ويقف في قعر حفرة أساسات عميقة وواسعة جداً. أخبر المشرفُ إرلندر بأنهم كانوا يبنون مبنىً سكنياً من ثمانية طوابق مع مرآب للسيارات في القبو، الأمر الذي يفسِّر سبب كون حفرة الأساسات بذلك الاتساع والعمق. لم يسأل المشرفُ إرلندر حول سبب رغبته في التحدث مع جيلبرت، الذي انتظر طويلاً وهو ينظر إليهما بينما هما واقفين على حافة الحفرة قبل أن يرمي سيجارته ويشرع في الصعود على سلَّم خشبي كبير ينتصب من الأعماق. استغرق تسلُّقه من جيلبرت وقتاً ليس بقصير. في تلك الأثناء ذهب

المشرف تاركاً إرلندر لوحده. كان موقع البناء قريباً من بحيرة إليدافاتن، وكانت هناك رافعات صفراء شاهقة تعانق السماء الرمادية الكئيبة لفترة بعد الظهر مثل أقواس مربعة عملاقة غرزتها في الأرض آلهة الصناعة. سمع إرلندر هدير شاحنة تفريغ غير مرئية، ومن مكان آخر صوت صفير إلكتروني لشاحنة أخرى ترجع إلى الخلف.

عرَّف إرلندر عن نفسه وهو يصافح جيلبرت، الذي بدا عليه الاستغراب. سأله إرلندر إن كان بوسعهما الجلوس في مكان هادئ بعيداً عن هذا الضجيج، فتفرَّس جيلبرت فيه قليلاً قبل أن يشير إلى كافيتيريا المتعاقدين المطلية باللون الأخضر.

قال جيلبرت، الذي فتح نصف سحَّاب أوفروله الأزرق بسبب الحرارة الخانقة داخل الكافيتيريا: «لا أصدق أنك تسأل عن ديفيد بعد كل هذا الزمن. هل حدث تطورٌ جديد؟»

«لا، لا شيء. إنها قضية تولَّيتها في ذلك الحين ولسبب ما...»

أنهى جيلبرت الجملة عنه، قائلاً: «لم تغب عن بالك. أليس كذلك؟»

كان في العقد الخامس من عمره تقريباً، مع أنه كان يبدو أكبر سنّاً، وطويلاً ونحيلاً على نحو غير متناسق، وذا ظهر محدودب بعض الشيء كما لو أنه نشأ معتاداً على تجنُّب أبواب واطئة وأسقف منخفضة. وكانت ذراعاه طويلتين مثل جسده، وعيناه غارقتين في وجهه الهزيل. وكان شعر ذقنه، الذي لم يكبِّد نفسه مشقة حلاقته منذ عدة أيام، يتقشَّر عندما كان يحكَّه.

أومأ إرلندر برأسه دلالةً على الموافقة.

قال جيلبرت: «كنت قد انتقلت لتوِّي إلى الدانمارك عندما فُقد. لم أسمع بالأمر إلا لاحقاً وقد صُدمت بشدة. من المحزن عدم العثور عليه حتى الآن».

«بالفعل. حاولنا إيجادك في حينه لكننا لم ننجح».

«هل ما زال أبواه على قيد الحياة؟»

«والده ما زال حياً، لكنه عجوز وصحته سيئة».

«هل تقوم بذلك من أجله؟»

«لا، ليس من أجل أحد على وجه التحديد. لقد تبيَّن منذ عدة أيام أنك الوحيد من أصدقائه الذي لم نتحدث معه أبداً، بسبب انتقالك للعيش في الخارج».

قال جيلبرت وهو يُخرج سيجارة من داخل أوفروله: «كنت أنوي قضاء

سنة في الدانمارك». كانت حركاته بطيئة ومنهجية. أخرج قدَّاحة من جيب آخر ثم نقر السيجارة على الطاولة. «ولكن، انتهى بي الأمر بالبقاء هناك عشرين. لم تكن هذه هي النية مطلقاً ولكن... هذه هي الحياة».

«فهمت أنك تحدثت مع ديفيد قبل وقت قصير من مغادرتك البلد».

«أجل، كنا نتواصل بشكل دائم. هل تحدثتَ مع ستيني -أعني ثورستين؟»

«أجل».

«التقيت به في واحدة من اجتماعات إعادة لم الشمل تلك. عدا ذلك، لقد فقدت كل صلة لي مع المجموعة التي كنت أعرفها في الأيام القديمة».

«أخبرتَ ثورستين بأنه يُحتمَل أن يكون ديفيد قابل فتاة ما. هذه المعلومة لم تظهر أبداً خلال التحقيق الأصلي. أردتُ أن أعرف إن كنتَ تعرف من هي وإن كان باستطاعتي الوصول إليها».

قال جيلبرت وهو يشعل سيجارته: «ستيني لم يكن يعرف شيئاً. افترضتُ أنه كان يعرف أكثر مني. لا أعلم من هي الفتاة. لا أعلم إذا كانت هناك فتاة. ألم يظهر أحد عندما فُقد ديفيد؟»

«لا».

بدأ هاتفه الخلوي يرن، فاعتذر من جيلبرت وأخرج هاتفه.

«نعم، ألو».

«هل تستجوب الناس حول ماريا؟»

فوجئ إرلندر بالصوت الجدي والحاد والمشوب بنبرة اتهام باردة.

قال إرلندر: «من يتحدث معي؟»

«زوجها. إلام تسعى بحق الجحيم؟»

خطرتْ في ذهنه عدة إجابات، كلها أكاذيب، لكنه لم يُجب.

تابع بالدفين، قائلاً: «ماذا يحدث؟»

قال إرلندر: «ربما يجب أن نلتقي».

«ما الذي تحقق فيه؟ ما الذي تفعله؟»

«إذا كنت ستتواجد في المنزل في وقت لاحق من هذا اليوم، يمكنني-»

لكن بالدفين أغلق الخط.

ابتسم إرلندر بارتباك لجيلبرت، ثم قال: «عفواً. كنا نتحدث حول الفتاة. هل تعرف أي شيء عنها، أي شيء يمكنك إخباري به؟»

«لا شيء تقريباً. اتصل ديفيد بي قبل يوم من سفري إلى الدانمارك ليودعني ويخبرني بأنه قد يُطلعني على سر بما أنني كنت سأسافر إلى

الخارج. لكنه مع ذلك، لم يكن سيكشف لي عن سرِّه إلى أن أصرَّيت عليه وسألته بشكل مباشر. ثم قال لي إنه قد يكون هناك خبر ما حول حياته العاطفية عندما سأعود إلى البلد ثانيةً».

«هل هذا كل ما قاله، بأنه قد يكون هناك خبر ما حول حياته العاطفية لاحقاً؟»

«أجل».

«وهو لم يرتبط بعلاقة مع فتاة من قبل؟»

«لا، ليس تماماً».

«وقد تولَّد لديك انطباع بأنه قابل فتاة ما؟»

«هذا ما ظننته. ولكن، كما تعلم، كان مجرد إحساس انتابني بسبب ما قاله لي».

«لم تشعر بأنه كان في مزاج انتحاري على الإطلاق؟»

«لا، على العكس تماماً، لقد كان مبتهجاً ومتحمساً. مبتهج بشكل غير اعتيادي، لأنه كان في بعض الأحيان متحفظاً بعض الشيء -متفكراً وجدياً».

«ولا يمكنك التفكير في أي شخص يمكن أن يريد إيذاءه».

«مستحيل».

«لكنك لا تعرف من هي الفتاة؟»

«أبداً، للأسف».

12

توجَّه إرلندر بسيارته نحو المنزل الكائن في غرافارفوغر. كان الظلام يوشك أن يحل، مذكِّراً بشتاء يدنو بعد الصيف الرطب القصير. لم يشعر إرلندر بالانزعاج من الفكرة، مثل الكثيرين الذين كانوا يكرهون الشتاء ويَعُدُّون الساعات إلى أن تبدأ الأيام بالاستطالة من جديد. لم يكن ينظر إلى الشتاء أبداً على أنه عدوه. كان الزمن يبدو أبطأ في البرد والظلام،.كان يُغلِّفه بجو من الحزن الهانئ.

قابله بالدفين عند الباب، ثم تبعه إرلندر إلى غرفة الجلوس متسائلاً إن كان بالدفين سيستمر بالعيش في المنزل بعد رحيل ليونورا وماريا. لكن الفرصة لم تسنح له لطرح هذا السؤال. كان بالدفين يريد تفسيراً لتجوال إرلندر في المدينة واستجواب الناس حوله وحول ماريا، ولماذا أراد معرفة ذلك من أصدقائه، ولأي سبب. هل كانت الشرطة تُطلق تحقيقاً؟

أجابه إرلندر: «لا، لا شيء من هذا القبيل».

أبلغ بالدفين بأن الشرطة تلقَّت معلومة -كما يحدث أحياناً في قضايا الانتحار- توحي بأن شيئاً مثيراً للريبة يمكن أن يكون حدث. ونتيجة ضغط من إحدى صديقات ماريا -فضَّلت عدم ذكر اسمها- أخذ على عاتقه التحدث شخصياً مع عدة أشخاص، لكن هذا لم يغيِّر بأي حال من الأحوال حقيقة أن ماريا قتلت نفسها. وأكَّد له بأنْ لا حاجة تدعو لقلقه. لم يكن هناك تحقيق رسمي، ولم تكن هناك حاجة له.

تحدَّث إرلندر في هذه النقاط لبعض الوقت، ببطء ورويَّة، وبنبرة اعتذارية كانت تنجح عادةً مع الناس عندما تُستخدَم من قبل الشرطة. لاحظ إرلندر بأن بالدفين أصبح أهدأ بقليل، إذ كان في البداية يقف بغضب بجانب المكتبة لكنه جلس على كرسي حالما تبدَّد معظم توتره.

«ما هي حالة القضية، إذن؟»

«ليست هناك حالة. ليست هناك قضية».

«إنه شعور غير مريح أنْ تعرف بأن الناس يثرثرون».

قال إرلندر موافقاً: «بالتأكيد».

«إن الوضع بحد ذاته قاس بما يكفي».

«أجل. سمعت أنها كانت جنازة جميلة».

«لقد أدلت بخطاب جيد جداً، الكاهنة. إنهما تعرفان بعضهما جيداً. جاء أناس كثر. كانت ماريا محبوبة أينما حلَّت».

«هل رتَّبتَ مسألة إحراقها؟»

كان بالدفين يحدِّق في الأرض قبل هذا السؤال.

فرفع رأسه وقال: «هذه رغبتها. لقد ناقشنا هذا الأمر. لم تكن تريد الرقود تحت الأرض و... كما تعلم... كانت تشعر بأنه حل أفضل. وأنا وافقتها؛ سوف أُحرَق أنا أيضاً».

«هل تعلم إنْ كانت زوجتك مهتمة بالماورائيات، إن كانت تحضر جلسات تحضير أرواح أو شيء من هذا القبيل؟»

«ليس أكثر من أي شخص آخر. كان تخاف بشدة من الظلام. لعلك سمعت بذلك».

«أجل».

قال بالدفين: «لقد سألتني حول هذا الأمر من قبل. حول الحياة بعد الموت والوسطاء الروحانيين. إلى ماذا ترمي؟ ماذا تعرف؟»

رمقه إرلندر بنظرة طويلة دون أن يجيب.

فكرَّر بالدفين سؤاله: «ماذا تعرف؟»

«أعرف أنها ذهبت إلى جلسة تحضير أرواح».

«حقاً؟»

أخرج إرلندر الشريط من جيب معطفه وأعطاه لبالدفين، ثم قال: «هذا تسجيل لجلسة تحضير أرواح حضرتها ماريا. أعتقد أنه واحد من الأسباب التي دفعتني لاكتشاف المزيد حولها».

«تسجيل لجلسة تحضير أرواح؟ كيف... كيف حصلتَ عليه؟»

«أُعطي لي بعد وفاة ماريا. كانت قد أعارته لصديقة».

«صديقة؟»

«أجل».

«من؟»

«سأطلب منها الاتصال بك إذا كانت تريد ذلك».

«هل استمعت إليه؟ أليس هذا انتهاك لخصوصيتها؟»

«ما يقوله الشريط ربما هو الأهم. هل أنت متأكد بأنك لم تكن تعرف شيئاً حول جلسة تحضير الأرواح؟»

«لم تخبرني أبداً حول أي جلسة لتحضير الأرواح، ولستُ مستعداً لمناقشة ذلك في هذه الظروف. لا أعلم ما في الشريط وأجد المسألة برمَّتها غير طبيعية إلى حد بعيد».

قال إرلندر وهو ينهض واقفاً: «إذن أنا أعتذر. لعلك ستتحدث معي

عندما تنتهي من الاستماع إليه. وإن لم يكن، لا يهم. قد يكون الأمر كله يعتمد على مارسيل بروست».

«مارسيل بروست؟»

«ألم تكن تعلم؟»

«لا أعرف عما تتحدث».

«فهمتُ أن ماريا كانت تفضِّل عدم البقاء لوحدها. لأنها كانت تخاف من الظلمة».

«أنا...»

«لكنها مع ذلك كانت وحيدة في ليلة خريفية مظلمة في ثينغفيلر».

«ما هذا؟ ماذا تعني؟ أتوقَّع أنها لم تكن تريد أحداً معها عندما قتلت نفسها!»

قال إرلندر: «لا، ربما لا. لعلك ستتصل». ثم ترك بالدفين وبين يديه تسجيل جلسة تحضير الأرواح.

دون اتصال مسبق، ذهب إرلندر لزيارة الرجل العجوز فوجد أنه نُقل إلى قسم المسنِّين في المستشفى. اضطُرَّ لسؤال كادر التمريض عن الاتجاهات قبل أن يجده في نهاية المطاف. كان الرجل العجوز يصارع دون جدوى لارتداء عباءة فوق ثيابه، فأسرع إرلندر لمساعدته.

قال الرجل العجوز: «أوه، شكراً لك. هذا أنت، أليس كذلك؟»

قال إرلندر: «كيف حالك؟»

«أقاوم. ماذا تفعل هنا؟» أحسَّ إرلندر بتنامي الإثارة في صوته، «لا يتعلق الأمر بديفيد، صحيح؟ لم تكتشف شيئاً؟»

قال إرلندر بعجلة: «لا. كنت فقط مارّاً من هنا ففكرت في زيارتك».

«لا يُفترَض بي حقاً أن أنهض لكنني لا أستطيع ببساطة البقاء في السرير طوال اليوم. ألا تذهب معي إلى صالة الاستراحة؟»

أمسك العجوز بذراع إرلندر بينما كان يساعده للوصول إلى الممر ثم ذهبا معاً في الاتجاه الذي أشار العجوز إليه. جلسا في صالة الاستراحة حيث كان الراديو مفتوحاً وكان صوت مألوف يقرأ جزءاً من قصة مسلسلة.

قرر إرلندر الدخول في صلب الموضوع، فقال: «هل تتذكر صديقاً لابنك يُدعى جيلبرت انتقل إلى الدانمارك في نفس الفترة التي فُقد فيها ابنك تقريباً؟»

همس العجوز بتفكُّر: «جيلبرت؟ بالكاد يمكنني تذكُّره».

«كانا في المدرسة التكميلية معاً. عاش في كوبنهاجن لسنوات. تحدَّثَ مع ديفيد قبل اختفائه بفترة قصيرة».

«وهل استطاع إخبارك بشيء ما؟»

«لا، لا شيء ملموس. لقد ألمحَ ابنُك لجيلبرت بأنه كوَّن علاقة مع فتاة. أذكر أنك لم تكن تعتقد أن هذا محتمل؛ لقد ناقشنا هذا الأمر بالتحديد. ما يقوله جيلبرت قد يشير إلى شيء مختلف».

«لم يكن ديفيد مرتبطاً بأي علاقة. كان سيخبرنا».

«قد لا تكون بالضرورة عميقة. لربما كانت في مراحلها الأولى. هذا ما ألمح ابنك به إلى جيلبرت. ألم تتصل بكم أي فتاة بعد اختفائه؟ هل اتصل شخص ما لا تعرفه أنت وسأل عنه؟ قد يكون مجرد صوت على الهاتف».

حدَّق العجوز في إرلندر بينما كان يحاول تذكُّر كل ما حدث خلال الأيام والأسابيع الأولى بعدما أصبح واضحاً أن ابنه اختفى. اجتمعت العائلة. أخذت الشرطة الإفادات. عرض الأصدقاء مساعدتهم. أرادت الصحافة صوراً. بالكاد كان يُتاح لوالدي ديفيد وقت لتقبُّل ما حصل قبل أن يهدّهما الإنهاك فيلجآ للسرير كل ليلة محاولَيْن أخذ قسط من النوم، ولكن دون أن يشعرا بأي راحة، إذ كان ذهناهما يَمُدّاهما بصور نابضة بالحياة لابنهما فيمتلئان فزعاً من فكرة أنهما لن يرياه ثانية.

واصل العجوز النظر إلى إرلندر، محاولاً تذكُّر أي شيء غير مألوف أو غير متوقع، زائر أو اتصال هاتفي، صوت لم يتعرَّف إليه، سؤال غريب: «هل ديفيد في المنزل؟»

سأله إرلندر: «ألم يكن يلاحق الفتيات نهائياً؟»

«قليلاً جداً. كان ما يزال يافعاً».

أعاد إرلندر صياغة سؤاله: «ألم يسأل عنه أحد لم تكن تعرفه جيداً –فتاة من سنِّه، مثلاً؟»

«لا، ليس وفقاً لما تسعفني به ذاكرتي. ليس وفقاً لما تسعفني به ذاكرتي على الإطلاق. أنا، كنا، سنعرف إذا قابل فتاة ما. أي شيء آخر غير وارد. مع ذلك... إنني متقدم جداً في السن لدرجة أنني قد أكون نسيت شيئاً ما. كانت غنثورن ستقدر على مساعدتك».

«غالباً ما يشعر الأولاد بالخجل عندما يتعلق الأمر بهذا النوع من الأشياء».

«قد يكون ذلك صحيحاً تماماً. لابد أنها كانت علاقة جديدة جداً. لا أذكر مطلقاً أنه كان يملك صديقة. ولا مرة واحدة».

«هل تظن أن أخاه يمكن أن يعرف؟»

«إلمار؟ لا. كان سيخبرنا. لا يمكن أن يكون نسي شيئاً هاماً كهذا».

بدأ العجوز بالسعال، مصدراً صوتاً مقعقعاً بشعاً ازداد سوءاً باضطراد إلى أن لم يعد بوسعه التوقف. ثم تدفق الدم من منخريه وانهار على الأريكة في صالة الاستراحة. هرع إرلندر إلى الخارج طالباً المساعدة، ثم عاد وحاول الاعتناء به إلى وصلت الممرضات.

قال العجوز بصوت متألم: «ليس لدي وقت طويل كما كانوا يتوقعون».

أبعدت الممرضات إرلندر جانباً ثم راقبهن وهن يُعدْن العجوز إلى قسم المسنين ويُغلقن الباب خلفهن. عاد إرلندر أدراجه عبر الممر غير عارف إن كان سيراه من جديد.

* * *

بقي إرلندر صاحياً في تلك الليلة يفكِّر في أمه، التي كانت تخطر في باله غالباً في مثل ذلك الوقت من السنة. تخيَّلها عندما كانوا ما يزالون يعيشون في الشرق، واقفةً في الحديقة، تحدِّق في جبل هاردسكافي، قبل أن تلتفت لتنظر إليه، مشجعَّة إياه. كانوا سيجدونه. لم يكن الأمل قد فُقد بعد. لم يعد إرلندر يعرف إن كانت صورتها في الحديقة ذكرى أم حلماً. لعل ذلك لم يكن مهماً.

توفيت بعد ثلاثة أيام من دخولها المستشفى. لقد جلس بجانب سريرها طوال تلك الفترة. عرض عليه الموظفون فرصة الراحة في غرفة فارغة إذا أراد لكنه رفض بتهذيب، غير قادر على حمل نفسه على ترك أمه. قال الأطباء إنها قد ترحل في أي لحظة. ورغم أنها كانت تستعيد وعيها بين الحين والآخر، إلا أنها في كانت في حالة هذيان من شدة المرض فلم تعرفه. حاول التحدث إليها ولكن دون جدوى.

هكذا انقضت الساعات، واحدة تلو الأخرى، بينما كانت أمه تقترب ببطء من النهاية. كان ذهنه يضج بذكريات من طفولته عندما كانت أمه تبدو له بأنها موجودة في كل مكان في عالم محدود على نحو غريب. حاميةٌ يقظة، ومعلِّمة رقيقة، وصديقة رائعة.

وفي النهاية، بدت بأنها تستعيد حواسها بعض الشيء، فابتسمت له، وهمست: «إرلندر».

فأمسك بيدها قائلاً: «أنا هنا معك».

«إرلندر؟»

«نعم».
«هل وجدتَ أخاك؟»

13

ركن إرلندر سيارته أمام باب المسرح قبل وقت قصير من رفع الستارة. كان يعلم بأنه متأخر لكنه أراد إنهاء ما بدأه قبل أن يُنهي عمل ذلك اليوم. أرشده ناظر المسرح الودود إلى الطريق المفضي إلى غرف الملابس محذِّراً إرلندر، بدافع الحرص عليه، من أنه لم يكن يملك إلا قليلاً من الوقت. طَمْأَنَه إرلندر بالقول إنه اتصل مسبقاً وإن أوري كان يتوقع حضوره، ولهذا فالأمر لا يجب أن يستغرق وقتاً طويلاً.

كانت الفوضى تعمُّ المكان خلف الكواليس. بعض الممثلين كانوا يذرعون أرض الممرات جيئةً وذهاباً بأزيائهم الكاملة، في حين كان بعضهم الآخر ما يزال يتبرَّج. وكان العمال المساعدون يندفعون في أرجاء المكان. أما في الخارج فلم يكن هناك سوى بضع أشخاص متفرقون شرعوا بالجلوس في مقاعدهم. أعلن صوت غير مرئي عن بقاء نصف ساعة على بدء العرض. علم إرلندر من فالجردر بأن المسرحية هي «عُطَيْل» وبأن النقاد وصفوا النسخة بالطموحة والمبتكرة، ولكن غير المتماسكة.

كان أوري فيلدستد وحيداً في غرفة تبديل ملابسه، يراجع نصه، عندما وجده إرلندر أخيراً. كان يلعب دور إياغو ويرتدي بذة تعود لأربعينيات القرن الماضي، لأن المخرج -وكان شاباً جريئاً عاد مؤخراً من دراسته في إيطاليا- قرَّر تحديد مكان وزمن القصة في ريكيافيك خلال الحرب العالمية الثانية، بحسب فالجردر. كان عطيل كولونيلاً أسود في الجيش الأميركي المحتل، وكانت ديزديمونة فتاة من ريكيافيك على علاقة مع الجنود الأميركيين. وكان الكولونيل قد عاد لتوِّه من مهمة في أوروبا عندما قابل ديزديمونة. وفي تلك الأثناء، كان إياغو يُدبِّر لسقوطه.

قال أوري عندما فتح الباب: «هل أنت الشرطي؟ ألم يكن باستطاعتك إيجاد وقت أفضل؟»

«آسف، كنت أنوي الوصول إلى هنا قبل وقت طويل. لن يستغرق الأمر سوى لحظة».

«على الأقل لستَ ناقداً لعيناً!» كان الممثل صغيرَ الحجم ونحيلاً جداً، ووجهه مغطى بطبقة سميكة من الماكياج، مع شارب كلارك جيبل غير مقنع ملصق على شفته العليا، وشعر لامع ممشَّط نحو الخلف من مقدمة رأسه. ذَكَّر إرلندر بأحد أفراد العصابات في فيلم أميركي.

قال أوري فيلدستد: «هل تقرأ المقالات النقدية؟» كان صوته جهورياً

رغم حجمه الضئيل.

«أبداً».

قال أوري: «لقد تعاملوا بقسوة شديدة مع هذه المسرحية بتفاهاتهم». تذكَّر إرلندر أن فالجردر اقتبست من بعض النقاد قولهم إن أوري فيلستد بدا ضائعاً في دور إياغو.

قال إرلندر: «لم أتابعهم».

«ألم تشاهد العرض؟»

«إنني لا أرتاد المسرح كثيراً».

«مجموعة من المدَّعين القذرين! حثالة! هل تظن أننا نفعل ذلك من أجل المتعة؟»

«إه، لا، إن... إنهم...»

«سنة بعد سنة، نفس المجموعة مع نفس التفاهة! ماذا كنتَ تريد؟»

«يتعلق الأمر ببالدفين».

«آه أجل، لقد ذكرت ذلك على الهاتف. سمعت أنه فقد زوجته. بشكل مفاجئ. لم نعد نتواصل الآن. لم نفعل منذ سنوات».

«كنتما معاً في كلية المسرح، إن كنتُ فهمت بشكل صحيح».

«صحيح. كان ممثلاً واعداً جداً. لكنه تحوَّل إلى الطب. خطوة حكيمة. على الأقل إنه متحرر من النقاد القذرين! ويجني مالاً أكثر بقليل، بالطبع. ما معنى كونك ممثلاً شهيراً إذا كنت لا تملك درهمين تفركهما معاً؟ يُدفَع للممثلين أجر زهيد في هذا البلد -مثل المعلِّمين تقريباً!»

محاولاً تهدئة الممثل، قال إرلندر: «أعتقد أن وضعه جيد».

«كان دائماً يعاني من مشاكل مالية. أذكر ذلك تماماً. كان معتاداً على اقتراض النقود منا وكان يتمهل جداً في إعادتها. كنتَ تضطر حقاً لملاحقته وفي بعض الأحيان لم يكن يسدد دينه أبداً. فيما عدا ذلك كان شخصاً جيداً».

«كنتم مجموعة من الطلاب في كلية التمثيل؟»

قال أوري وهو يمسِّد بإصبعه شاربه الرقيق للتأكد من أنه ملتصق بثبات: «أجل، هذا صحيح. كانت مجموعة جميلة جداً».

أعلن صوت عبر المكبِّر: «خمسة عشر دقيقة على رفع الستارة».

قال إرلندر: «لقد التقى بزوجته بعد تخليه عن دراسة التمثيل بقليل».

«أجل، أتذكَّر ذلك جيداً، فتاة لطيفة من الجامعة. أخبرْني، لماذا تطرح

الشرطة أسئلة حول بالدفين؟»

اختار إرلندر كلماته بعناية، متذكِّراً ما قالته فالجردر حول ثرثرة الممثلين، فقال: «نحن نشارك في دراسة سويدية...»

لاحظ إرلندر أن اهتمام أوري فيلدستد بَرَد على الفور.

قال أوري: «كانوا مجموعة ذكية، أولئك الشبان، أُقرُّ لهم بذلك. عرفت أن صديقاً له أزعج شخصاً يُدعى تريغفي بتجاربه».

«تجارب تمثيل؟»

«تمثيل...؟ لا، حدث هذا عندما كان بالدفين يدرس الطب. هل هناك شيء آخر؟ ينبغي علي الذهاب. بقي خمس دقائق فقط على خروجي إلى المسرح. هل كان هناك أي جمهور؟ لقد دمَّروا هذه المسرحية تماماً. النقاد. حطموها. ليس لديهم أدنى معرفة بالمسرح. ولا أدنى معرفة! ويسمع الناس لأولئك البلهاء! كان الجمهور يتصلون بالمسرح ويلغون تذاكرهم بأعداد كبيرة».

فتح أوري الباب.

فسأله إرلندر: «ماذا عن تريغفي هذا؟»

«تريغفي؟ أعتقد أن هذا هو اسمه. كانوا يصفونه بالمعطوب. لابد أنك سمعت بهذا النموذج. طالب مذهل يفقد توازنه. ترك دراسته. لا فكرة لدي عن مكانه اليوم».

«هل كان بالدفين متورطاً؟»

«هذا ما كانوا يقولونه دائماً، هو وصديقه طالب الطب. لدي شعور بأن طالب الطب كان ابن عم تريغفي. ثمة صلة ما تربطهما. كانا صديقين حميمين».

«ماذا حدث؟»

«ألم تسمع؟»

«لا».

«يُعتقَد أن تريغفي طلب من ابن عمه-»

في هذه اللحظة جاء عُطيل مسرعاً عبر الممر وفي أعقابه ديزديمونة. كان يرتدي زي كولونيل أميركي، أما هي فكانت ترتدي ثوباً صيفياً سماوي اللون وشعراً مستعاراً أشقر منفوشاً. كان عطيل حليق الرأس والعرق ينضح من فروة رأسه مسبقاً.

قال عطيل وهو يجر إياغو نحو خشبة المسرح: «دعنا ننهي هذا الكابوس اللعين». ابتسمت ديزديمونة بعذوبة لإرلندر.

صاح إرلندر من خلفهم: «ماذا طلب تريغفي منه أن يفعل؟»

توقف أوري والتفت إلى إرلندر، ثم قال: «لا أدري إذا كان هذا صحيحاً ولكن هذا ما سمعته منذ سنوات».

«ماذا؟ ماذا سمعت؟»

«طلب تريغفي منه أن يقتله».

«يقتله؟ هل هو ميت؟»

«لا، يضج بالحياة لكنه مضطرب في الرأس».

«ماذا تحاول أن تخبرني؟ لا أفهم-»

«كانت تجربة نفّذها ابن العم على تريغفي».

«ما نوع التجربة؟»

«حسبما سمعت، لقد أَوقَفَ قلب تريغفي لعدة دقائق قبل أن ينعشه من جديد. قالوا إن تريغفي لم يعد كما كان أبداً».

ومع هذه الكلمات اندفع الثلاثي إلى خشبة المسرح.

في اليوم التالي، نبش إرلندر التقارير القديمة في أرشيف الشرطة حول الحادثة التي جرت في بحيرة ثينغفالافاتن. قرأ الإفادة التي قدمتها ليونورا والدة ماريا، إضافة إلى حُكْم الشاهد الخبير على القارب والمحرك الخارجي. ووجد في الملفات تقرير تشريح الجثة الذي يقول إن ماغنوس غرق في المياه الباردة. لم تُؤخَذ، فيما يبدو، أي إفادة من الفتاة الصغيرة، فالقضية عوملت على أنها حادثة. تفحَّص إرلندر التقارير ليعرف مَنْ قادَ التحقيق، فتنهَّد لما وجد أنه ضابط يُدعى نيلز. لم يكن إرلندر معجباً به أبداً. فعلى الرغم من أنهما بدآ العمل في قسم التحقيق الجنائي معاً، إلا أن نيلز، بعكس إرلندر، كان متلكئاً حيث كانت قضاياه، بصفة عامة، تطول إلى درجة أنها تصبح لاغية، وكانت تُعالَج بشكل سيئ في أغلب الأحيان.

كان نيلز يقضي فترة استراحة تناول القهوة في الكافيتيريا وكان يمازح بعض النساء عندما سأله إرلندر إن كان يمكنه التحدث معه.

قال نيلز بتعاليه الاعتيادي الفارغ: «ماذا تريد يا رفيقي القديم إرلندر». كان يُلحِق كلمات «صديق» و«صاحب» و«رفيقي القديم» بكل جملة، مع أنها كلمات تافهة بحد ذاتها إلا أنها شديدة الأهمية بالنسبة لنيلز الذي يملك ثقة كاملة بتفوقه، رغم عدم وجود أي أساس لذلك.

أخذه إرلندر جانباً وجلسا على طاولة أخرى في الكافيتيريا ثم سأله إن كان يتذكر الحادثة التي جرت في بحيرة ثينغفالافاتن، وليونورا وابنتها

ماريا.

«كانت قضية بسيطة، أليس كذلك؟»

«بلى، أتوقَّع ذلك. ألا تذكر أي شيء غير عادي حول الظروف، أو الأشخاص المرتبطين بالقضية، أو الحادثة نفسها؟»

رسم نيلز تعبيراً يُراد منه إيصال فكرة أنه كان ينقِّب في رأسه محاولاً تذكُّر الأحداث التي جرت في بحيرة ثينغفالافاتن.

وأخيراً قال: «أنت لا تحاول كشف جريمة بعد كل هذه السنين؟»

«لا، بعيداً جداً عن ذلك. إن الفتاة الصغيرة التي رأيتَها في موقع الحادث مع أمها توفيت منذ عدة أيام. كان أبوها هو الذي غرق».

«لا أذكر أي شيء غير عادي فيما يتعلق بذلك التحقيق».

«كيف انفصلت المروحة عن المحرك؟»

أجاب نيلز بارتياب: «في الواقع، ليس لدي التفاصيل الدقيقة على رأس لساني». لم يكن الجميع في مركز الشرطة يستحسن الأمر عندما كان إرلندر يبدأ بالتنقيب في قضايا قديمة.

«هل تذكر ما قاله خبراء الأدلة الجنائية؟»

«ضرر ناتج عن الاستعمال الطويل، أليس كذلك؟»

قال إرلندر: «شيء من هذا القبيل. لكن هذا لا يفسِّر الشيء الكثير. كان المحرك قديماً وبحالة سيئة ولم يتلقَّ أي صيانة. ما هو الشيء الذي أخبروك به ولم يُذكَر في التقارير؟»

«كان غودفينر مسؤولاً عن الفحص. لكنه ميت الآن».

«أي أننا لا نستطيع أن نسأله. أنت تعلم أنه لا يُذكَر كل شيء في التقارير».

«ما قصتك مع الماضي؟»

رفع إرلندر كتفيه.

«إلام تريد الوصول، يا رفيقي القديم؟»

أجابه إرلندر، مسيطراً على نفاذ صبره: «لا شيء».

«ماذا تريد أن تعرف بالتحديد؟»

«كيف كان رد فعلهما، الزوجة والبنت؟ هل يمكنك التذكُّر؟»

«لم يكن هناك أي شيء غير عادي بخصوص ردود أفعالهما. كان حادثاً مأساوياً. كان باستطاعة الجميع ملاحظة ذلك. كادت المرأة أن تنهار».

«لم يُعثَر على المروحة أبداً».

قال نيلز: «لا».

«وليس هناك طريقة لاثبات كيفية انفصالها بالضبط؟»

«لا. كان الرجل لوحده في القارب ولعله بدأ يعبث بالمحرك فسقط عن القارب وغرق. لم ترَ زوجته ما حدث، ولا ابنته. لاحظت الزوجة أن القارب كان فارغاً. ثم سمعت الرجل يصرخ لفترة وجيزة وبعد ذلك فات الأوان».

«هل تذكر...؟»

قال نيلز: «تحدثنا مع البائع. أو تحدَّث غودفينر. وتحدَّث مع شخص في الشركة التي كانت تبيع المحركات الخارجية».

«نعم، هذا مذكور في التقارير».

«قال إن المروحة لن تنفصل بتلك السهولة. كان ذلك يتطلب بعض الجهد».

«هل يمكن أن تكون اصطدمت بالقاع؟»

«لم يكن هناك أي دليل على ذلك. لكن الزوجة أخبرتنا بأن زوجها كان يعبث بالمحرك في اليوم السابق. ولم تسأله بخصوص ذلك ولم تكن تعرف ماذا يفعل. لعله أرخى المروحة دون قصد».

«زوجها؟»

«أجل».

تذكَّر إرلندر إنغفار الذي أخبره بأن ماغنوس لم يكن يعرف أي شيء عن المحركات.

قال إرلندر: «هل تذكر رد فعل الفتاة عند وصلتم إلى مكان الحدث؟»

سأله نيلز: «ألم تكن في العاشرة فقط أو نحو ذلك؟»

«بلى».

«في الواقع، بالطبع كانت مثل أي طفل يعاني من صدمة. كانت متشبثة بأمها. لم تبارحها أبداً».

«لا أرى من التقارير أنكم تحدثتم معها على الإطلاق».

«لا، لم نفعل، لأننا لم نرَ سبباً يدعونا لذلك. الأطفال ليسو الشهود الأكثر موثوقية».

كان إرلندر على وشك الاعتراض حين قاطعه عنصران من الشرطة، لكنهما لا يرتديان الزي الرسمي، دخلا إلى الكافيتيريا وحيَّا نيلز.

قال نيلز: «إلى أين تريد الوصول؟ لماذا كل ذلك؟»

أجابه إرلندر: «خوف من الظلمة. خوف بسيط من الظلمة».

14

قابلَتْ كارين، صديقةُ ماريا، إرلندر عند باب شقتها الواسعة الكائنة في النهاية الغربية من ريكيافيك، وكانت تتوقع قدومه، فدعته للدخول. عندما اتصل بها بعد لقائهما في مركز الشرطة، أعطته قائمة بأسماء أشخاص كانوا على علاقة بماريا، إضافة إلى مناقشة صداقتهما التي بدأت عندما كانت في سن الحادية عشرة وتشاركتا نفس المقعد في مدرستهما الجديدة. كانت ليونورا قد نقلتها إلى مدرسة مختلفة بسبب عدم رضاها عن المشرفين والأساتذة في مدرسة الفتاة السابقة حيث كانت تتعرَّض لترهيب بسيط من قبل بعض التلاميذ. أما ماريا، التي لم يكن لها رأي مؤثر في تلك المسألة، فقد بذلت ما بوسعها لإيجاد موطئ قدم لها بين الوجوه غير المألوفة في المدرسة الجديدة. في تلك الأثناء، كانت كارين قد انتقلت مؤخراً إلى الحي ولم تكن تعرف أحداً. كانت ليونورا معتادة على إيصال ماريا بسيارتها إلى المدرسة وإعادتها منها في كل يوم. وذات يوم سألتها ماريا إن كان باستطاعة كارين المجيء إلى المنزل معها فرحَّبت ليونورا بكارين كصديقة جديدة لابنتها، ومنذ ذلك الحين ازدهرت صداقتهما بسرعة في ظل حمايتها.

قال كارين لإرلندر: «في الحقيقة، كانت أمها متسلِّطة بعض الشيء. لقد سجَّلَتنا لتعلُّم الباليه، رغم أن كلتينا لم نكن نطيقه، وكانت تأخذنا إلى السينما، وترتِّب للأيام التي سأنام فيها معهما في غرافارفوغر، رغم أن أمي لم تكن تسمح لي أبداً بالنوم في منازل صديقات أخريات. كانت تنظِّم تذاكر السينما، وتعدُّ البوشار لنا عندما كنا نشاهد التلفاز. بالكاد كانت تسنح لنا لحظة للعب بمفردنا. كانت ليونورا لطيفة للغاية، لا تُسِئ فهمي، لكنك في بعض الأحيان قد تفقد القدرة على احتمالها. كانت تغلِّف ماريا برعاية زائدة عن الحد. ولكن، رغم أنها كانت مدلَّلة إلى أقصى الحدود برأيي، إلا أن ماريا لم تتعالَ قط على الآخرين، بل كانت على الدوام مهذبة وملتزمة وطيِّبة -كانت هذه طبيعتها».

ومع كل عام ينقضي كانت صداقة كارين وماريا تزداد متانة. لقد تخرَّجتا معاً من المدرسة التكميلية، فبدأت كارين دراسة التعليم في حين درست ماريا التاريخ، وسافرتا إلى الخارج معاً، وكوَّنتا مجموعة للخياطة لكنها أخفقت في نهاية المطاف. وكانتا تأخذان الإجازات معاً، وتمضيان عطل نهاية الأسبوع في الريف، وتتنزهان في المدينة معاً.

وبذلك أصبح إرلندر يملك تقديراً أفضل للسبب الذي دفع كارين للمجيء إليه في قسم الشرطة بعد انتحار صديقتها الحميمة وادِّعائها بلزوم وجود ما هو أكثر من مجرد يأس لا أساس له.

سألته كارين: «ماذا كان رأيك بجلسة تحضير الأرواح؟»

فعاجلها إرلندر بالسؤال، متملِّصاً من الإجابة على سؤالها: «هل كنت تعلمين بذهابها إلى هذه الجلسة؟»

«أنا من أوصلتها إلى هناك بسيارتي. يُدعى الوسيط أندرسن».

قال إرلندر: «من الواضح أن ليونورا كانت ستدع ماريا تعرف إن وجدت نفسها في نوع ما من الحياة بعد الموت».

«لا أرى أي شيء غريب في ذلك. ناقشنا هذا الأمر كثيراً، أنا وماريا. أخبَرَتْني حول بروست. كيف تفسِّر أمراً كهذا؟»

«في الحقيقة، هناك عدد من التفسيرات المحتملة».

قالت كارين: «أنت لا تؤمن بهذا النوع من الأشياء، أليس كذلك؟»

«لا. لكنني أفهم ماريا. يمكنني أن أفهم سبب اختيارها التحدث مع وسيط روحاني».

«الكثير من الناس يؤمنون بالحياة بعد الموت».

«صحيح، لكنني لست واحداً منهم. ما يصفه الناس الذين يصلون إلى شفير الموت على أنه ضوء ساطع ونفق ليس برأيي سوى إرسال الدماغ آخر رسائله قبل أن يتوقف عن العمل».

«كانت ماريا تفكر بطريقة مختلفة».

«هل أخبرت أي شخص آخر سواك حول مسألة بروست؟»

«لا أدري».

حدَّقت كارين في إرلندر متسائلةً إن كان هو الشخص المناسب للتحدث معه -إن كانت قد ارتكبت خطأ بفعلها ذلك في الأساس. التقت عينا إرلندر بعينيها. كان الضوء في الغرفة يخبوا.

قالت كارين: «ربما ليست هناك فائدة من إبلاغك بما أخبَرَتْني به ماريا منذ مدة قصيرة».

«لستِ بحاجة لإخباري بأي شيء مالم تكوني تريدين ذلك. إن حقيقة المسألة هي أن صديقتك قتلت نفسها. قد تجدين صعوبة في مواجهة هذه الحقيقة، ولكن هناك أشياء كثيرة تحدث في هذا العالم ونجد صعوبة في تقبُّلها».

«إنني مدركة تماماً لهذا وأعلم كيف شعرت ماريا بعد وفاة ليونورا،

لكنني مع ذلك، ما أزال أجده غريباً بعض الشيء».

«ماذا؟»

«قالت ماريا إنها رأت أمها».

«تعنين بعد وفاة ليونورا؟»

«أجل».

«رأتها في جلسة تحضير أرواح؟»

«لا».

«لقد فهمتُ أن ماريا كانت معتادة على رؤية أشياء كثيرة وكانت تفزع من الظلمة».

قالت كارين: «أعرف كل ذلك. لكن هذا كان مختلفاً قليلاً».

«كيف؟»

«استيقظت ماريا ذات ليلة منذ عدة أسابيع لتجد ماريا واقفة عند باب غرفة النوم، مرتديةً ثياباً صيفية مع شريط في شعرها وبلوزة صفراء بلا كمّين. أشارت ليونورا إليها كي تلحقها إلى خارج الغرفة. ثم اختفت خلف الباب وعندما خرجت ماريا لم ترها في أي مكان».

قال إرلندر: «يمكنك رؤية مدى التوتر الذي كانت ترزح تحته المرأة المسكينة».

«لو كنتُ مكانك لحذرت من الحكم عليها. هل سمعت في الشريط كيف كان يُفترَض بليونورا التواصل معها».

قال إرلندر: «أجل».

«و؟»

«ولا شيء. لابد أن الكتاب سقط على الأرض. هذا يحدث».

«تحديداً ذلك الكتاب؟»

«ربما أخرَجَتْه بنفسها ونسيَتْ. ربما أخبرَتْ بالدفين بشأن الكتاب فأخرجه ثم نسي. ربما أخبرتْ زائراً ما فعبث بالكتاب. لقد أخبرَتْكِ أنت عنه».

«صحيح، لكنني لن أسقط الكتاب على الأرض وأتركههناك».

قال إرلندر: «أنا أؤمن بالمصادفة. على أي حال، يبدو أن ظهور ليونورا كان يطوف حول المنزل، كأنه حقيقي. ربما كنتُ سأعتقد بأن هذا أكثر من كافٍ كدليل على وجود حياة بعد الموت. قال حبيب قديم لماريا إنها كانت دائماً ترى أشياء في حالة تشبه حالة الحلم؛ أشخاص تعرفهم ونحو ذلك».

ساد صمت طويل.

وأخيراً قال إرلندر: «على أي حال، أنت تعرفين إذن هوية الوسيط الروحاني في الشريط؟»

«أجل. إنه ليس شهيراً جداً. أنا أخبرت ماريا بشأنه. لقد سمعْتُ عنه من صديقة أخرى ذهبَتْ لرؤيته».

قال إرلندر: «كيف أصبح التسجيل بحوزتك؟»

«أعارته ماريا لي منذ أيام. كنت أشعر بالفضول للاستماع إلى جلسة تحضير أرواح لأنني لم أذهب أبداً إلى وسيط روحاني».

«هل تعرفين إذا ذهبتْ إلى أي وسيط روحاني آخر؟»

«عدا هذا، كان هناك شخص آخر قابَلَتْهُ منذ فترة قريبة جداً. قبل وفاتها بقليل».

«ومن كان ذاك؟»

«قالت ماريا إن الوسيط كان يعرف كل شيء عنها. كل شيء حرفياً. قالت إن الأمر لم يكن قابلاً للتصديق. كان ذلك واحداً من آخر حواراتي معها. كنت أعلم بأنها لم تكن في حالة جيدة لكنني لم أكن أعلم بأنها وصلت إلى ذلك الحد».

«هل تعلمين من كان ذاك الوسيط الروحاني؟»

«لا، لم تخبرني بذلك لكنني أحسست بأن ماريا أحبتها ووثقت بها».

« كانت امرأة إذن؟»

«أجل».

صمتت كارين ونظرت عبر النافذة الكبيرة لغرفة الجلوس إلى الشَفَق.

ثم قالت فجأةً: «هل سمعتَ بما حصل في بحيرة ثينغفالافاتن؟»

«أجل سمعت».

قالت كارين: «لطالما أحسست أن شيئاً ما جرى في البحيرة ولم يُكشَف أبداً».

«مثل؟»

«لم تُشرْ ماريا إليه بوضوح أبداً لكنها كانت مسكونة بشيء ما. شيء من ماضيها لم تتحدث حوله قط، مرتبط بتلك الحادثة الفظيعة».

«هل تعرفين ثورغردر التي كانت تدرس التاريخ معها؟»

«أجل أعرفها».

«تحدثَتْ حول نفس الشيء وهي تعتقد أن الأمر يتعلق بوالد ماريا. وكأنه كان ينبغي أن يموت. هل يبدو هذا مألوفاً؟»

«لا. ‘وكأنه كان يجب أن يموت’؟»

«كان شيئاً أباحت به ماريا دون قصد. قد يعني شيئاً ما».

«كما لو أن نهايته حانت؟»

«ربما. بمعنى أن قَدَره أن يموت في ذلك اليوم وأن لا شيء كان سيغيِّره».

«لم أسمعها تقول أي شيء كهذا».

قال إرلندر: «ويمكن للمرء أيضاً أن يضع تفسيراً آخر لكلماتها».

«تعني... كما لو أنه كان يستحق ذلك؟»

«محتمل، ولكن لماذا؟»

«أي أنه لم يكن حادثاً؟ أنه...» حدَّقت كارين في إرلندر، «ألم يكن حادثاً؟»

قال إرلندر: «لا يمكنني أن أجزم بذلك حقاً. لقد حُقِّق في القضية في ذلك الحين. لم نجد أي شيء غير عادي. وبعد سنوات طويلة ينقل شخص هذا التعليق عن ماريا. هل قالت أي شيء من هذا القبيل بوجودك؟»

«لا، أبداً».

قال إرلندر: «هناك صوت يظهر خلال تسجيل جلسة تحضير الأرواح».

«أجل؟»

«صوت ذكوري عميق يطلب من ماريا أن تكون حذرة، يقول لها إنها لا تعرف ما هي فاعلة».

«أجل».

«هل كان لها أي تفسير لذلك؟»

«ذكَّرها الصوت بوالدها؟»

«أجل، هذا واضح من الشريط».

«كل ما أعرفه هو أن شيئاً ما حدث عند البحيرة. أحسست بذلك كثيراً من سلوكها. شيء مرتبط بوالدها ماغنوس –لم يكن باستطاعتها حمل نفسها على إخبار أي إنسان آخر به».

«أخبريني بأمر آخر، هل سمعت يوماً برجل يُدعى تريغفي درس الطب في نفس الفترة مثل بالدفين؟»

فكَّرتْ كارين قليلاً ثم هزَّت رأسها وقالت: «لا، لا أعلم عن أي تريغفي».

«ألم تذكر ماريا الاسم أبداً؟»

«لا أعتقد ذلك. من يكون؟»

«كل ما أعرفه هو أنه كان في الجامعة مع بالدفين». لم يشأ إرلندر الكشف عما أخبره به أوري فيلدستد حول تريغفي.

غادر إرلندر بعد ذلك بوقت قصير. راقبته كارين وهو يدخل إلى سيارته المركونة في ساحة إيقاف السيارات، وهي سيارة سوداء قديمة الطراز ذات مصابيح خلفية دائرية لم تستطع كارين تمييز ماركتها. لكنه بدلاً من تشغيل المحرك ومغادرة المكان، جلس في مكانه دون حراك، ولم يمضِ وقت طويل حتى خرج عمود دخان سيجارة طويل وملتف من نافذة السائق. مضت أربعون دقيقة قبل أن تُضاء المصابيح الخلفية الدائرية أخيراً وتبتعد السيارة على مهل.

كان يتوق دائماً لأن يحلم بأخيه عندما كان أصغر سناً. كان يبحث عن شيء يخص بيرغور –دمية صغيرة أو كنزة طَوَتها أمه بعناية، فهي لم ترمِ أياً من أغراضه- ويضعه تحت وسادته قبل أن يخلد للنوم، شيء مختلف في كل مرة. في البداية، كان يريد أن يعرف إن كان بيرغور سيظهر له في الحلم ويساعده في بحثه. لكنه فيما بعد كان يريد فقط أن يراه، أن يتذكره كما كان عندما فُقد.

بيد أنه لم يحلم ببيرغور أبداً.

ولم يحلم بأخيه إلا بعد مرور سنوات عديدة، عندما كان نائماً لوحده في غرفة فندق باردة. بقي الحلم معه لبعض الوقت بعد صحوه، وفي الحالة الواعية ما بين الصحو والنوم، رأى أخاه يرتعش متكوِّراً في زاوية الغرفة. أحسَّ كما لو أنه كان يستطيع لمسه. ثم اختفى الخيال وتُرك لوحده من جديد مع توق قديم للمِّ شمل لن يحدث أبداً.

بعد أن رأت «طريق سوان» ملقياً على الأرض بجانب المكتبة، تضاءل قلق ماريا وبدأت حالتها تتحسن. لم تعد ترى أحلاما بشعة. وأصبح نومها الليلي الخالي من الأحلام أكثر تواتراً وأحست بارتياح أكبر من أي وقت مضى.

حتى بالدفين كان أكثر تفهُّماً. لم تكن ماريا تعرف إن كان ذلك ناجماً عن خشيته من إمكانية اجتيازها الخط الفاصل إلى عالم الجنون، أم لأن الإشارة المرسلة من ليونورا هزَّته بقوة أكبر من رغبته بالاعتراف بذلك.

سألها ذات ليلة: «هل يستحق الأمر التحدث مع وسيط روحاني؟»

رمقته ماريا بنظرة اندهاش. لم تكن تتوقع ذلك من بالدفين الذي لم

يعبِّر يوماً إلا عن كرهه للوسطاء الروحانيين. لهذا السبب لم تأتِ على ذكر زيارتها لأندرسن. لم تكن تريد التسبب بأي خلاف، وفي كل الأحوال كانت ما تزال تشعر بأن ما يتعلق بها وبأمها كان يخصُّها وحدها.

قالت: «اعتقدتُ أنك كنت تعارض هذا النوع من الأشياء».

«في الواقع، أنا... إذا كان هناك شيء يمكن أن يساعدك، فلن أبالي بماذا يكون ومن أين يأتي».

فسألَتْه: «هل تعرف أي وسيط روحاني؟»

قال بالدفين بتردد: «لـ-لا».

«ماذا؟»

«إنه أمر كانوا يناقشونه في العمل. جرَّاحو القلب».

«ماذا؟»

«الحياة بعد الموت. حادثة وقعت مؤخراً. كان عندهم رجل مات لمدة دقيقتين على طاولة الجراحة. كانوا يقومون بعملية تحويل لمسار الدم فأُصيب المريض بسكتة قلبية. اضطُرُّوا لإجراء عدة صدمات كهربائية لإنعاشه. فيما بعد ادَّعى أنه اختبر تجربة الوصول إلى حافة الموت».

«لمن أخبر ذلك».

«للجميع. الممرضات. الأطباء. لم يكن متديِّناً من قبل لكنه قال إن هذه التجربة حوَّلته إلى مؤمن».

صمتا كلاهما للحظات.

ثم قال بالدفين: «قال إنه عبر إلى العالم الآخر».

«لم أسألك أبداً من قبل، ولكن هل هذه شائعة في المستشفيات -قصص كهذه؟»

«تسمعين أشياء مشابهة من حين لآخر. بل إن بعض الأشخاص أجروا تجارب على أنفسهم في محاولة لإيجاد أجوبة على مسائل تتعلق بالحياة بعد الموت».

«كيف؟»

«من خلال إجراء تجربة الاقتراب من الموت. إنها ليست غير معروفة. شاهدتُ ذات مرة فيلماً حول الموضوع. على أي حال، بدأ الأطباء بالتحدث حول الوسطاء الروحانيين والأشخاص الذين يتمتعون بقوى فوق-طبيعية، وكان أحدهم يعرف واحداً جيداً ذهبَتْ زوجته لمقابلته. فخطر لي بأنه... قد يناسبك ذلك».

«ما اسمه؟»

«إنها امرأة. اسمها ماغدالينا. كنت أتساءل إن كنتِ تودين التحدث معها. إذا كان ذلك يمكن أن يساعدك بطريقة ما».

15

آخر مكان معروف لتريغفي كان مفرشاً قذراً نتناً في مبنى مقرف يقع بالقرب من راوداراستيغور، غير بعيد عن محطة الحافلات هليمور، حيث كان يمكث مع ثلاثة مشردين آخرين، كلهم سجناء سابقون وفقراء وعاطلون عن العمل. كان مبنىً مصادَراً، محاطاً بحديد صدئ، مع نوافذ مكسورة وسقف يرشح، تفوح منه رائحة بول القطط، ويعج بالقمامة. تُرك المنزل في وصية لمالكيه الحاليين الذين تورَّطوا في نزاع حاد حول الإرث فسمحوا للعقار بالوصول إلى تلك الحالة المريعة. لم يكن بالإمكان وصف الرجال الأربعة بالمستحلِّين غير الشرعيين للمبنى لأنهم كانوا يفتقدون حتى للقدرة على اتخاذ القرار بهذا الشأن. اعتُقل تريغفي من قبل الشرطة عدة مرات بسبب الثمالة والتشرد، لكنه كان -مما استطاع إرلندر اكتشافه- رجلاً منعزلاً مسالماً لا يُعير انتباهه للناس الآخرين بقدر ما كانوا يعيرون انتباههم له.

في المرة الثانية التي قطع فيها إرلندر مشياً المسافة القصيرة من مكتبه الكائن في فيرفيسغاتا إلى المنزل المصادَر القريب من راوداراستيغور، في محاولة لإيجاد تريغفي، صادف رجلاً يمكن تصوُّر أنه زميل سكنه، وكان سكِّيراً نصف واعٍ مستلقٍ على مفرش قذر كان يُوضَع يوماً ما على الأرض الإسمنتية من أجل الراحة. كان الجو ماطراً وقد تشكَّلت بركة على الأرض بالقرب من الرجل. وكانت زجاجات برينيفين متناثرة بجانب المفرش، إلى جانب زجاجات صغيرة كانت ذات يوم تحوي مستخلص الفانيلا أو مادة كحولية أخرى تُستخدَم في الخَبْز، إضافة إلى عبوات ميثامفيتامين وإبرتين قصيرتيْن للحقن تحت الجلد. نظر الرجل شزراً إلى إرلندر من مفرشه -كانت إحدى عينيه مغمضة ومتورِّمة.

ثم دمدم بصوت أجش يكاد يكون غير مفهوم: «من أنت؟»

فقال إرلندر: «أبحث عن تريغفي. فهمت أنه يبقى هنا في بعض الأحيان».

«تريغفي؟ إنه ليس هنا».

«يمكنني ملاحظة ذلك. هل تستطيع أن تخبرني أين يمكن أن يكون في هذا الوقت من اليوم؟»

«لم أره منذ عصور».

«عرفتُ أنه ينام هنا أحياناً».

قال الرجل وهو ينهض ليجلس في مكانه: «كان ينام في السابق، لكنه لم يعد يمكث معنا منذ عصور. في أي يوم نحن؟»

«هل هذا يهم؟»

سأله الرجل بنبرة فيها شيء من الأمل: «هل لديك شيئاً للشرب؟»

كان يرتدي سترة سميكة فوق كنزة، وسروال بني وجزمة مهترئة تصل إلى بطني ساقيه النحيلتين. لاحظ إرلندر أن شفته مشقوقة. كان يبدو كما لو أنه خاض عراكاً مؤخراً.

قال إرلندر: «لا».

فسأله الرجل: «ماذا حول تريغفي؟»

«لا شيء هام. أردتُ رؤيته فقط».

«هل أنت، ماذا... شقيقه؟»

«لا. كيف حال تريغفي؟»

كان إرلندر يعلم بأنه إذا بقي مدة طويلة في ذلك المكان القذر فستفوح رائحة البول من ثيابه لبقية اليوم.

فجأةً زمجر المتشرد بغضب ساخط: «لا أدري كيف حاله. كيف هو حاله برأيك؟ هل يمكن أن تكون حياته سوى تافهة؟ ماذا، هل تظن أن باستطاعتك إنقاذه من الحضيض؟ إنهم يأتون إلى هنا ويضربونك، السفلة الملاعين. يهدِّدون بإحراقك».

«من؟»

«أولاد أنذال! لن يتركونك وشأنك».

«هل كان ذلك منذ وقت قريب؟»

«منذ بضع أيام. إنهم يزدادون سوءاً في كل عام، السفلة الصغار».

«هل أساؤوا إلى تريغفي؟»

«لم أرَ تريغفي منذ...»

أنهى إرلندر الجملة عنه، قائلاً: «... عصور. حسناً».

«جَرِّبِ الحانات. هناك رأيته آخر مرة. في نابليون. لابد أنه وقع على بعض النقود».

قال إرلندر: «شكراً لك».

«هل تملك بعض النقود؟»

«ألن تُصرَف على الكحول فقط؟»

رمق الرجل المتشرد إرلندر بنظرة ماكرة، قائلاً: «هل هذا يهم؟»

فقال إرلندر وهو يفتش في جيب سرواله بحثاً عن بعض الأوراق

المالية: «لا، لا أعتقد ذلك».

لم تتغيَّر حانة نابوليون كثيراً منذ آخر مرة زارها إرلندر. كان هناك بعض الرجال يجلسون مُحْدَوْدبي الظهر فوق الطاولة البعيدة المخلخلة؛ وكان عامل البار، الذي يرتدي صدرية سوداء وقميصاً أحمر، يحلُّ كلمات متقاطعة؛ في حين كان المذياع الموضوع فوق البار يبث مسلسل بعد الظهر، وكان بعنوان «مكان أدعوه ملْكي».

لم يكن إرلندر يعلم أي شيء تقريباً عن الرجل الذي كان يبحث عنه. لقد اتصل هاتفياً بالممثل أوري فيلدستد، الذي تحدث بإسهاب هذه المرة لامتلاكه كل الوقت في يديه إثر الإيقاف المبكر لمسرحية «عُطَيل». لكنه لم يكن يعرف أكثر مما قاله مسبقاً لإرلندر حول الحادثة التي أُوقف فيها قلب تريغفي لعدة دقائق قبل أن يُنعَش من جديد. رغم أنه كان متأكداً من أن بالدفين كان متورطاً، إلا أنه لم يستطع تذكُّر اسم ابن عم تريغفي الذي كان مسؤولاً عن العملية الجراحية. أحال أوري إرلندر إلى كلية اللاهوت في الجامعة وهناك أُبلغ بأن تريغفي توقَّفَ عن الدراسة بعد سنته الأولى. ثم قاده الأثر إلى كلية الطب، حيث درس تريغفي لعامين فقط قبل يتركها أيضاً من أجل الحصول على عمل. وبالتحقيق تبيَّن أنه ذهب إلى البحر وعمل في السفن التجارية وكذلك في سفن الصيد إلى أن عاد إلى البر وأصبح عاملاً في أحواض السفن. قال زميل عمل قديم من الأحواض بأن تريغفي كان في طريقه ليصبح مدمناً على الكحول منذ ذلك الحين، وكان يتغيَّب كثيراً عن العمل بسبب كثرة الشرب إلى أن طُرد في نهاية المطاف. وبعد ذلك، بدأ تريغفي يظهر في تقارير الشرطة، عادة كمتشرد يمكث في أماكن مهجورة مثل ذلك المبنى القريب من هليمور، أو كان يُعثَر عليه مستلقياً في الشارع فاقد الوعي بسبب الكحول. لكن إرلندر لم يجد سجلاً جرمياً له.

قال إرلندر لعامل البار الذي كان ما يزال يعكف على حل كلماته المتقاطعة: «إنني أبحث عن تريغفي. عرفت أنه يشرب هنا أحياناً».

«تريغفي؟ أتظن أنني أعلم هؤلاء الأشخاص بالاسم؟»

«لا أدري. هل تعرفهم بالاسم؟»

قال عامل البار: «تحدَّثْ مع ذلك الشخص الذي يرتدي المعطف المطري الأخضر. إنه يتواجد هنا كل يوم».

حدَّق إرلندر في الاتجاه الذي أشار إليه عامل البار فرأى رجلاً يرتدي معطفاً مطرياً أخضر جالساً وأمامه على الطاولة كأس جعة نصف فارغ

وثلاثة أقداح صغيرة من الشراب. وفي الجهة المقابلة من الطاولة، كانت هناك امرأة متوسطة العمر يصطف أمامها نفس العدد من الأقداح.

قال إرلندر عند اقترابه منهما: «إنني أبحث عن رجل يُدعى تريغفي». ثم جلب كرسياً من الطاولة المجاورة وجلس عليه بجانبهما.

نظرا إليه باستغراب، ثم قال الرجل: «من أنت؟»

«صديقه. من المدرسة. سمعت أنه يأتي إلى هنا أحياناً فأردت رؤيته».

قالت المرأة: «وماذا...؟»

كان من الصعب تخمين عُمريهما. كلاهما كانا يملكان وجهين منتفخيْن وعينين حمراوين، وكانا يدخِّنان سيجارتين ملفوفتين يدوياً. لقد قاطع إرلندر صناعتهما المحلية، إذ كانا يلفّان سجائر صغيرة من التبغ وأوراق السجائر. كانت المرأة تضع بعناية كمية صغيرة من التبغ في كل ورقة، وتحرص على عدم هدر أي نثرة منه، فيما كان الرجل يلفّها ويلعقها.

قال إرلندر: «لا شيء. أريد أن أراه فقط، هذا كل ما في الأمر. هل تعلم أين يكون؟»

قال الرجل ذو المعطف المطري الأخضر موجِّهاً كلامه إلى المرأة: «تريغفي ميت، أليس كذلك؟»

«لم أره منذ مدة طويلة. قد يكون ميتاً».

«أنتما تعرفانه إذن؟»

قال الرجل وهو يلعق لفافة جديدة أعطتها المرأة له: «كنت أصادفه بين الحين والآخر».

«هل مضى وقت طويل على آخر مرة رأيته فيها؟»

«أجل».

«هل تذكر أين كان ذلك؟»

«كان ربما... أليس كذلك؟ ... لا أذكر. تحدَّثْ مع رودولف. إنه هناك».

أشار الرجل إلى الباب حيث كان يوجد رجل آخر يرتدي سترة تزلج زرقاء يجلس بمفرده ويدخِّن، وأمامه كأس من الجعة. كان يحدِّق في الطاولة ويبدو مستغرقاً كلياً في عالم خاص به عندما جلس إرلندر على كرسي قبالته. فرفع الرجل رأسه.

سأله إرلندر: «هل تعلم أين يمكنني إيجاد تريغفي؟»

«من أنت؟»

«صديقه. من الجامعة».

«هل كان تريغفي في الجامعة؟»

أومأ إرلندر برأسه دلالةً على الموافقة، ثم قال: «هل تعلم أين يمكنني العثور عليه؟» أشار إرلندر إلى الرجل والمرأة اللذين كانا يصنعان لفائف التبغ، وأضاف: «يعتقدان أنه قد يكون ميتاً».

«تريغفي ليس ميتاً. لقد قابلته منذ يومين أو ثلاثة. إذا كان تريغفي نفسه الذي تبحث عنه. لا أعرف غيره. هل كان في الجامعة؟»

«أين قابلته؟»

«قال إنه سيحصل على عمل، ويحاول التخلص من الشرب».

«حقاً؟»

تابع الرجل كلامه، قائلاً: «لقد سمعتُ ذلك من قبل. كان في محطة الحافلات المركزية. يحلق ذقنه في المراحيض».

«إنه يمكث في محطة الحافلات، أليس كذلك؟»

«أحياناً، بلى. يراقب الحافلات. يجلس هناك طوال النهار، يراقب الحافلات وهي تذهب وتأتي».

16

في وقت لاحق من ذلك اليوم، دخل إرلندر من الطقس الماطر ووقف في المدخل المفضي إلى سكولاكافي، متلفِّتاً حوله بحثاً عن المرأة التي جاء لمقابلتها. رأى ظهرها وهي جالسةً بشكل مقوَّس فوق فنجان من القهوة حاملةً بين أصابعها نهاية سيجارة مشتعلة. تردَّد لوهلة. كانت الطاولة البعيدة فقط مشغولة، إما من قبل سائقي شاحنات يقرؤون الصحيفة أو عمال يُمضون استراحة قهوتهم المتأخرة، رجال أنهوا فطائرهم ومازال لديهم بضع دقائق لأنفسهم قبل العودة إلى العمل. كانت الأرضية المهترئة المصنوعة من اللينوليوم والمقاعد الرثة تناسب وجوههم الذابلة وبقع الجلد المتقرِّنة على أيديهم. في الواقع، كان المكان أشبه بكافيتيريا للعمال منه بمطعم، لكنه، رغم ذلك،كان يقدِّم أفضل لحم حَمَل مملَّح مع صلصة بيضاء في المدينة. كان إرلندر هو الذي اختار سكولاكافي للالتقاء فيه وهي وافقت دون اعتراض، حسب إيفا لِيند.

قال إرلندر عندما وصل إلى الطاولة: «مرحباً».

رفعت هالدورا نظرها عن فنجان قهوتها وقالت بنبرة غير قابلة للتفسير: «مرحباً».

مدَّ يده إليها فرفعت يدها، ولكن فقط لترفع فنجانها وتأخذ رشفة من القهوة.

دس يده في جيب معطفه وجلس قبالتها.

قالت وهي تُطفئ سيجارتها: «من المؤكد أنك تعرف كيف تختار الأمكنة».

«إنهم يُعدُّون حَمَلاً مملَّحاً جيداً هنا».

قالت هالدورا: «نفس الولد الريفي القديم».

«أعتقد أنني كذلك. كيف حالك؟»

قالت وهي ترفع نظرها عن الطاولة: «لستَ بحاجة لأن تكون مهذباً من أجلي».

«حسناً».

«أخبرتني إيفا أنك كنت تعيش مع امرأة».

«نحن لا نعيش معاً».

«حقاً؟ ماذا إذن؟»

«نحن صديقان مقرَّبان. اسمها فالجردر».

«أوه».

سكتا كلاهما.

ثم قالت هالدورا بشكل مفاجئ وهي تُمسك بعلبة السجائر والقداحة وتضعهما في جيب معطفها: «هذا مجرد هراء». ثم أضافت وهي تنهض واقفة: «لا أعرف بماذا كنتُ أفكر».

فقال إرلندر: «لا تذهبي».

«يجب أن أذهب. لا أعلم ماذا كانت إيفا تظن أنها ستحصل من هذا ولكن... هذا مجرد هراء...»

مدَّ إرلندر يده وأمسك بذراعها وقال مجدداً: «لا تذهبي».

التقت عيناهما لوهلة ثم نفضت هالدورا ذراعها محرِّرة إياها من يده وعادت لتجلس في مقعدها.

ثم قالت: «لقد جئتُ فقط لأن إيفا أرادت مني فعل ذلك».

«وأنا أيضاً. ألا ينبغي علينا أن نحاول فعل هذا من أجلها؟»

أخرجت هالدورا سيجارة أخرى وأشعلتها. اعتقدَ إرلندر بأنه رأى كلمة مايوركا مكتوبة على القداحة. لم يكن يعلم أنها ذهبت يوماً في إجازة إلى البحر المتوسط. لعلها اشترتها كي تستحضر ذكريات أشعة الشمس. أو لتُبقي الحلم بالرمال الساخنة على شاطئ ما حيَّاً في ذهنها. ذات مرة رفض أخذها في رحلة منظَّمة إلى مكان مشمس، قائلاً إنه لم يكن يرى الغاية من الذهاب إلى أمكنة كهذه. فردَّت عليه بحدة، قائلةً: «الغاية! الغاية هي أن الناس يذهبون إلى هناك كي لا يفعلوا شيئاً!»

قالت هالدورا: «إيفا بخير».

«ينبغي علينا أن نحاول مجاراتها. أعتقد بأننا إذا تمكننا من إيجاد طريقة لعرض دعمنا المشترك، فهذا سيساعدها».

«هنالك مشكلة واحدة فقط في ذلك، وهي أنني لا أريد أي علاقة بك. لقد أخبرتها بذلك وهي تعلم ذلك. لقد أخبرتها بذلك مراراً وتكراراً».

«يمكنني أن أفهم هذا جيداً».

قالت هالدورا بغضب: «تفهم؟ هل تظن بأنني أكترث لما تفهمه أو لا تفهمه؟ أنت دمَّرتَ عائلتنا. إنك تحمل هذا الذنب. لقد هجرتَ ببساطة كما لو أن ولديك لم يكن لهما أي علاقة بك. ما الذي تفهمه؟»

«أنا لم أهجر ببساطة. إنك مخطئة بهذا الشأن ولم يكن لطيفاً منك إخبار الولدين بذلك».

«ليس لطيفاً مني!»

قال إرلندر: «هل يمكننا تجاوز الجدال؟»

«وتجرؤ على الحكم علي!»

«إنني لا أحكم عليك».

قالت هالدورا بازدراء: «لا، هذا صحيح. أنت لا تريد الجدال حول أي شيء. لديك طريقتك الخاصة، وعلى الجميع أن يخرسوا. أليس هذا ما تريده؟»

لم يُجب إرلندر. كان يخشى من هذا اللقاء لأنه كان يعلم بأن هالدورا ستهاجمه بهذه الطريقة. بالنسبة إليها، ما حدث في الماضي لم يُدفَن ولم يُنسَ. نظر إليها ورأى كيف تقدَّم بها العمر، كيف ارتخت عضلات وجهها، وبرزت قليلاً شفتها السفلى، واحمرَّ الجلد على أنفها وتحت عينيها. كانت في الماضي معتادة على التبرُّج، لكنها فيما يبدو لم تعد تكترث لذلك. وكان يعتقد بأنه هو أيضاً يُظهِر نفس المنظر المحزن.

ثم قال: «لقد أخطأنا. أنا أخطأت. يجب أن أقبل ذلك. كان يجب علي أن أتصرَّف بشكل مختلف. كان يجب علي الإصرار على رؤية الولدين. كان يجب علي تفسير الأمور بصورة أفضل لك. حاولتُ ولكن ربما ليس بالقوة الكافية. أنا آسف لما حدث لكنني لا أستطيع تغيير أي شيء. لم يعد الأمر يتعلق بنا وإنما بسيندري وإيفا. لعله كان دائماً يتعلق بهما. كان باستطاعتي التصرُّف بشكل أفضل لكنني تركتك تتولَّين المسؤولية. أنتِ احتفظت بالولدين».

أنهت هالدورا سيجارتها وسحقتها في المنفضة. لكنها أخرجت واحدة أخرى على الفور وأشعلتها بقداحة مايوركا، ثم استنشقت الدخان الأزرق ونفثته ببطء من منخريها.

ثم قالت: «إذن فأنت تريد أن تحمَّلني مسؤولية كل شيء؟»

«لا أريد أن أحمِّل المسؤولية لأي شخص بالنسبة لأي شيء».

«طبيعي، إنك تتملَّص من أي عواقب. أنا احتفظتُ بالولدين! أليس هذا ما كنت تريده؟»

«لم أقصد ذلك. وأنا لا أتملَّص-»

«هل تظن أن حياتي كانت فراشاً من الورود؟ أمٌّ مطلَّقةٌ مع ولدين. هل تعتقد أن هذا كان أمراً هيِّناً؟»

«لا. إذا كنت تبحثين عمن يتحمَّل اللوم، فأنا هو. لا أحد غيري. أعلم ذلك. لطالما عرفت ذلك».

«جيد».

«لكنك لست بريئة تماماً أيضاً. أنت لم تسمحي لي برؤية الولدين. وأخبرت أكاذيب عني. كان ذلك انتقامك. كان بوسعي الضغط بقوة أكبر من أجل رؤيتهما. كان هذا خطئي».

حدَّقت هالدورا فيه إلى أن التقت عيناهما، ثم قالت: «خطؤك وانتقامي».

لم يُجب إرلندر.

فقالت: «أنت لم تتغيَّر».

«لا أريد أن أتشاجر معك».

«لا، لكنك تفعل على أي حال».

«ألم يكن باستطاعتك رؤية ما كان يحدث؟ ألم يكن باستطاعتك التدخُّل؟ ألم يكن باستطاعتك إبعاد نظرك عن رثاء الذات لدقيقة واحدة ورؤية ما كان يحدث؟ أنا أعرف مسؤوليتي وأعرف أنني أتحمَّل ذنب عدم التأكد من أنهما على ما يرام. منذ أن بدأَتْ إيفا تبحث عني ورأيتُ ما حدث، لمتُ نفس، لأنني أعلم بأنني خذلتهما. ولكن ماذا عنك، هالدورا؟ ألم يكن بوسعك فعل شيء ما؟»

لم تُجب هالدورا على الفور بل راحت تنظر إلى المطر وهي تعبث بالقداحة بين أصابعها. انتظرَ إرلندر دفقة اتهامات مضادة، لكنها ببساطة اكتفت بالنظر بهدوء إلى المطر والتدخين.

بدا صوتها متعباً عندما أجابت أخيراً: «كان أبي عاملاً، كما تعلم. وُلد فقيراً ومات أفقر. وأمي أيضاً. لم نكن نملك أي شيء. ولا أي شيء لعين. تخيَّلتُ حياةً أخرى. أردتُ الهروب من الفقر. الحصول على شقة جميلة. أشياء جميلة. رجل طيب. اعتقدت أنك هو. ظننت بأننا كنت نبدأ حياة ستجلب لنا شيئاً من السعادة. لم تسير الأمور على هذا النحو. أنت... رحلتَ. بدأتُ أشرب. لا أعلم ماذا أخبراك سيندي وإيفا. لا أعلم كم تعرف حول حياتي -حياتنا- لكنها لم تكن ممتعة تماماً. لم أكن محظوظة مع الرجال. بعضهم كانوا سفلة حقيقيين. عشت في سلسلة من الشقق المؤجَّرة، وكان بعضها في غاية السوء. في بعض الأحيان، كنا نُطرَد أنا والولدان. أحياناً كنت أشرب بكميات مفرطة. لعلي لم أعتنِ بهما كما ينبغي. لعلهما عاشا حياةً أسوأ من الحياة التي عشتُها، وبخاصة إيفا. كانت دائماً أشد حساسيةً من سيندري فيما يتعلق بالغرباء والظروف السيئة». أخذتْ نَفَساً من سيجارتها ثم تابعت كلامها: «هذا ما حدث. حاولت عدم الاستسلام لرثاء الذات. أنا... إنه أمر خارج عن إرادتي إذا كنتُ أميل لإلقاء اللوم عليك في

بعض منه».

قال إرلندر وهو يمدَّ يده نحو سجائرها: «هل يمكنني؟»

فدفعت العلبة نحوه، ومعها قداحة مايوركا. وراحا يدخنان بصمت، كلٌ مستغرق في أفكاره الخاصة.

ثم قالت هالدورا: «كانت دائماً تسأل عنك، وكنت أخبرها عادةً بأنك كنت مثل أولئك الحثالة الذين اعتدتُ الخروج معهم. أعلم أن هذا لم يكن لطيفاً مني ولكن ماذا كان عساي أن أقول؟ ماذا كنت تود أن أقول؟»

«لا أدري. لا يمكن أن تكون حياة سهلة».

«أنت من فرضها علينا».

لم يُجب إرلندر. كان المطر ينهمر بصمت من السماء الشتوية العاتمة. وقف ثلاث رجال يرتدون قمصاناً ذات مربعات وخرجوا موجِّهين شكرهم للطبّاخ في الطريق.

قالت هالدورا: «كانت الفرص في غير صالحي منذ البداية».

«ربما».

«ليس هناك 'ربما' في هذا الشأن».

«لا».

«أتعرف لماذا؟»

«أظن ذلك».

«كانت في غير صالحي لأنني منحت العلاقة مائة بالمائة».

«نعم».

«لكنك لم تفعل ذلك أبداً».

لم يُجب إرلندر فقالت هالدورا مجدداً وهي تنفث دخانها: «أبداً».

«أعتقد أنك محقة».

«هه». تجنَّبت هالدورا ملاقاة نظرته. ثم سكتا معاً لمدة طويلة إلى أن سعلت هالدورا، فمدت يدها نحو المنفضة وأطفأت سيجارتها.

ثم سألته: «هل تعتقد أن ذلك كان عادلاً؟»

«أنا آسف لأنه لم يُقابَل بالمثل».

قلَّدته هالدورته بسخرية: «'أنا آسف'! أتظن أن ذلك يساعد؟ بماذا كنت تفكر بحق الله؟»

«لا أعرف».

«لم أستغرق وقتاً طويلاً قبل أن أدرك... أدرك أنني لم أكن مهمة.

لكنني ظللت أحاول، رغم ذلك. كأي غبية. وكلما عرفتك بشكل أفضل، كلما ازدادت محاولاتي قوةً. كنت سأفعل أي شيء من أجلك. لو أنك منحتنا بعض الوقت و... لماذا تركْتَ الأمور تذهب بعيداً؟ بعدم الاكتراث ولو بالحد الأدنى؟»

طأطأت هالدورا رأسها ونظرت إلى فنجان قهوتها، مقاومةً انهمار دموعها، فتدلَّى كتفاها وارتعشت شفتها السفلى.

قال إرلندر: «لقد أخطأت. أنا... لم أعرف كيف أتصرَّف، لم أكن أعرف ما كنت أفعله. لا أعرف ماذا حصل. حاولت عدم التركيز على ذلك. حاولت تجنُّب التفكير في ذلك الفصل من حياتي. لعله جُبْن».

«لم أفهمك أبداً».

«أعتقد أننا مختلفان جداً يا هالدورا».

«ربما».

«توفيت أمي. شعرت بأنني وحيد نوعاً ما في العالم. ظننت...»

«بأنك ستجد لنفسك أمَّاً جديدة؟»

«أحاول إخبارك بالحالة التي كنتُ فيها».

«لا تزعج نفسك بذلك. هذا لم يعد مهماً».

قال إرلندر: «أعتقد بأن علينا التركيز على المستقبل بدلاً من ذلك».

«أجل، أعتقد ذلك».

«ظننت بأننا سنتحدث حول إيفا. هذا لم يعد يتعلق بنا. ليس بعد الآن. ولم يكن كذلك منذ وقت طويل يا هالدورا. يجب أن تفهمي ذلك».

سُمعت قعقعة أطباق من المطبخ. دخل رجلان يرتديان سترتين من الجينز واتجها صوب طاولة تقديم المأكولات والمشروبات فأخذا قهوة وفطائر بنفسيهما وجلسا في الزاوية. كان هناك رجل يرتدي معطفاً مطرياً يجلس وحيداً بجانب طاولة أخرى ويتصفَّح الصحيفة. ولم يكن هناك أحد غيرهم في الصالة.

قالت هالدورا بصوت منخفض: «كنتَ خبراً سيئاً. هذا ما كان أبي يقوله دائماً. خبر سيئ».

قال إرلندر: «كان من الممكن أن يكون الوضع مختلفاً لو أنك أبديت أدنى تفهُّم لما كنت أشعر به. لكن الوضع كان مؤلماً جداً فأصبحت تشعرين بالمرارة والكره ومازلت حتى الآن. لم تسمحي لي بالاقتراب من الولدين. ألا تعتقدين أن هذا ذهب بعيداً بما يكفي؟ ألا تعتقدين أنه كان بوسعك التخفيف من الاتهامات المضادة؟»

«هيا، حمِّلني مسؤولية كل شيء!»
«إنني لا أقصد ذلك».
«بالتأكيد أنت تقصد ذلك».
«ألا يمكننا فعل شيء من أجل إيفا؟»
«لا أرى كيف. لست مهتمة بإراحة ضميرك».
«ألا يمكننا حتى المحاولة؟»
«لقد فات الأوان».
«لم يكن يُفترَض أن يكون الأمر على هذا النحو».
«ماذا تعلم حول ذلك؟ إنه صنع يديك».
أخذت هالدورا علبة سجائرها والقداحة ثم وقفت وقالت بصوت هامس حاد: «الأمر كله صنع يديك».
وبغضب خرجت مسرعةً.

17

خلال الأيام القليلة التالية، قصد إرلند محطة الحافلات المركزية عدة مرات بحثاً عن تريغفي، مستنداً فقط إلى الوصف الغامض، نوعاً ما، الذي أعطاه له رودولف في حانة نابليون، والذي كان يأمل أن يكون كافياً. وفي الزيارة الثالثة، كان الركاب يُدعَون للتوجُّه إلى الباص المسافر إلى أكويريري. بدأت مجموعة صغيرة من الأشخاص بجمع أغراضهم في قاعة الانتظار. كانت ساعة الذروة في وقت الغداء قد انقضت، ولهذا السبب كانت الكافيتيريا، التي تقدِّم وجبات ساخنة ومشروبات غازية وساندويتشات، هادئة حينئذ. كان التدخين مسموحاً عند الطاولات المحاذية للنوافذ المقابلة لمواقف الحافلات. رأى إرلندر رجلاً جالساً لوحده هناك يُمسك بكيس بلاستيكي أصفر موضوع على الطاولة. كان يراقب الركاب وهم يصعدون إلى الحافلة المتجهة إلى أكويريري. كان شعره خشناً، وكانت هناك ندبة كبيرة على ذقته ناجمة عن حادثة قديمة أو جرح سكين، وكانت يداه كبيرتين وقذرتين، وأظافر السبابة والوسطى، في كلتا اليدين، سوداء.

قال إرلندر لدى اقترابه منه: «أرجو المعذرة، هل يمكن أن تكون تريغفي؟»

رمقه الرجل بنظرة متشككة، ثم قال: «من أنت؟»

«اسمي إرلندر».

فقال الرجل باستخفاف: «هه ...» كان واضحاً أنه ليس مهتماً بالغرباء الذين يخاطبونه من دون سابق إنذار.

سأله إرلندر: «هل يمكنني أن أقدم لك شيئاً لتأكله؟»

«ماذا تريد؟»

«أردتُ فقط أن أدردش قليلاً معك. آمل ألا يزعجك ذلك».

تمعَّن الرجل في إرلندر، ثم قال: «تدردش قليلاً؟»

«إذا كان ذلك لا يُزعجك».

«ماذا تريد مني؟»

«هل يمكنني أن أجلب لك شيئاً ما؟»

نظر الرجل مطوَّلاً إلى إرلندر، غير متأكد من كيفية الرد على هذه المقاطعة.

وفي النهاية، قال: «يمكنك أن تشتري لي شنابس».

ابتسم إرلندر بفتور، وبعد لحظة تردد، توجَّه نحو طاولة خدمة

الزبائن وطلب قدَحاً مزدوجاً من البرينيفين وفنجانين من القهوة. سأل إرلندر عامل البار إنْ كان يعرف أي شيء عن الرجل الجالس بجوار النافذة في ركن التدخين.

فقال عامل البار وهو يشير إلى الرجل: «أتعني ذلك المتشرد هناك؟»

«أجل. هل يأتي إلى هنا كثيراً؟»

«إنه يأتي إلى هنا منذ سنوات».

«ماذا يفعل؟»

«لا شيء. إنه لا يفعل شيئاً على الإطلاق ولا يسبِّب أي مشكلة. لا أدري لماذا يأتي إلى هنا. أراه أحياناً يحلق ذقنه في المراحيض. إنه يجلس حيث هو جالس الآن لساعات متواصلة، يراقب الباصات المغادرة. هل تعرفه؟»

«لا، ليس تماماً. على الإطلاق. ألا يذهب أبداً إلى أي مكان بالحافلات؟»

«لا، أبداً. لم أره يوماً يصعد إلى إحدى الحافلات».

أخذ إرلندر الفكَّة وشكره ثم عاد إلى الرجل بجانب النافذة وجلس قبالته.

قال الرجل: «من قلتَ أنك تكون؟»

فسأله إرلندر بالمقابل: «هل اسمك تريغفي؟»

«أجل، أنا تريغفي. وأنت؟ من أنت؟»

«اسمي إرلندر. أنا من الشرطة».

أبعد تريغفي كيسه البلاستيكي ببطء عن الطاولة، ثم قال: «ماذا تريد مني؟ أنا لم أفعل شيئاً؟»

فقال إرلندر: «لا أريد أي شيء منك. ولا أهتم بما تملكه في ذلك الكيس. في الحقيقة، لقد سمعتُ قصة غريبة حول الفترة التي قضيتَها في الجامعة وأردتُ أن أعرف إذا كان فيها أي شيء من الصحة».

«أي قصة؟»

«همم ... كيف سأعبِّر عنها؟ ... حول موتك؟»

حدَّق تريغفي في إرلندر لمدة طويلة دون أن يقول أي كلمة. كان قد شرب القدح الكبير دفعةً واحدةً وأعاده إلى الطاولة. كانت عيناه باهتتين وغارقتين تحت حاجبين كثّين، ووجهه ممتلئاً على نحو متباين بغرابة مع جسده الهزيل، وأنفه كبيراً ومكسوراً في مرحلة ما من حياته، وشفتاه غليظتين. وكان وجهه يبدو كما لو أنه رضح منذ زمن لقوة الجاذبية، الأمر

الذي جعله يبدو طويلاً على نحو غير عادي ومتعَباً.

«كيف وجدتني هنا؟»

«بطرق متنوعة. منها زيارة إلى نابليون».

«ماذا تعني، ‘حول موتي’؟»

«لا أعرف إذا كان ذلك صحيحاً لكنني سمعتُ عن تجربة قام بها طلاب طب أو طالب طب في الجامعة. أنت كنتَ تدرس اللاهوت أو الطب، لستُ متأكداً أياً منهما. لقد وافقتَ على الاشتراك في التجربة، وكانت تتضمن إيقاف قلبك مؤقتاً، ثم إنعاشك من جديد. هل هذا صحيح؟»

قال تريغفي، بصوت خشن أجش كأي سكِّير: «ماذا تريد أن تعرف؟» ثم أدخل يده في جيب صدره وأخرج علبة سجائر نصف فارغة.

«أنا فضولي».

نظر تريغفي بشكل مقصود إلى القدح ثم إلى إرلندر، فوقف إرلندر وعاد إلى طاولة خدمة الزبائن واشترى نصف زجاجة برينيفين آيسلندية وجلبها معه إلى الطاولة. ملأ تريغفي قدحه ووضع الزجاجة على جانبه من الطاولة.

ثم قال: «أين سمعتَ هذه القصة؟» ثم شرب القدح وأعاده إلى الطاولة مجدداً.

أعاد إرلندر ملء القدح ثم سأله: «هل هي صحيحة؟»

«ماذا بشأنها؟ ماذا تنوي أن تفعل بها؟»

«لا شيء».

قال تريغفي وهو يشرب من كأسه: «أنت شرطي؟»

«أجل. هل أنت تريغفي نفسه؟»

قال الرجل وهو ينظر حوله: «اسمي تريغفي. لا أعرف ماذا تريد مني؟»

«هل يمكنك أن تخبرني بما حدث؟»

«لم يحدث أي شيء. لا شيء. لا شيء البتة. لماذا تسأل عن هذا الآن؟ ما علاقة ما حدث بك؟ ما علاقته بأي شخص؟»

لم يكن إرلندر يريد إخافته. كان بوسعه القول لهذا المتشرد المدمن النتن بأن هذا ليس شأنه، لكنه بذلك لم يكن سيسمع ما كان يريد معرفته. ولهذا السبب، حاول أن يكون استرضائياً، حيث خاطب تريغفي كندٍّ له، وأعاد ملء قدحه وأشعل السيجارة له. تحدَّث قليلاً حول المكان الذي كانا جالسيْن فيه، والذي كان ما يزال يبيع رأس خروف مسفوع مع لفت

مهروس كما في الماضي، عندما كان الشبان يتجوّلون في أرجاء الحي مع صديقاتهم ويذهبون إلى محطة الحافلات من أجل طبقها المميز. كما أن مشروب الشنابس فعل فعله أيضاً، حيث كان تريغفي يتجرعه بسرعة، قدحاً بعد الآخر، ما جعل لسانه يتحرر قليلاً. وبشكل تدريجي، حوَّل إرلندر الحديث بسلاسة إلى ما حدث عندما كان تريغفي في الجامعة وأراد بعض زملائه الطلاب إجراء تجربة غريبة عليه.

سأله إرلندر حالما بدآ يتبادلان الحوار: «هل تريد شيئاً لتأكله؟»

لوَّح تريغفي بيده في إشارة إلى عدم رغبته بالطعام، ثم قال: «كنت أظن أنه كان بوسعي أن أصبح كاهناً». أمسك بالزجاجة وأخذ جرعة طويلة ثم مسح شفتيه بكمِّه. «لكن علم اللاهوت كان مملاً. ولهذا جرَّبتُ الطب. معظم أصدقائي تحوَّلوا إلى الطب. أنا ...»

«ماذا؟»

«أنا لم أرهم منذ سنوات. أتوقع أنهم أصبحوا كلهم أطباء الآن. مختصون بهذا الشيء وذاك. أثرياء وبدناء».

«هل كانت فكرتهم؟»

رمق تريغفي إرلندر بنظرة توحي بأن إرلندر كان يتجاوز حدوده. كان لسان حاله يقول: هذه هي قصتي، وإذا لم يعجبك ذلك فيمكنك المغادرة.

تنهَّد إرلندر بقوة ثم قال: «قد تكون القصة متعلقة بقضية أحقق فيها، هذا كل ما أستطيع قوله حقاً».

رفع تريغفي كتفيه لامبالياً، وقال: «كما تشاء». ثم أخذ جرعة كبيرة أخرى من الزجاجة.

انتظره إرلندر بصبر. ولما وجد أنه بقي صامتاً، قال أخيراً: «سمعتُ أنك أنتَ من طلب منهم فعل ذلك».

«هذه كذبة قذرة. لم أطلب منهم أي شيء. هم من عرضوا الأمر علي. هم الذين جاؤوا إلي».

لم يتكلم إرلندر.

تابع تريغفي كلامه: «لم يكن ينبغي علي الإصغاء لذلك التافه».

«أي تافه؟»

«ابن عمي. تافه غبي لعين!»

ساد الصمت من جديد لكن إرلندر لم يجرؤ على كسره، آملاً بأن يشعر المشرَّد برغبة في إخبار قصته، بالبوح بما حدث، ولو لرجل غريب في محطة الحافلات المركزية.

سأله تريغفي وهو يشد سترته حوله: «ألا تشعر بالبرد؟»

«لا، الجو ليس بارداً هنا».

«إنني أشعر بالبرد دوماً».

«ماذا بشأن ابن عمك؟»

«لا أتذكر الكثير حول الأمر حقاً».

أحسَّ إرلندر من النظر إلى تريغفي بأنه -على العكس من ذلك- كان يعرف كل تفصيل فيما حدث.

«كانت فكرةً مجنونةً خطرت لنا خلال جلسة شرب ثقيلة. كانوا بحاجة لفأر تجارب. قالوا: 'لنستخدم طالب اللاهوت. لنرسله إلى الجحيم'. أتعلم، كان أحدهم ... ابن عمي، تافهاً ثرياً ذا هوس غبي بالموت. كنت أنا نفسي كذلك بعض الشيء وكان يعرف ذلك. كان يعلم بذلك ولهذا السبب دفع لي أجر شهر بأكمله في تلك الأيام. وكانت هناك فتاة أيضاً في المجموعة وكنتُ ... كنتُ أحبها قليلاً. لعلي فعلتُ ذلك من أجلها. لا يمكنني القول إنني لم أفعل. كانوا أكبر مني، فابن عمي كان في سنته الأخيرة وهي كذلك. الفتاة».

18

بعد أن شرب نصف الزجاجة، راح تريغفي يحدِّق بتشوُّش في مواقف الحافلات. كان سرده غير منتظم ومكرراً، ومعقداً بصورة غريبة، وفي بعض الأحيان كان يصمت لمدة طويلة. لكن إرلندر لم يجرؤ على مقاطعته. وبعد ذلك، طأطأ رأسه وحدَّق في الطاولة كما لو أنه كان وحيداً في العالم مع أفكاره، وحيداً في الحياة. أحسَّ إرلندر بأن تريغفي نادراً ما تحدَّثَ عن هذه الأحداث بعد حصولها وأنها كانت تتضمن عدة قضايا غير محلولة ظلت تسكنه منذ ذلك الحين، ولم يتمكَّن من التخلص منها أبداً.

كانت فكرة ابن عمه، الذي كان يمضي سنته الأخيرة في الطب وينوي الذهاب للتخصص في الولايات المتحدة في الخريف. كان يعمل فيما كان يُسمَّى حينئذ مستشفى المدينة، وكان الأول على دفعته، حلو المعشر، يعزف على الغيتار، ويروي قصصاً مسلِّية، وينظم رحلات إلى الجبال. كنتَ تجده دائماً في المركز من أي شيء يكون مشاركاً فيه، وكانت ثقته بنفسه غير قابلة للاهتزاز، وكان مسيطراً وحيوياً وذا عزيمة. ذات مرة، صادف تريغفي في مناسبة عائلية فسأله إن كان قرأ حول طلاب الطب الفرنسيين الذين أجروا مؤخراً تجربة مثيرة للاهتمام، ولكن مخالفة كلياً للقانون.

فقال تريغفي: «أي تجربة؟» كان تريغفي نقيض ابن عمه في كل شيء؛ خجول ومنطوٍ على نفسه. لم يكن يتحدث أبداً في الاجتماعات، وكان يرفض الذهاب في رحلات إلى الجبال مع طلاب الطب غير المنضبطين، وكانت مشكلته مع الكحول قد بدأت منذ ذلك الحين.

قال ابن عمه: «كانت غير معقولة. لقد أحدثوا سكتة قلبية لأحد زملائهم الطلاب وأبقوه ميتاً لثلاث دقائق قبل أن يعيدوا إنعاشه. لا يعرف النظام ماذا سيفعل بهم. لقد قتلوه، وفي الوقت نفسه لم يقتلوه، إذا فهمتَ ما أقصده».

بدا ابن عم تريغفي مهووساً بهذا الخبر، إذ ظل لأسابيع لا يتحدث عن أي شيء إلا عن الطلاب الفرنسيين، وكان يتابع محاكمتهم في الأخبار، كما بدأ يهمس لتريغفي حول اهتمامه بفعل شيء مشابه. كان يفكِّر في هذا الأمر منذ مدة طويلة وها قد أثار هذا الخبر حماسته إلى درجة لم يكن قادراً على السيطرة عليها.

قال ذات يوم بينما كانا جالسيْن في كافيتيريا الكلية: «أنت درست اللاهوت، لابد أنك تشعر بالفضول على الأقل».

فقال تريغفي: «لن أدع أي إنسان يقتلني. جدْ شخصاً آخر».

قال ابن عمه: «ليس هناك أي شخص آخر. أنت الشخص المثالي. أنت شاب وقوي. وليس هناك مرض قلب من أي نوع في عائلتنا. داغمار ستشترك معنا، وبادي، وهو شاب آخر أعرفه يدرس الطب. لقد تحدثتُ معهما مسبقاً. لا توجد أي ثغرات. لا شيء يمكن أن يحدث. أعني، لطالما تساءلتَ حول الأمر، كما تعلم، الحياة بعد الموت».

كان تريغفي يعلم من تكون داغمار، ذلك أنها أثارت انتباهه منذ أن بدأ دراسة الطب.

فقال: «داغمار؟»

قال ابن عمه: «أجل، وهي ليست حمقاء».

وتريغفي كان يعلم ذلك، إذ كانت صديقة ابن عمه وقد تحدَّثتْ معه في الحفلة الأولى والوحيدة التي حضرها في كلية الطب. والتقى بها عدة مرات فيما بعد، وكانت تروق له كثيراً لكنه لم يكن يملك الشجاعة لاتخاذ الخطوة التالية.

سأله تريغفي باستغراب: «هل قالت إنها تريد الاشتراك في هذا الأمر؟»

«بالتأكيد».

هزَّ تريغفي رأسه مستعجباً.

ثم أضاف ابن عمه: «وبالطبع، سأدفع لك».

وفي النهاية استسلم تريغفي. لم يكن يعلم بالضبط كيف سمح لهم بإقناعه. كان دائماً مفلساً، ويتلهَّف للتواجد مع داغمار. وكان ابن عمه متسلِّطاً إلى درجة بعيدة، وعلاوة على ذلك لقد أعاد إيقاظ افتتان تريغفي بفكرة الحياة بعد الموت. كان يعلم حول اهتمام تريغفي منذ أن كانا صغيرين وقد اعتادا على مناقشة وجود الله، والجنة والنار. وكلاهما كانا ينتميان لعائلتين متديِّنتين للغاية حيث كانتا ترسلانهما إلى مدارس الأحد، وكانتا ترتادان الكنيسة بشكل منتظم، وتقومان ببعض الأعمال الخيِّرة. لكن ابني العم لم يصبحا مؤمنيْن إلى هذه الدرجة عندما نضجا، حيث بدأت الشكوك تتولَّد في داخلهما بخصوص جوانب متنوعة من العقيدة، مثل إعادة الإحياء والحياة الأبدية ووجود الجنة. وكان تريغفي يعتقد أن قراره بدراسة اللاهوت كان ناجماً عن هذا الأمر، أي عن شكوكه، المترافقة مع أسئلة لزمته طوال حياته: ماذا لو كان الله موجوداً؟ ماذا لو كانت الحياة الأبدية حقيقية؟

قال ابن عمه: «لقد ناقشنا هذا الأمر كثيراً».

«التحدث حوله شيء و ...»

«لدينا دقيقة واحدة. سيكون لديك دقيقة واحدة للعبور إلى الجانب الآخر».

«لكنني ...»

قال ابن عمه: «لقد ذهبتَ إلى كلية اللاهوت بحثاً عن أجوبة لهذه الأسئلة».

«ماذا عنك؟ ماذا تريد أن تثبت من خلال ذلك؟»

ابتسم ابن عمه، ثم قال: «لا شيء يحدث هنا أبداً ولا أحد يفعل أي شيء. على الأقل، ليس كهذا الأمر. سيكون من المثير اختبار تلك القصص حول الضوء الساطع والنفق، لأننا نستطيع فعل ذلك دون القيام بمجازفة كبيرة. يمكننا فعل ذلك».

«لماذا لا تفعلها أنت على نفسك؟ لماذا لا نخدِّرك أنت؟»

«لأننا نحتاج إلى طبيب جيد، ومع كل احترامي لك، لأنني طبيب أفضل منك».

قرأ تريغفي حول محاكمة طلاب الطب الفرنسيين، الذين نجحوا في إنعاش صديقهم، الذي تعافى بشكل تام، ولم يعانِ، حسب قوله، من أي آثار سلبية لاحقاً.

كانت الليلة التي نفّذوا فيها خطتهم توافق عيد ميلاد ابن عمه السابع والعشرين. اجتمعوا كلهم في شقته -ابنا العم، وداغمار، وبادي- ومن هناك توجَّهوا إلى المستشفى، حيث كان ابن عمه قد حضَّر غرفة فارغة مع حوض استحمام ووضع فيها جهازاً لتخطيط القلب وجهاز صدم كهربائي. استلقى تريغفي في الحوض، الذي كان يُملَأ بتدفق مستمر من الماء البارد مع إضافة أكياس كبيرة من الثلج إلى الماء.

بشكل تدريجي، تباطأ نبض قلب تريغفي إلى أن فقد الوعي.

قال تريغفي وهو يراقب باصاً فارغاً يوشك على التوقف في المكان المخصص له: «كل ما أذكره هو استعادة وعيي». كان المطر قد بدأ بالانهمار وكانت السماء مغطاة بالغيوم من جهة الجنوب، وماء المطر يسيل على النوافذ.

قال إرلندر: «ماذا حدث؟»

«لا شيء. لم يحدث أي شيء. لم أشعر بأي شيء. لم أرَ أي شيء. لا

نفق، لا ضوء. لا شيء. غططتُ في النوم ثم صحوت من جديد. هذا كل ما في الأمر».

«نجحَتْ التجربة إذن. لقد نجحوا في ... نجحوا في إماتتك؟»

«هذا ما قاله ابن عمي».

«أين هو الآن؟»

«ذهب للتخصص في الولايات المتحدة ويعيش هناك منذ ذلك الحين».

«وداغمار؟»

«لا أعرف أين هي الآن. لم أرها منذ ... منذ ذلك الحين. لقد تركتُ الطب. تركتُ الجامعة. ذهبتُ إلى البحر. شعرتُ بسعادة أكبر هناك».

«هل كنتَ غير سعيد؟»

لم يُجب تريغفي.

قال إرلندر: «هل جرَّبوها مرة أخرى؟»

«لا أدري».

«هل تعافيتَ تماماً؟»

قال تريغفي: «لم يكن هناك أي شيء لأتعافى منه».

«ولا وجود لله؟»

«لا وجود لله. لا وجود للجنة. ولا الجحيم. لا شيء. لقد خاب ظن ابن عمي بي كثيراً».

«هل كنتَ تتوقع بعض الأجوبة؟»

«ربما. كنا جميعاً منتشين بعض الشيء بالتجربة».

«ولكن لم يحدث أي شيء؟»

«لا».

«وليس هناك المزيد لتقوله؟»

«لا. ليس هناك المزيد لأقوله».

«هل أنت متأكد؟ ألا تخفي شيئاً ما؟»

قال تريغفي: «لا».

صمتا كلاهما لبعض الوقت. كانت الكافيتيريا تشرع بالامتلاء بالزبائن، الذين كانوا يجلسون أمام طاولات فارغة إلا من فناجين قهوتهم ويقرؤون صحيفةً ما قبل المضي في طريقهم. ومن حين لآخر كان مكبِّر الصوت يبث إعلاناً معيناً.

قال إرلندر: «منذ ذلك الحين إنها في انحدار مستمر».

«ماذا تقصد؟»

«حياتك. لم تكن سهلة تماماً».

«لا علاقة لذلك بالتجربة الغبية، إذا كان هذا ما تعنيه ضمنياً».

رفع إرلندر كتفيه، وقال: «إنك تأتي إلى هنا منذ سنوات، كما علمتُ. تجلس هنا بجانب النافذة».

نظر تريغفي عبر النافذة والمطر إلى شيء ما يكمن خلف حدود شبه جزيرة ريكيانيس وجبل كيلير الظاهر على خط الأفق.

سأله إرلندر بصوت منخفض بالكاد كان مسموعاً: «لماذا تجلس هنا؟»

نظر تريغفي إليه، وقال: «هل تريد أن تعرف بماذا أحسستُ؟»

«أجل».

«بالسلام. أحسستُ بالسلام. أشعر أحياناً كما لو أنه ما كان ينبغي أن أعود أبداً».

أسقطَ شخص ما كأساً بجوار طاولة خدمة الزبائن وتبعثرت شظايا الزجاج على الأرض.

«لقد اختبرتُ إحساساً غريباً بالسكينة لا يمكنني وصفه، ليس لك ولا لأي شخص آخر. ولا حتى لنفسي. بعد ذلك، لم يعد أي شيء يهمني. لا الأشخاص الآخرين، ولا دراستي، ولا كل ما يحيط بي. بطريقة ما لم تعد الحياة مهمة. لم أعد أشعر بالارتباط بها».

صمتَ تريغفي فراح إرلندر يصغي للمطر وهو يلسع النافذة بقسوة.

«ومنذ ذلك الشعور بالسلام ...»

قال إرلندر: «أجل؟»

قال تريغفي وهو يراقب باص كيفلافيك وهو يغادر الساحة الأمامية: «لأكون صادقاً، لم أشعر بلحظة سلام واحدة منذ ذلك الحين. أشعر بحاجة دائمة للانتقال من مكان لآخر. كما لو أنني أنتظر شيئاً ما أو أن شخصاً ما ينتظرني لكنني لا أعلم أين ولا أعلم من يكون هذا الشخص ولا أعلم إلى أين أنا ذاهب».

«من تظن أنك تنتظر؟»

«لا أعرف. تظن أنني مجنون. يعتقد الناس أنني غير طبيعي».

قال إرلندر: «قابلتُ أشخاصاً أكثر غرابة».

واصل تريغفي مراقبته لباص كيفلافيك، ثم سأل إرلندر مجدداً: «ألا تشعر بالبرد؟»

قال إرلندر: «لا».

وبعد صمت طويل، تابع تريغفي بَوْحَهُ، قائلاً: «إنه شعور غريب،

مراقبة الناس وهم يغادرون. مراقبتهم وهو يصعدون إلى الحافلات، ومن ثم ابتعاد الحافلات. أناس يغادرون طوال اليوم».

«ألا تريد أبداً القيام برحلة على متنها؟»

«لا، لن أذهب إلى أي مكان. ولا في مليون سنة. لن أذهب إلى أي مكان. لن أدع نفسي تُؤخَذ إلى أي مكان بالباص. إلى أين يمضي أولئك الناس؟ أخبرْني بذلك. إلى أين يذهب كل أولئك الناس؟»

خوفاً من تشتت ذهن تريغفي، حاول إرلندر إعادته إلى الموضوع لفترة أطول بقليل، فسأله: «إذن، كان هناك ابن عمك، الذي يعيش الآن في أميركا، وفتاة تُدعى داغمار، وشاب آخر دعوتَه بادي. من يكون هذا؟»

قال تريغفي: «لم أكن أعرفه. كان صديقاً لابن عمي. حتى أنني لا أذكر اسمه الصحيح. كان يدرس المسرح قبل أن يتحوَّل إلى الطب. كان يُعرَف باسم بادي».

«هل يمكن أن يكون اسمه بالدفين؟»

«أجل، هذا صحيح. هذا هو الاسم».

«هل أنت متأكد؟»

أومأ تريغفي برأسه دلالةً على الإيجاب. كان يضع بين شفتيه سيجارة غير مشتعلة.

«وكان في كلية المسرح سابقاً؟»

أومأ تريغفي برأسه موافقاً مرة أخرى.

«كان صديق ابن عمي. نموذج لممثل حقيقي. كانت ثقتي به أقل من البقية».

19

بدت المرأة مندهشةً عندما فتحت الباب لإرلندر، الذي جاء دون اتصال مسبق. كانت هناك عاصفة هوجاء تبثُّ هواءً جافاً بارداً من الشمال. شدَّ إرلندر معطفه عليه بقوة أكبر بينما كان واقفاً عند عتبة الباب. كانت المرأة، وتدعى كريستين، تسدُّ مدخل الباب راسمةً على وجهها تعبيراً عنيداً يقول إنها لا تنوي قبول هذه الزيارة غير المتوقعة. شرح إرلندر بأنه كان يحاول إيجاد بعض المعلومات حول ما حدث عندما توفي والد ماريا، فقالت كريستين إنها لا تستطيع المساعدة على الإطلاق في هذه القضية.

سألَتْه: «لماذا تنبش الشرطة هذه القصة الآن؟»

«بسبب الانتحار. إننا نشارك في دراسة شمالية مشتركة حول أسباب الانتحار».

ظلت المرأة واقفة في مدخل الباب دون أن تتكلَّم. كانت شقيقة والد ماريا، ماغنوس. وكان صديقه إنغفار هو الذي اقترح على إرلندر التحدث معها، لاعتقاده بإمكانية أن تكون ليونورا قد أخبرتها شيئاً ما حول حادثة ماغنوس المميتة في بحيرة ثينغفالافاتن. وقال إنغفار أيضاً إنها لم تتزوج مطلقاً، وتعيش وحيدة، وربما لا تتحمس كثيراً للزوّار.

قال إرلندر وهو يضرب بقدميه على الأرض من شدة البرد: «لو يمكنني الدخول للحظة فقط. لن يستغرق الأمر طويلاً».

وبعد لحظة من الصمت المرتبك، رضخت كريستين أخيراً. فدخل إرلندر وأغلقت الباب خلفها.

قالت بصوت مرتجف: «إن الطقس بارد على نحو غير اعتيادي اليوم».

قال إرلندر: «أجل، أعتقد ذلك بالفعل».

قالت مجدداً وهي تجلس معه في غرفة الجلوس: «لا أعرف لماذا تنبشون هذا الأمر الآن بعد كل هذا الزمن». لم يكن يبدو عليها السرور مطلقاً.

«لقد تحدثتُ مع أشخاص كانوا يعرفون ماريا جيداً وظهرَتْ معلومات أردت معرفة رأيك بشأنها».

«لماذا تحقق الشرطة حول ماريا؟ هل هذا اعتيادي في قضايا كهذه؟»

قال إرلندر: «نحن لا نحقق حول ماريا. نحن فقط نحلل المعلومات التي حصلنا عليها. لقد حُقِّق في الحادثة التي وقعت في بحيرة ثينغفالافاتن

في حينه وسلسلة الأحداث واضحة تماماً. لن أدقق في أي منها. سوف يبقى حُكْم الموت العرَضي على حاله دون تغيير».

«عم تبحث إذن؟»

«دعيني أؤكد على ما قلتُه: سوف يبقى الحُكْم على حاله دون تغيير».

مع ذلك لم تفهم كريستين. كانت في عقدها السادس، جميلة وهشة بعض الشيء، وذات شعر قصير مموَّج. حدَّقَتْ في إرلندر بارتياب يوحي بأنها تلتزم الحيطة والحذر.

ثم سألته: «ماذا تريد مني إذن؟»

«لا شيء تخبريني به الآن أو لاحقاً سيغيِّر الحكْم بأن موت شقيقك كانت عرَضياً. أرجو أن تفهمي ذلك».

أخذت كريستين نفَساً عميقاً. لعلها بدأت تفهم ما كان إرلندر يلمح إليه، لكنها لم تُظهر ذلك.

قالت: «لا أعرف إلى ماذا تلمح».

«أنا لا ألمح إلى أي شيء. لست مهتماً بإعادة فتح قضية بقيت خاملة طوال هذه المدة. إذا أخبَرَتْك ليونورا شيئاً ما لا نعرفه، فهذا لن يغيِّر أي شيء. كنتما على علاقة جيدة، كما فهمت».

قالت كريستين: «صحيح».

«هل تحدَّثَتْ يوماً معك حول ما حدث؟»

كان إرلندر يعلم أنه يجازف. فكل ما كان يستند إليه هو شك ضعيف، تضارب صغير بين ما قاله إنغفار وبين تقرير مكتوب، ورابط قوي وعميق يربط بين أم وابنتها على نحو لم يصادفه أبداً من قبل. إذا كانت كريستين تحظى بثقة ليونورا فهناك إمكانية بأن تعرف المزيد. أما بالنسبة للاحتمال المستبعَد، وهو أن تكون قد التزمت الصمت حيال أمر ما طوال تلك السنين، فإنها قد تكشفه تحت ظروف معينة. كانت تُعطي انطباعاً بأنها امرأة صادقة ونزيهة، شاهدةٌ قامت ربما بفعل الشيء الوحيد الصحيح في موقف صعب.

خيَّم الصمت للحظات في الغرفة.

وأخيراً قالت كريستين: «ماذا تريد أن تعرف؟»

«أي شيء يمكنك إخباري به».

حدَّقت كريستين فيه ثم قالت: «لا أعلم عما تتحدث». لكن صوتها لم يكن يشي بنفس الاقتناع الذي عبَّرتْ عنه في كلامها.

«قيل لي إن شقيقك ماغنوس لم يقترب من أي محرك طوال حياته ولم يكن يملك أدنى معرفة بالمحركات. لكن تقرير الشرطة يذكر أنه كان يعبث بالمحرك في اليوم الذي سبق الحادثة. هل هذا صحيح؟»

لم تُجب كريستين.

فأكمل إرلندر، قائلاً: «قال صديقه إنغفار -في الحقيقة، هو الذي أشار علي بالتحدث معك- إن ماغنوس لم يكن يعرف أي شيء حول المحركات ولم يلمس واحداً منها في حياته».

«هذا صحيح».

«وليونورا أخبرَتْ الشرطة إنه كان يصلح المحرك الخارجي».

رفعت كريستين كتفيها وقالت: «لا أعلم شيئاً حول ذلك».

«تحدثْتُ مع صديقة قديمة لماريا تقول إنها كانت تشعر دائماً بأن شيئاً ما حدث عند البحيرة لكنه لم يُكشَف أبداً، بأن موت ماغنوس لم يكن مجرد حادث بسيط. وهي لا تملك الكثير لتسند إحساسها عليه، سوى تعليق ماريا الذي قالت فيه إنه ربما كان ينبغي أن يموت».

«ينبغي أن يموت؟»

«أجل. هذا ما قالته ماريا. حول أبيها بالذات».

سألته كريستين: «ماذا كانت تعني بذلك؟»

«لم تكن صديقتها تعرف، ولكن ربما كانت تعني أن قدَرَه الموت في ذلك اليوم. رغم وجود تفسير محتمل آخر».

«وهو؟»

«أنه ربما كان يستحق الموت».

تمعَّن إرلندر في كريستين، التي أغمضت عينها وأرخت كتفيها.

سألها إرلندر بحذر: «هل يمكنك أن تخبريني شيئاً لا نعرفه حول ما حدث عند البحيرة؟»

«عندما تقول إن الحُكْم لن يتغيَّر الآن ...»

«يمكنك أن تخبريني بأي شيء تودِّين قوله، فذلك لن يغيِّر الحكم الأصلي».

قالت كريستين بصوت منخفض بالكاد تمكَّن إرلندر من سماعه: «لم أتحدَّث أبداً عن ذلك. إلا عندما كانت ليونورا على فراش موتها».

كان بوسع إرلندر الشعور بأنها كانت تجد صعوبة بالغة فيما تريد قوله. فكَّرَتْ لوقت طويل، وفي تلك الأثناء حاول إرلندر أن يضع نفسه مكانها. إنها لم تكن تتوقَّع هذه الزيارة، فضلاً عن العرض الذي قدَّمه لها

إرلندر. لكنها، فيما يبدو، لم تكن تملك سبباً لعدم الوثوق به.

وأخيراً قالت وهي تنهض لتقف: «أعتقد أنه مازال هناك القليل من الألبورغ باقياً في الخزانة. هل تود بعضاً منه؟»

قَبِل إرلندر العرض. فذهبت وجلبت قدحين صغيرين ووضعتهما على الطاولة ثم ملأتهما حتى الحافة بالمشروب الكحولي. شربت القدح الأول دفعة واحدة بينما كان إرلندر ما يزال يرفعه إلى فمه. ثم ملأت قدحها مجدداً وشربت نصفه على الفور.

ثم قالت: «بالطبع، كلاهما ميت الآن».

«نعم».

«لهذا، ربما لن يغير ذلك أي شيء».

«لا أعتقد ذلك».

«لا أعرف شيئاً عن أي مروحة». صمتت للحظة، ثم سألته: «لماذا فعلتْ ماريا ذلك؟»

«لا أدري».

قالت كريستين مع تنهيدة: «فتاة مسكينة. أذكرها جيداً قبل أن يموت ماغنوس. كانت شعاع شمسهما الصغير. لم يكونا يملكان أولاداً غيرها ولهذا السبب ترعرعت في جو من الحب الأبوي غير المحدود. وعندما توفي أخي في بحيرة ثينغفالافاتن، بدا الأمر كما لو أن الأرض انتُزعت من تحت قدميها. من تحت كليهما، ماريا وليونورا. كانت ليونورا تحب ماغنوس بشدة؛ كان يعني العالم بالنسبة إليها. وكانت الفتاة متعلقة به أيضاً. لهذا السبب لا يمكنني أن أفهم الأمر. لا يمكنني أن أفهم بماذا كان يفكر؟»

«من؟ أتعنين ماغنوس؟»

«بعد الحادثة كانتا متلازمتين. كانت ليونورا تحيط ماريا بحماية زائدة أحسستُ أنها تخطَّت الحدود. شعرتُ بأنها أصبحت مفرطة الحماية. بالكاد كان يُسمَح للآخرين بالاقتراب من ماريا، وعلى الأخص منهم عائلة ماغنوس. فَتَرَتْ علاقتنا معهما تدريجياً حتى انقطعت كلياً. في الحقيقة، قطعتْ ليونورا كل صلة بنا، عائلة والد الفتاة، بعدما حدث في ثينغفيلر. لطالما وجدتُ ذلك غريباً. لكنني لم أعرف الحقيقة إلا قبل وقت قصير من موت ليونورا. لقد استدعتني لمقابلتها قبل أن تموت -كانت في مراحلها الأخيرة حينئذ، طريحة الفراش وضعيفة للغاية، وكانت تعرف إنه لم يبقَ لديها سوى بضع أيام. كنا قد فقدنا التواصل منذ ... منذ وقت طويل جداً. كانت في غرفتها وطلبت مني إغلاق الباب والجلوس بجانبها. قالت إن لديها ما تخبرني إياه

قبل موتها. لم أعرف بماذا أفكر. ثم بدأتْ تتحدث عن ماغنوس».

«هل أخبرتْك حول ما حدث عند البحيرة؟»

«لا، لكنها كانت غاضبة من ماغنوس».

ملأتْ كريستين قدحها بجرعة أخرى من المشروب، وامتنع إرلندر، ثم أفرغتها كلها في حلقها وأعادت القدح بهدوء إلى الطاولة.

ثم قالت: «الآن لقد رحلتا كلتاهما، الأم والبنت».

«أجل».

«كانتا كشخص واحد تقريباً».

«ماذا أخبرتْك ليونورا؟»

«أخبرتني أن ماغنوس كان سيتركها. لقد قابل امرأة أخرى. كنتُ أعرف مسبقاً. أخبرني ماغنوس في حينه. لهذا السبب استدعتني ليونورا. لم تقل ذلك صراحة لكنها حرصت على أن أشعر بذلك».

تردد إرلندر قليلاً قبل أن يقول: «كان مرتبطاً بعلاقة غير شرعية إذن؟»

أومأت كريستين برأسها دلالةً على الموافقة، ثم قالت: «بدأتْ قبل بضع أشهر من وفاته. كان يثق بي. لا أظن أنه أخبر أي شخص آخر وأنا لم أخبر أحداً أيضاً. لا علاقة لأي شخص آخر بذلك. أخبر ماغنوس ليونورا بأنه يريد إنهاء الزواج. كانت صدمةً فظيعة لها، حسبما أخبرتني. لم يكن لديها أدنى فكرة عن ذلك. كانت تحب أخي وقد منحتْه كل شيء».

«إذاً، لقد أخبرها بذلك، في ثينغفيلر؟»

«أجل. مات ماغنوس ولم أخبر أحداً بأمر العلاقة أبداً. لا ليونورا ولا أي شخص آخر. كان ماغنوس ميتاً ولم أكن أعتقد أن هذا الأمر يخص أي إنسان آخر».

أخذتْ كريستين نَفَساً عميقاً، ثم تابعت حديثها: «لامَتْني ليونورا لعدم إبلاغها بخصوص العلاقة حالما عرفْتُ بها. لابد أن ماغنوس أخبرها بأنني كنت أعرف. لكنني كنت أعتقد بأنه كان من حقها أن تسمع عنها منه. كانت عنيدة جداً وتميل لحمل الأحقاد. بدا الأمر كما لو أنني خنتها، حتى بعد كل تلك السنين. عندما توفيت، لم أستطع حمل نفسي على الذهاب إلى الجنازة. إنني نادمة على ذلك الآن. من أجل ماريا».

«هل تحدَّثْتِ مع ماريا يوماً حول الحادثة؟»

«لا».

«هل يمكنك إخباري بهوية المرأة التي كان ماغنوس مرتبطاً بها؟»

أخذَتْ كريستين رشفة من قدحها ثم قالت: «هل هذا مهم؟»

«لا أعرف».

«أعتقد أن هذا كان أحد أسباب تردد ماغنوس. بسبب من تكون».

«لماذا؟»

«المرأة التي كان ماغنوس على علاقة بها كانت صديقة قريبة من ليونورا».

«فهمت».

«لم تتحدثا بعد ذلك أبداً».

«هل ربطْتِ يوماً هذا الأمر بالحادثة؟»

«لا. ماذا تقصد؟»

«أنا ...»

«لماذا تحقق في الحادثة الآن؟»

«سمعتُ حول الحادثة في-»

«هل انكشف أي من هذا بالارتباط مع موت ماريا؟»

قال إرلندر: «لا».

«لكن ماريا أخبرَتْ إحدى صديقاتها إن ماغنوس كان ينبغي أن يموت؟»

«أجل».

«نظرْتُ دائماً لما حصل عند البحيرة على أنه حادث. لم يخطر في ذهني أبداً أنه يمكن أن يكون شيئاً آخر».

«ولكن ...؟»

«لا، ليس هناك ولكن. لقد فات الوقت كثيراً على تغيير ذلك الآن».

كانت شركة سيارات الأجرة تقع في مركز المدينة في مبنى قليل الارتفاع عرف أياماً أفضل في الماضي حين كان مركزاً اجتماعياً، خلال الفترة التي كان فيها الشبان يمشطون شعرهم إلى الخلف وكانت الفتيات تجعِّدن شعرهن، ويفقدون صوابهم فوق ساحة الرقص على موسيقا الروك آند رول الأميركية الجديدة، قبل أن يطويهم النسيان. وبعد ذلك، حُوِّل نصف المبنى إلى مقر لشركة سيارات الأجرة حيث عمَّ الهدوء والسكينة في أرجاء المكان. كان هناك رجلان متقدمان في السن يلعبان لعبة الكونكان من ألعاب ورق اللعب. كانت الأرضية المصنوعة من اللينوليوم الأصفر مليئة بالثقوب، وكان الطلاء الأبيض اللامع على الجدران وسخاً، ولم تكن قد اختُرعت بعد

المكيِّفات الهوائية للتغلُّب على رائحة العفن الصادرة من الأرضية والجدران الخشبية. ولَّد المكان شعوراً بالرجوع بالزمن خمسين سنة إلى الوراء. استمتع إرلندر بهذا الشعور فوقف لبرهة في منتصف القاعة، مستنشقاً تاريخها.

رفعت المرأة التي كانت تعمل على الجهاز اللاسلكي رأسها، عندما وجدتْ أن الرجلين اللذين يلعبان بورق اللعب لن يتحرَّكا، وسألته إنْ كان بحاجة لسيارة أجرة، فاقترب إرلندر منها وسألها حول سائق يعمل مع الشركة يُدعى إلمار.

قالت المرأة: «إلمار على 32؟» كان عمرها من عمر المبنى تقريباً.

أجاب إرلندر: «أجل، ربما».

«إنه في طريقه إلى هنا. هل تود انتظاره؟ لن يتأخر كثيراً. دائماً يأكل هنا في المساء».

«أجل، هكذا علمت».

شكرها وجلس بجانب إحدى الطاولات. نظر أحد لاعبيْ الكونكان في اتجاهه فأومأ إرلندر برأسه محيِّياً لكنه لم يتلقَّ أي رد.

كان إرلندر يقلِّب صفحات مجلة قديمة عندما ظهر سائق أجرة عند الباب.

صاحت المرأة العاملة على جهاز اللاسكلي، مشيرةً نحو إرلندر: «إنه يسأل عنك». وقف إرلندر وحيَّاه فصافحه الرجل معرِّفاً عن نفسه بأنه إلمار. كان شقيق ديفيد -الشاب الذي فُقد- في العقد الخامس من عمره، ممتلئاً، ذا وجه مدوَّر، وشعر خفيف، وبدون مؤخرة نتيجة إمضاء عمر بأكمله جالساً خلف المقود. شرح إرلندر الهدف من زيارته بصوت منخفض، ولاحظ بطرف عينيه أن لاعبيْ الورق كانا مطرقي السمع.

سأله إلمار: «لازلتم تنقبون في هذه المسألة؟»

قال إرلندر باقتضاب: «إننا نقفل القضية».

قال إلمار وهو يجلس على الطاولة الأبعد عن لاعبي الورق: «هل تمانع إذا ملأتُ معدتي بينما نتحدث؟» لقد جلب عشاءه في علبة بلاستيكية، وكان مكوَّناً من نقانق وهريس بصل. جلس إرلندر معه.

قال إرلندر: «لم يكن هناك فارق زمني كبير بينكما أنتما الأخوين».

«سنتان. أنا أكبر منه بسنتين. هل اكتشفتم أي شيء جديد؟»

«لا».

«أنا وديفيد لم نكن مقرَّبين كثيراً. يمكنك القول إنني لم أكن مهتماً جداً بأخي الأصغر. كنت أعتبره مجرد صبي. كنت أميل لقضاء الوقت مع

أصدقائي، أشخاص من عمري».

«هل توصَّلت إلى أي استنتاج فيما يتعلق بما يمكن أن يكون قد حصل؟»

«فقط أنه قتل نفسه ربما. لم يكن يختلط مع ذلك النوع من الناس -لم يكن متورطاً بأي شيء، كما تعلم- بحيث أن شخصاً ما يمكن أن يرغب في إيذائه. كان ديفيد شاباً صالحاً. من المؤسف رحيله بهذه الطريقة».

«متى كانت آخر مرة رأيتَه فيها؟»

«آخر مرة؟ طلبتُ منه إقراضي بعض النقود من أجل الصور. لم أكن أملك أي نقود في تلك الأيام. ليس أكثر مما أملك الآن. كان ديفيد يعمل أحياناً إلى جانب دراسته وكان يملك بعض النقود. لقد سبق وأخبرت الشرطة بذلك».

«و ...؟»

«ولاشيء. أقرضني النقود. لم أكن أعلم بأنه سيختفي في ذلك المساء، كما تعلم، ولهذا لم تحدث أي وداعات حميمة، الكلام العادي فقط 'شكراً، أراك'».

«إذن فأنتما لم تكونا مقرَّبين أبداً؟»

«لا، لا يمكنك قول ذلك حقاً».

«لم تكونا تثقا ببعضكما مطلقاً؟»

«لا. أعني، كان أخي وكل شيء، لكننا كنا مختلفين جداً و ... كما تعلم ...»

التهم إلمار طعامه بسرعة قائلاً بأنه يملك في العادة نصف ساعة فقط للعشاء.

قال إرلندر: «هل تعلم إذا كان شقيقك قد اكتسب صديقة قبل أن يُفقَد؟»

«لا. لا أعلم عن أي صديقة».

«يقول صديقه إنه قابل فتاة لكن الأمر كله غامض جداً».

قال إلمار وهو يُخرج علبة سجائر كامِل: «لم يكن لدى ديفيد أي صديقة». عرَضَ السجائر على إرلندر لكنه رفض، ثم أضاف وهو يلقي نظرة إلى طاولة ورق اللعب: «أو على الأقل ليس على حد علمي».

قال إرلندر: «لا، هذا هو الأمر. لقد تعلَّق والداك لمدة طويلة بالأمل بأنه قد يرجع».

«أجل، إنهما ... لم يكونا يفكران بأي شيء سوى ديفيد. كان يشغل كل تفكيرهما».

لاحظ إرلندر نبرة مرارة في صوت الرجل.

قال إلمار: «هل انتهينا، إذن؟ أود أن أنضم إليهما للعب دور».

قال إرلندر وهو ينهض ليقف: «أجل، أنا آسف. لم أقصد إفساد عشائك».

20

جاءت إيفا ليند في ذلك المساء. لقد رأت أمها وسمعت حول اللقاء مع أبيها. قال إرلندر إن محاولة جمعهما معاً كانت خطأً.

هزت إيفا رأسها وقالت: «ألن تلتقيا مرة أخرى؟»

قال إرلندر: «لقد بذلتِ كل ما بوسعك. نحن ببساطة لا ننسجم معاً. هناك الكثير من الحرج بيني وبين أمك لدرجة أننا لا نستطيع تجاوزه».

«حرج؟»

«كان لقاءً حاداً للغاية».

«قالت إنها خرجت غاضبة».

«صحيح».

«لكنكما التقيتما مع ذلك».

كان إرلندر جالساً على كرسيه حاملاً كتاباً بين يديه بينما كانت إيفا جالسةً على الأريكة قبالته. كانا يجلسان متقابلين غالباً. أحياناً، كانا يتشاجران بحدة وتخرج إيفا ليند من البيت بسرعة، موجهةً في الطريق كلمات نابية إلى أبيها. وفي أحيان أخرى، كانا ينجحان في تجاذب أطراف الحديث وإظهار الود لبعضهما. كانت إيفا ليند تغفو أحياناً وهو يقرأ لها قصة المحنة في القفار أو بعض الحكايا الشعبية الآيسلندية. وكانت تزوره في حالات متنوعة، إما مفرطة الحماسة لدرجة أن إرلندر لم يكن يفهم ما كانت تقوله، أو شديدة الكآبة بحيث أنه كان يخشى أن تُقدم على فعل شيء غبي.

تردَّد بشأن السؤال إنْ كانت هالدورا قد روت لها حوارهما بالتفصل لكن إيفا أعفته من مشقة السؤال، حيث قالت: «أخبرتني أمي أنك لم تحبها أبداً».

قلَّب إرلندر صفحات كتابه.

«لكنها كانت متيَّمة بك».

لم يقل إرلندر شيئاً.

«لعل ذلك يقدِّم شيئاً من التفسير لعلاقتكما الغريبة».

ظل إرلندر صامتاً ينظر إلى كتابه.

«قالت إنه لم تكن هناك فائدة من التحدث معك».

قال إرلندر، أخيراً: «لا أدري ماذا يمكننا أن نفعل من أجلك يا إيفا. لا يمكننا الاتفاق على أي شيء. أخبرتك بذلك مسبقاً».

«قالت أمي الشيء ذاته».

«أعرف ما تحاولين فعله ولكن ... نحن أبوان عنيدان، إيفا».

«إنها تقول بأنه ما كان يجب أن تلتقيا أبداً».

قال إرلندر: «ربما كان ذلك سيكون أفضل».

«إذن فالأمر ميؤوس منه تماماً؟»

«أعتقد ذلك».

«لكنه يستحق المحاولة».

«بالتأكيد».

حدَّقتْ إيفا في أبيها وقالت: «هل هذا كل ما ستقوله؟»

قال إرلندر وهو يرفع نظره عن الكتاب: «ألا يمكننا فقط أن نحاول نسيان الأمر. لقد حاولتُ. وكذلك هي. لم ينجح الأمر. ليس هذه المرة».

«ولكن، ربما في مرة أخرى، تقصد؟»

«لا أعلم يا إيفا».

تنهّدت إيفا بقوة ثم أخرجت سيجارة وأشعلتها.

ثم قالت: «غير معقول. ظننتُ ربما ... ظننتُ أن هناك إمكانية لتحسين الأمور بينكما قليلاً. لا جدوى من ذلك ربما. كلاكما حالتان ميؤوستان منهما».

«أجل، أعتقد أننا كذلك».

صمتا كلاهما لبعض الوقت.

ثم قالت إيفا ليند: «حاولتُ دائماً النظر إلينا نحن الأربعة كعائلة. ومازلت. أتظاهر بأننا عائلة، لكننا بالطبع لسنا كذلك ولم نكن يوماً كذلك. ظننتُ بأنه يمكننا إشاعة جو من الانسجام بيننا. شعرتُ بأن هذا قد يساعدنا جميعاً، أنا وسيندري وأنت وأمي. يا إلهي!»

«حاولنا، إيفا. لن نصل إلى أي مكان. ليس الآن. أعتقد بأنه لو كانت الإرادة موجودة لكنا متصالحيْن الآن».

قالت إيفا: «لقد أخبرتُها حول شقيقك. إنها لا تعرف شيئاً عنه».

«لا، لم أخبرها بذلك. ولم أخبر أي شخص آخر. لم أتحدث عنه مع أي إنسان».

«كانت مندهشةً للغاية. ولم تكن تعرف والديك أيضاً، جدي وجدتي. بدت بأنها لا تعرف إلا القليل القليل عنك».

«كان عيد ميلاد جدتك قبل يومين. ليس حدثاً كبيراً، لكنه عيد ميلادها مع ذلك. كنت أزورها دوماً في عيد ميلادها».

قالت إيفا: «كنت سأحب أن ألتقيها».

رفع إرلندر نظره عن الكتاب مجدداً وقال: «وهي كانت ستحب أن تلتقي بك. ربما كان الوضع سيكون مختلفاً بعض الشيء لو بقيت على قيد الحياة».

«ماذا تقرأ؟»

«مأساة».

«هل هي تلك المتعلقة بأخيك؟»

«أجل. أود أن ... هل يمكنني أن أقرأها لك؟»

«لستَ بحاجة للتعويض علي؟»

«من أجل ماذا؟»

«من أجل الطريقة التي تصرَّفتما فيها أنت وأمي».

«لا- أريدك أن تسمعيها. أريد أن أقرأها لك».

رفع إرلندر الكتاب وهو يقلِّب بضع صفحات إلى الخلف ثم بدأ القراءة بصوت منخفض ولكن ثابت حول العاصفة الهوجاء التي أثَّرت على حياته كلها.

مأساة فوق قفار إسكيفيوردر

بقلم داغبيارتر أودونسون

طوال قرون، كان الطريق الداخلي الوحيد من إسكيفيوردر إلى مقاطعة فليوتسدالشيراد يمر عبر قفار إسكيفيوردر. كان هناك طريق قديم للجياد يقع شمال نهر إسكيفيوردر ويسير على امتداد هضبة لانغيريغور، مروراً بالجانب القريب من نهر إنري-ستينسا، ووادي فينارداالر ومنحدرات فيناربريكور وصولاً إلى ميدهايداريندي، ومن ثم صعوداً إلى أورارفلوت وعلى امتداد منحدرات أورداركليتور الصخرية إلى أن يغادر منطقة إسكيفيوردر. يقع شمال هذا الطريق وادي ثفيراردالور المحاط بجبلي أندري وهاردسكافي.

كان هناك مزرعة تُسمَّى باكاسيل كروفت تقع على الطريق القديم المتجه إلى مقاطعة فليوتسدالشيراد عند رأس إسكيفيوردر فيورد. المزرعة مهجورة الآن لكن باكاسيل كانت في منتصف القرن تقريباً موطناً للمزارع سفين إرليندسون، وزوجته أسلاغ بيرغسدوتير، وولديهما بيرغور وإرلندر، البالغيْن من العمر ثمانية وعشرة أعوام على التوالي. كان سفين يربّي بضع خرفان ويعلِّم في المدرسة الابتدائية في إسكيفيوردر أيضاً. بدأ يوم السبت، الموافق للرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني من العام 1956، بارداً ومشرقاً، مع غطاء عميق بعض الشيء من الثلج على الأرض. كان سفين

ينوي إعادة بضع خرفان تاهت منه. وكان الطقس في مثل ذلك الوقت من السنة شديد التقلُّب وكانت الأرض مغطاة كلها تقريباً بالثلج. انطلق سفين وولداه مشياً من باكاسيل مع بزوغ الفجر، كي يعودوا إلى المنزل قبل حلول الظلام.

في البداية شقوا طريقهم باتجاه وادي ثفيراردالور وجبل هاردسكافي لكنهم لم يجدوا شيئاً. ثم اتجهوا جنوباً، نزولاً نحو قفار إسكيفيوردر. كانوا قد قطعوا مسافة قصيرة فوق هضبة لانغيريغور باتجاه منحدرات أوردراركليتور الصخرية عندما تحوَّل الطقس بشكل مفاجئ نحو الأسوأ. أحسَّ سفين بالقلق لدرجة أنه فكَّر في العودة مباشرةً إلى المنزل بيد أن عاصفة شمالية عاتية كانت قد هبَّت مترافقةً مع عاصفة ثلجية. استمرت الظروف بالتدهور إلى أن لم يعد باستطاعتهم رؤية طريقهم، وخلال مدة قصيرة جداً وجدوا أنفسهم يتلمَّسون أمامهم كالعميان في البياض الشامل. وبعد ذلك، انفصل الولدان عن أبيهما. بحث عنهما طويلاً وهو يصرخ باسميهما ولكن دون جدوى، قبل أن يعود أدراجه بحرقة من القفار، متَّبعاً نهر إسكيفيوردر، إلى المنزل في باكاسيل. كان الجو قد أصبح شديداً في ذلك الحين لدرجة أنه لم يعد قادراً على الوقوف بشكل منتصب فاضطُرَّ لقطع المسافة الأخيرة زحفاً. وصل إلى المنزل في حالة يُرثى لها، بدون قبعة، ومغطًّى بالثلج، وبالكاد يقوى على التفكير بشكل سليم.

اتصلا طلباً للنجدة من إسكيفيوردر وسرعان ما انتشر في كافة أرجاء المقاطعة خبر وجود ولدين يصارعان للحفاظ على حياتيهما في العاصفة العاتية، التي كانت قد وصلت حينئذ إلى القرية أيضاً. اجتمع فريق بحث تطوعي في باكاسيل في ذلك المساء لكنهم وجدوا أنه كان من المستحيل بدء البحث قبل أن تخبوا الريح قليلاً ويعود ضوء النهار. كانت تلك الساعات عصيبة لأبعد الحدود على الوالدين العارفين بأن ولديهما عالقين هناك في القفار تحت العاصفة. وكان والدهما، بشكل خاص، مغموماً وبالكاد قادراً على التحدث مع أي إنسان، لدرجة أنه رفض المشاركة في تنظيم فريق البحث، في حين قامت زوجته أسلاغ بالاهتمام بهم بدون كلل وكانت في مقدمة الجمْع عندما انطلقوا أخيراً مع بزوغ فجر اليوم التالي.

في ذلك الحين كان قد تم جمع حشد كبير من فرق البحث التي استُدعيت من قرى ريدارفيوردر ونيسكوبستادر وسيديسفيوردر. ومع أن الرياح كانت قد فقدت الكثير من قوتها، إلا أن الباحثين واجهوا إعاقة من أكوام الثلج العميقة. اتجهوا أولاً نحو قفار إسكيفيوردر، مسلَّحين بأوتاد

طويلة لغرزها في الثلج. حاولوا إيجاد آثار الصبيين لكنهم لم ينجحوا في ذلك لأن الثلج كان ينهمر بغزارة طوال الليل. كانوا يعتقدون أن الأخوين كانا معاً وأنهما ربما حفرا لنفسيهما مكاناً في إحدى كومات الثلج المتكوِّنة. كان قد مضى على اختفائهما نحو ثماني عشرة ساعة عند بدء عملية الإنقاذ، ونظراً لدرجات الحرارة المتدنية على سفوح الجبال، فقد كان الباحثون يخوضون سباقاً ضد الزمن.

كان الشقيقان يرتديان ثياباً سميكة عند مغادرتهما المنزل، مع معطفين شتويين ووشاحين وقبعتين صوفيتين. عُثر على أحد الوشاحين بعد نحو أربع ساعات من البحث، وقالت أسلاغ إنه يعود للأخ الأكبر، فتركَّز البحث في المنطقة التي وُجد فيها، إلى أن اعتقد متطوِّعٌ يُدعى هالدور بريانسون من سيديسفيوردر أنه لقي مقاومة عندما غرز وتده في الثلج، وعندما بدأ بعضهم بالحفر هناك وجدوا الأخ الأكبر ممداً على بطنه. ورغم أنه أظهر إشارات على أنه كان ما يزال حياً، إلا أن البرد كان قد نال منه بشدة لدرجة أن علائم التأذي الناجم عن عضَّة التجمُّد بدأت تظهر على يديه وقدميه. كان بالكاد واعياً ولهذا السبب لم يكن قادراً على إعطاء الباحثين أي إشارة تدلهم على مكان تواجد شقيقه. أُرسل أسرع الرجال ليجلب حليباً ساخناً، ثم تبادل بعض أفراد الفريق الأدوار في حمل الصبي من القفار إلى منزله في باكاسيل حيث كان ينتظره طبيب لمعاينته. أصدر الطبيب إرشاداته بتدفئة الصبي وبدأ بمعالجة آثار عضَّة التجمُّد. ومع الوقت بدأ الصبي بالتعافي، رغم أنه كان قاب قوسين أو أدنى من الموت جراء هبوط درجة الحرارة.

تكثَّف البحث مجدداً في المنطقة التي وُجد فيها الصبي الأكبر ولكن دون نجاح. كان يبدو بأن الرياح أرغمت الصبي الصغير على الرجوع نحو وادي ثفيراردالور وجبل هاردسكافي. وُسِّع البحث مرة أخرى عندما جاء خبر من باكاسيل مفاده أن الشقيقين انفصلا في العاصفة وأن الصبي الأكبر لم يكن يعرف ما حصل لشقيقه. قال إنهما بقيا معاً لفترة طويلة لكنه فقده لاحقاً في العاصفة الثلجية، وإنه بحث عنه وصاح باسمه إلى أن أعياه التعب وسقط على الثلج. قيل إن الصبي كان حزيناً لدرجة أنه لم يكن من الممكن مواساته وبالكاد كان يقوى على التفاعل الإنساني. وكان يريد بشكل مسعور العودة إلى الجبال والبحث عن شقيقه، ما جعل الطبيب يضطَّر لإعطائه مهدِّئاً.

حلَّ الشفق من جديد وساء حال الطقس، فأُرغم الباحثون على

العودة إلى المنطقة المسكونة. وصلت في ذلك الوقت تعزيزات جديدة من إغيلستادير وأُنشئ مقر رئيسي في إسكيفيوردر. وعند فجر اليوم التالي انطلق عدد كبير من الناس لتمشيط القفار ووادي ثفيراردالور ومنحدرات جبلي أندري وهاردسكافي في محاولة اكتشاف تحركات الصبي بعد انفصاله عن شقيقه. وعندما فشل البحث في تلك المنطقة، وُسِّع شمالاً وجنوباً، ولكن دون جدوى. وهكذا انقضى اليوم وحلَّ المساء.

دام البحث المنظَّم أكثر من أسبوع، ولكن لاختصار قصة طويلة، لم يُعثَر على الصبي أبداً. تعدَّدت التخمينات كثيراً حول مصيره لأن الأمر بدا كما لو أن الأرض انشقّت وبلعته. اعتقدَ البعض أنه غرق في نهر إسكيفيوردر وحُمل إلى البحر، في حين خمَّن آخرون بأن الرياح دفعته إلى منطقة أعلى في الجبال مما كان الناس يتخيَّلون. وكان هناك أيضاً من يعتقد بأنه ضاع في المستنقعات فوق رأس إسكيفيوردر فيورد بينما كان في طريق عودته إلى المنزل.

قيل أن حزن سفين إرليندسون على مصير ابنيه كان شديداً بحيث كان من الصعب على أي إنسان مقابلته. في وقت لاحق، ظهرت إشاعة في الجوار تقول إن زوجته أسلاغ حذَّرت زوجها من أخذ ولديه معه إلى القفار في ذلك اليوم لكنه تجاهل تحذيرها.

أما الأخ الكبير، فقد تعافى من عضَّة التجمُّد التي أُصيب لها، ولكن قيل إن محنته تركته كئيباً ومنطوياً على ذاته. وقيل أيضاً إنه ظل يبحث عن بقايا شقيقه طوال المدة التي عاشتها العائلة في باكاسيل.

وبعد سنتين من هذه الأحداث، غادرت العائلة المنطقة وانتقلت إلى ريكيافيك، وتُركت باكاسيل مهجورة، كما ذكرنا آنفاً.

أغلق إرلندر الكتاب ومرَّر يده على الغلاف البالي. مرَّت لحظة صمت طويلة قبل أن تمد إيفا ليند يدها إلى علبة السجائر الملقاة على الطاولة.

ثم قالت: «كئيباً ومنطوياً على ذاته؟»

قال إرلندر: «لم تكن كلمات داغابيارتر العجوز لبقة. لم تكن هناك حاجة لأن يتصف بهذه الفظاظة. لم يكن يعرف إن كنتُ كئيباً أو منطوياً فهو لم يقابلني أبداً. بالكاد كان يعرف جدَّاي. لقد علم بهذه المعلومات من بعض أفراد فريق البحث. ليس للناس الحق بكتابة الإشاعات وإلباسها لبوس الحقيقة. لقد جرح أمي بطريقة غير مبررة على الإطلاق».

«وأنت أيضاً».

رفع إرلندر كتفيه وقال: «حدث ذلك منذ زمن طويل. لم أكن متحمساً للترويج لوجود هذه الرواية، ربما بدافع الاحترام لأمي. لم تكن سعيدة بها».

«هل كان ذلك صحيحاً؟ لم تكن تريدكما أن تذهبا مع أبيكما؟»

«لقد عارضتْ ذلك، لكنها لم تلمْه لاحقاً لما حدث. بالطبع كانت مفجوعة وغاضبة لكنها كانت تعرف بأنها لم تكن مسألة ذنب أو براءة. كانت مسألة بقاء، بقاء في المعركة ضد الطبيعة. كان يجب القيام بالرحلة. ولم يكن من الممكن المعرفة مسبقاً بأنها ستكون خطرة جداً».

«ماذا حصل لأبيك؟ لماذا لم يفعل شيئاً؟»

«لم أفهم ذلك أبداً في الحقيقة. جاء من القفار في حالة صدمة، مقتنعاً بأنني وبيرغور ميتان. بدا الأمر كما لو أنه فقد الإرادة للعيش. هو نفسه بالكاد نجا بعد انفصالنا، وعندما بدأ الظلام يزداد وهبط الليل واشتدت العاصفة، قال جدكِ إنه استسلم ببساطة. فجلس على طرف سريره في غرفته دون أي اهتمام بما كان يجري. بالطبع، كان مرهقاً ويعاني من عضَّة التجمُّد. وعندما سمع أنني أُنقذت انتعشَ قليلاً. زحفتُ إلى غرفته فأخذني بين ذراعيه».

«لابد أنه كان سعيداً».

«كان كذلك، بالتأكيد، لكنني ... انتابني شعور غريب بالذنب. لم أستطع أن أفهم لماذا نجوت أنا ومات بيرغور. ومازلت لا أفهم ذلك حقاً. شعرتُ كما لو أنني تسبَّبتُ بذلك بطريقة ما، كما لو أنه كان ذنبي. وشيئاً فشيئاً انغلقتُ على نفسي مع هذه الأفكار. كئيب ومنطو على ذاته. لعله كان مصيباً في نهاية المطاف».

صمتا لبعض الوقت إلى أن وضع إرلندر أخيراً الكتاب جانباً، ثم قال: «تركَتْ جدتكِ كل شيء في حالة جيدة عندما غادرنا. لقد زرتُ مزارع مهجورة وأحسست كما لو أن الناس خرجوا على عجل ولم ينظروا خلفهم أبداً. الأطباق على المائدة، والأواني الفخارية في الخزائن، والأثاث في غرفة الجلوس، والأسرَّة في غرف النوم. جدتك أفرغت منزلنا ولم تترك شيئاً خلفها، حيث نقلتْ أثاثنا إلى ريكيافيك ووهبتْ الباقي. لم يهتم أي إنسان بالعيش هناك بعد مغادرتنا. هُجر منزلنا. إنه شعور غريب. في اليوم الأخير مشينا من غرفة إلى أخرى وأحسست بخواء غريب لازمني منذ ذلك الحين. كما لو أننا كنا نترك حياتنا وراءنا في ذلك المكان، خلف تلك الأبواب القديمة والنوافذ البسيطة. كما لو أننا لم نعد نمتلك حياةً. قوةٌ ما أخذتها منا».

«كما أخذَتْ بيرغور؟»

«أحياناً أتمنى لو أنه يتركني بسلام. أن يمر يوم بأكمله دون أن يدخل أفكاري».

«ولكن، لا يمر؟»

«لا. لا يمر».

21

جلس إرلند في سيارته خارج الكنيسة، يدخِّن ويفكِّر في الصدف. لطالما تأمَّل في الطريقة التي يمكن فيها لصدفة بسيطة أن تقرِّر مصير شخص ما، تقرِّر حياته وموته. كان يعرف أمثلة حول هذه الصدف من عمله، إذ سبق له أن مسح أكثر من مرة مسرح جريمة ارتُكبت بدون أي دافع على الإطلاق، وبدون أي إنذار أو أي رابط بين المجرم والضحية.

ومن أقسى الأمثلة على هذه المصادفات واحد حول امرأة قُتلت في طريق عودتها إلى المنزل من السوبرماكت في إحدى ضواحي المدينة. كان ذلك السوبرماكت واحداً من بضع محال تفتح أبوابها في المساء في تلك الأيام. صادفتْ المرأة رجليْن كانا معروفيْن جيداً للشرطة. كانا يريدان سرقتها لكنها تشبَّثت بمحفظتها بعناد غريب، وكان أحد هذين المخالفيْن المتكرريْن للقانون يملك مُخْلاً حديدياً صغيراً فضربها به ضربتين ثقيلتين على رأسها. وعندما جُلبت إلى قسم الحوادث والطوارئ كانت قد فارقت الحياة.

لماذا هي؟ سأل إرلند نفسه بينما كان واقفاً فوق جثة المرأة ذات مساء صيفي قبل عشرين عاماً.

كان يعلم بأن الرجلين اللذين هاجماها كانا أشبه بقنبلتين موقوتتين منتقلتين، وكان ينظر إلى مسألة ارتكابهما جريمة خطرة ذات يوم على أنها مسألة حتمية، لكن تقاطع طريقيهما مع طريق المرأة في ذلك اليوم كان مصادفة صرفة. كان يمكن أن يكون شخصاً آخر في ذلك المساء، أو بعد أسبوع، أو بعد شهر، أو بعد سنة. لماذا هي، في ذلك المكان، وفي ذلك الزمان؟ ولماذا ردَّت بتلك الطريقة عندما قابلتهما؟ متى بدأت سلسلة الأحداث التي انتهت بتلك الجريمة؟ سأل إرلندر نفسه كل هذه الأسئلة. لم يكن يحاول مطلقاً تبرئة المجرميْن من المسؤولة، بل كان يتأمَّل في الحياة التي انتهت في بركة دماء على أحد أرصفة ريكيافيك.

اكتشف إرلندر أن المرأة كانت من الريف وتعيش في المدينة منذ أكثر من سبع سنوات. وقد انتقلت إليها مع زوجها وابنتيها من قرية الصيد التي وُلدت فيها بسبب تسريح العمال في مصانع الأسماك. لقد بيعت سفينة الصيد التي كان مجتمعهم يعتمد عليها إلى مقاطعة أخرى فانهار صيد الجمبري. لعل رحلتها الأخيرة بدأت هناك حقاً. استقرت العائلة في الضواحي، رغم أنها كانت تريد الانتقال إلى مكان أقرب إلى وسط المدينة، لكن نفس الشقة هناك كانت أغلى بكثير من الضواحي. وكان هذا

مسماراً آخر في نعشها.

وجد زوجها عملاً في مجال إنشاء المباني وأصبحت هي موظفة مبيعات في شركة هواتف، لكن هذه الشركة نقلت مقرها الرئيسي فصعُب عليها الذهاب إلى العمل بواسطة وسائل النقل العام، فاضطُرَّت لتقديم استقالتها. وبعد ذلك قُبلت كراعية أطفال في مدرسة ابتدائية محلية فأحبَّت العمل، حيث كوَّنت علاقة جيدة مع الأطفال. كانت تذهب إلى العمل مشياً كل يوم وأصبحت هاوية مشي، حيث كانت تأخذ زوجها معها في نزهة حول الحي كل مساء، إلا في الأوقات التي يكون فيها الطقس سيئاً فعلاً. كانت ابنتاهما تنموان وكانت الكبرى فيهما تقترب من بلوغها سن العشرين.

في ذلك المساء الحاسم، كانت العائلة كلها في المنزل وكانت البنت الكبرى قد طلبت من أمها إعداد آيس كريم في المنزل، وبهذا الطلب بدأت سلسلة الأحداث حركتها. كانوا يفتقدون للكريما ولمكوِّن أو اثنين آخرين من مكوِّنات الآيس كريم. وهكذا ذهبت الأم إلى المتجر.

عرضت البنت الصغرى الذهاب عنها لكن أمها رفضت مع الشكر، لأنها كانت ترغب بنزهة مسائية. غمزت لزوجها لكنه قال بأنه لم يكن يرغب بذلك لأن التلفزيون كان يعرض فيلماً وثائقياً آيسلندياً يتضمَّن مقابلات مع أشخاص من الريف، بعضهم كان خارجاً عن المألوف حقاً، وهو لم يكن يريد تفويته. كانت هذه، ربما، واحدة من المصادفات أيضاً. فلو لم يكن البرنامج معروضاً في ذلك الوقت، لكان قد ذهب برفقتها.

وهكذا ذهبت الأم ولم ترجع أبداً.

قال الرجل الذي وجَّه لها الضربة القاتلة إنها لم تكن ستُفلت حقيبة يدها، مهما فعلا. تبيَّن أن المرأة سحبت مبلغاً كبيراً من المال في وقت سابق من ذلك اليوم من أجل شراء هدية عيد ميلاد ابنتها، وكان المبلغ موجوداً في حقيبتها. ولهذا السبب تمسَّكت بها إلى تلك الدرجة. لم تكن في العادة تمشي حاملةً مثل ذلك المبلغ معها أبداً.

وكانت تلك مصادفة أيضاً.

لقد فقدَتْ حياتها في تلك الأمسية الصيفية وفي ذهنها شراء هدية عيد ميلاد ابنتها. كل الذنب الذي ارتكبته هو أنها كانت تعيش حياة عادية وتحيط عائلتها بكل الحب والرعاية.

أطفأ إرلندر سيجارته وخرج من السيارة. نظر إلى الكنيسة، وكانت كتلة إسمنتية رمادية باردة، وقال في نفسه، لابد أن المهندس المعماري كان

ملحداً. على أي حال، لم يستطع أن يفهم كيف يمكن أن يكون المبنى قد شُيِّد تمجيداً لله، وإذا كان هناك شيء ما مقصود بالتمجيد، فهي الشركة التي زوَّدت الإسمنت.

كانت الكاهنة إيفور جالسة في مكتبها، تتحدث على الهاتف عندما دخل إرلندر، فأشارت إلى كرسي كي يجلس. انتظرها كي تنهي مكالمتها. كانت هناك خزانة نصف مفتوحة تحوي ثوب كاهن، وياقة، وأثواباً دينية أخرى.

قالت إيفور لدى إنهائها حديثها: «عدتَ ثانية؟ هل ما يزال الأمر يخص ماريا؟»

آملاً تجنُّب منحها إجابة مباشرة، قال إرلندر: «قرأتُ في مكان ما أن عمليات الإحراق تزداد رواجاً».

«يوجد دائماً أشخاص يختارون هذا الأسلوب ويتركون توجيهات دقيقة بهذا الشأن. أشخاص لا يريدون لأجسادهم أن تتعفَّن في الأرض».

«ليس له علاقة بالعقيدة المسيحية، إذن؟»

«لا».

قال إرلندر: «فهمتُ أن بالدفين أحرق ماريا».

«أجل».

«وكانت هذه رغبتها؟»

«لا أعرف».

«ألم تناقش الأمر معك أبداً؟»

«لا».

«هل ناقش بالدفين رغباتها معك؟»

«لا، لم يفعل. أخبرني ببساطة أن هذا ما كانت ستريده. نحن لا نطلب أي إثبات على هذا النوع من الأشياء».

«لا، بالطبع لا».

«يبدو أن موتها يؤرقك».

«ربما».

«ماذا حدث برأيك؟»

قال إرلندر: «أعتقد أنها حتماً كانت تعاني بشدة. بشدة، ولوقت طويل».

«أعتقد ذلك أيضاً. ربما لهذا السبب لم أكن مندهشة كالكثيرين بشأن ما حدث».

«هل تحدثَتْ معكِ يوماً حول تخيُّلاتها، هلوساتها أو أي شيء شبيه

بذلك؟»

«لا».

«لاشيء حول الاعتقاد بأنها رأت أمها؟»

«لا».

«زيارات إلى وسطاء روحانيين؟»

«لا، لم تفعل».

«حول ماذا كنتما تتحدثان، إذا كان بإمكاني السؤال؟»

«بالطبع، هذا أمر سري. لا يمكنني إخبارك أي تفصيل يتعلق به، وفي كل الأحوال لا أظن أن لذلك أي صلة مباشرة بالطريقة التي اختارت مغادرة هذا العالم بواسطتها. كنا نناقش الدين بصورة عامة».

«هل هناك مجال محدد؟»

«أجل. أحياناً».

«ما هو؟»

الغفران. المسامحة. الحقيقة. كيف تحرِّر الحقيقةُ الناس».

«هل أخبرَتْكِ يوماً حول ما حدث في بحيرة ثينغفالافاتن عندما كانت طفلة؟»

«لا، لا أذكر ذلك».

«حول وفاة والدها؟»

«لا, آسفة لأنني لا أستطيع مساعدتك على الإطلاق».

قال إرلندر وهو ينهض ليقف: «لا عليك».

«رغم أنني أستطيع إخبارك بشيء واحد ربما. كنا نناقش غالباً الحياة بعد الموت؛ أظن أنني ذكرت ذلك لك عندما تحدثنا في المرة الأخيرة. كانت ... كيف يمكنني أن أعبِّر ... لقد أصبحَتْ مهووسة على نحو متزايد بالموضوع بمرور السنوات، وخصوصاً بالطبع، بعد وفاة أمها. ما كانت تريده هو برهان على شيء من هذا القبيل وأحسستُ بأنها كانت مستعدة للذهاب بعيداً إذا تطلَّب ذلك الحصول على هذا البرهان».

«ماذا تقصدين؟»

استندتْ إيفور على طاولة مكتبها وقالت: أعتقد أنها كانت مستعدة للذهاب إلى نهاية الطريق. ولكن، هذا رأيي فقط ولا أريد أن يخرج من هنا. لنُبقي ذلك بيننا».

«لماذا تعتقدين ذلك؟»

«أحسستُ بذلك فقط».

«إذن فانتحارها كان ...؟»

«بحثاً عن أجوبة. أظن. أعرف بأنني لا يجب أن أتحدث بهذه الطريقة، ولكن من معرفتي بها خلال السنوات القليلة الأخيرة يمكنني الاعتقاد بأنها كانت ببساطة شديدة تبحث عن أجوبة».

عندما عاد إرلندر إلى سيارته، وقادها مبتعداً عن الكنيسة، رنَّ هاتفه الخلوي. وكان المتصل سيغوردر أولي. كان قد طلب منه إرلندر التدقيق في سجل هاتف ماريا الخلوي ولم يُبدِ بالدفين أي ممانعة في هذا الشأن. في الأيام التي سبقت وفاتها اتصلتْ ماريا مع أشخاص لتتحدث حول عملها الأكاديمي، ومع كارين حول منزل عطلاتها، ومع زوجها، في المستشفى وعلى هاتفه الخلوي.

قال سيغوردر أولي دون مقدمات: «أُجري اتصالها الأخير من هاتفها الخلوي في المساء الذي شنقت نفسها فيه».

«في أي وقت؟»

«في التاسعة إلا ثلث».

«إذاً لابد أنها كانت حيةً حينئذ؟»

«هذا واضح. استغرق الاتصال عشر دقائق».

«قال زوجها إنها اتصلت به من منزل العطلات في ذلك المساء».

فقال سيغوردر أولي: «بماذا تفكر؟»

«ماذا تعني؟»

«ما أمر هذه القضية؟ لقد قتلَتْ المرأة نفسها. هل هناك شيء آخر إضافة إلى ذلك؟»

«لا أعرف».

«هل تدرك أنك تحقق فيها كما لو أنها جريمة قتل؟»

«لا، أنا لا أحقق فيها كجريمة. لا أعتقد أنها قُتلت. أريد أن أعرف لماذا انتحرت، هذا كل ما في الأمر».

«ما علاقتك بذلك؟»

«لاشيء. لا شيء على الإطلاق».

«ظننتُ أنك مهتم فقط بقضايا الأشخاص المفقودين».

قال إرلندر: «الانتحار قضية شخص مفقود أيضاً». ثم أغلق الخط.

حيَّتْ الوسيطةُ الروحانيةُ ماريا عند الباب ودعتها للدخول. تبادلتا

حديثاً طويلاً قبل أن تبدأ جلسة تحضير الأرواح الحقيقية. تركت ماغدالينا انطباعاً حسناً عند ماريا، إذ كانت دافئة ومتفهِّمة ومراعية لمشاعر الآخرين، تماماً كما كان أندرسون، لكن ماريا وجدت اختلافاً في الحديث مع امرأة، ذلك أنها لم تشعر بنفس القَدْر من الخجل مع ماغدالينا. كما أن قوى ماغدالينا الروحانية كانت، فيما بدا لها، أشد قوةً من قوى أندرسون. كانت ماغدالينا أكثر قدرةً على استقبال الإشارات الماورائية، وأكثر معرفةً، وأقدر على الرؤية –ولمدىً أبعد- من أندرسون.

وبشكل تدريجي، حوَّلت ماغدالينا جلستهما في غرفة الجلوس إلى جلسة تحضير أرواح حقيقية. كان بالدفين قد حصل على رقم ماغدالينا من زميله في المستشفى فاتصلت ماريا بها على الفور وأبدت ماغدالينا استعدادها للقائها مباشرة. أحسَّت ماريا بأن الوسيطة كانت تعيش لوحدها.

قالت ماغدالينا: «أشعر بحضور قوي». أغلقت عينها ثم فتحتهما ثانيةً، وتابعت قائلة: «امرأةٌ اتصلت. إنغيبيورغ. هل هذا يبدو مألوفاً؟»

فقالت ماريا: «اسم جدتي كان إنغيبيورغ. لقد ماتت منذ زمن بعيد».

«إنها بعيدة. لم تكونا قريبتين».

«لا، بالكاد أعرفها. كانت أم أبي».

«إنها حزينة للغاية».

«نعم».

«تقول إن ما حصل لم يكن ذنبك».

«لا».

قالت ماغدالينا: «إنها تتحدث حول حادثة».

«نعم».

«يوجد ماء. شخص ما غرق».

«أجل».

«حادثة مأساوية، تقول المرأة العجوز».

«أجل».

«هل لديك علم بـ ... يوجد لوحة، هل هي لوحة لماء؟ إنها صورة بحيرة ثينغفالافاتن. هل هذا يبدو مألوفاً؟»

«أجل».

«شكراً. هناك رجل ... ليس واضحاً، صورة أو لوحة ... هناك امرأة تدعو نفسها لوفيزا، هل هذا يقرع جرساً ما؟»

«أجل».

«إنها قريبتك».

«أجل».

«شكراً. إنها شابة ... أنا ... بالكاد تتجاوز العشرين».

«نعم».

«إنها تبتسم. يوجد الكثير من الضوء حولها. هناك إشعاع حولها. إنها تبتسم. تقول إن ليونورا معها وهي راضية».

«نعم».

«تقول إن عليك ألا تقلقي ... تقول إن ليونورا تشعر بشكل رائع. تقول ...»

«نعم؟»

«تقول إنها متلهفة لرؤيتك مجدداً».

«نعم».

«تريدك أن تعلمي بأنها سعيدة. سيكون الأمر رائعاً عندما تأتين. رائع».

«نعم؟»

«تقول إنه ينبغي عليك ألا تكوني خائفة. تقول إن عليك ألا تقلقي. كل شيء سيكون على ما يرام. أياً يكن ما تقومين به. تقول إن أي شيء تقررين فعله ... سوف ... تقول إنه سوف يكون خيراً. ينبغي عليك عدم القلق. كل شيء سيكون على ما يرام».

«نعم».

«هناك هالة جميلة حول هذه المرأة. إنها ... هناك إشعاع صادر منها ... إنها تخبرك ... هل لديك علم ... هناك كاتب؟»

«أجل».

«كاتب فرنسي؟»

«أجل».

«إنها تبتسم. المرأة التي معها ... إنها ... تقول إنها تشعر على نحو أفضل الآن. كل ... كل الألم ...»

أغمضت ماغدالينا عينيها بشدة.

«إنهما تختفيان ...»

ثم فتحت عينيها لكنها استغرقت بعض الوقت لتسعيد توازنها.

ثم سألتْ ماريا: «هل كان ... هل كان هذا جيداً؟»

أومأت ماريا برأسها دلالة على الموافقة، ثم قالت بهدوء: «أجل، شكراً

لك».

عندما عادت ماريا إلى المنزل، أخبرتْ بالدفين بما حصل في جلسة تحضير الأرواح. قالت له، والانفعال يغمرها، إنها لم تكن تتوقع مثل تلك الرسائل الواضحة وإنها دُهشت ممن اتصل خلال الجلسة فهي لم تفكِّر في جدتها لأبيها منذ أن كانت فتاة صغيرة وكانت تسمع الناس فقط يتحدثون حول أخت جدتها لوفيزا، التي توفيت بحمى التيفوئيد في ريعان شبابها.

وجدتْ ماريا صعوبة في النوم في تلك الليلة. كانت لوحدها في المنزل لأن بالدفين اضطر للذهاب المستشفى، وكانت ريح الخريف تعصف في الخارج.

وأخيراً غفت.

ولكن، بعد لحظة فقط، بدأت تصحو مجدداً على صوت ارتطام بوابة الحديقة بالسياج. كان المطر ينهمر بغزارة. أصغت لصوت ارتطام البوابة وعلمت أنه سيمنعها من النوم.

نهضت من السرير ولبست رداءها المنزلي وانتعلت خفَّيْها وذهبت إلى المطبخ. ربطت حزام ردائها بقوة حولها وفتحت الباب الخلفي المفضي إلى ترّاس خشبي أضافاه منذ بضع سنوات، والذي كان بدوره يُفضي إلى الحديقة. وبينما كانت تقوم بذلك شمَّت رائحة دخان سيجار قوية في الهواء.

خرجت بحذر إلى التراس الخشبي شاعرةً بالمطر البارد يلفح وجهها.

تساءلت في داخلها: هل كان بالدفين يدخِّن؟

رأت البوابة ترتطم بالسياج لكنها، بدلاً من الإسراع لإغلاقها والعودة إلى الداخل، ظلت واقفةً، كما لو أنها تجمَّدت في مكانها، تحدِّق في ظلمة الحديقة. رأت رجلاً يقف هناك، مبلَّلاً من رأسه إلى قدميه. هيئة رجل قوي البنية مع بطن كبير ووجه أبيض شديد الشحوب كوجه شخص ميت. كان الماء يسيل منه بغزارة. فتح وأغلق فمه عدة مرات كما لو أنه كان يلهث طلباً للهواء قبل أن يصرخ فيها:

«احذري! ... أنت لا تعرفين ما أنت فاعلة!»

22

كان الوسيط الروحاني أندرسون متشككاً وغير مستعد لكشف أي معلومات على الهاتف، رافضاً حتى التصديق بأن إرلندر كان من الشرطة. استطاع إرلندر تمييز صوته على الفور من التسجيل. قال الرجل لإرلندر إن عليه أخذ موعد مثل أي شخص آخر إذا أراد التحدث معه، فاعترض إرلندر متذرِّعاً بأن مسألته لن تستغرق وقتاً طويلاً وبأنها ليست هامة، لكن الرجل أبى تغيير موقفه.

سأله إرلندر في نهاية الاتصال: «هل ستأخذ مني نقوداً؟»

فقال الرجل: «سنرى».

وذات مساء -بعد بضع أيام من ذلك الاتصال- قرع إرلندر جرساً على لوحة هاتف الدخول في مبنى شققي يقع في حي فوغار وطلب التحدث مع أندرسون.

فتح الوسيط الباب له فصعد إرلندر بهدوء إلى الطابق الثاني حيث كان أندرسون ينتظره. تصافحا ثم أرشده الرجل إلى غرفة الجلوس. حال دخوله إلى الشقة، قوبل إرلندر برائحة بخور خفيفة وموسيقا هادئة تنبعث من مكبرات صوت غير مرئية.

لقد أجَّل إرلندر زيارته هذه إلى أن لم يعد بإمكانه تجنُّبها. لم يكن لديه أي اهتمام خاص بعمل الوسطاء الروحانيين ولا بقدرتهم على الاتصال مع الموتى، وكان يخشى من أن تؤدي هذه الزيارة إلى أشياء غير مستحبَّة. لكنه كان عازماً على أن يُحسن التصرُّف، آملاً أن يفعل أندرسون الشيء ذاته.

عرض أندرسون عليه الجلوس على مقعد بجانب طاولة دائرية وجلس قبالته.

قال إرلندر وهو يستطلع ما حوله: «هل تعيش هنا لوحدك؟» بدا له منزلاً آيسلندياً عادياً تماماً. كان هناك تلفزيون كبير ومجموعة شرائط فيديو وأقراص رقمية، وثلاثة حاملات مليئة بالأقراص المدمجة، وأرضية خشبية، وصور للعائلة معلقة على الجدران. لاحظ عدم وجود ستائر أو كرات كريستالية.

ولا مادة شبحية تبعث من الوسيط الروحاني.

قال الوسيط: «هل أنت بحاجة لمعرفة ذلك من أجل تحقيقك؟»

«لا. أنا ... ماذا يمكنك أن تخبرني حول ماريا؟ المرأة التي سألتُك عنها

على الهاتف. التي أقدمت على الانتحار».

«هل يمكنني أن أسألك لماذا تحقق حولها؟»

راح إرلند يتحدث مجدداً حول الدراسة السويدية المتعلقة بالانتحار وأسبابه، لكنه لم يكن واثقاً من قدرته على الكذب بصورة مقنعة على رجل يكسب رزقه من العمل كوسيط روحاني. هل سيرى أندرسون ما في داخله بشكل مباشر؟ على أي حال، قدَّم إرلندر إيضاحاً سريعاً آملاً بالأفضل.

قال أندرسون: «لا أعرف حقاً كيف يمكنني مساعدتك. يتشكَّل في الغالب رابط متين من الثقة بيني وبين الأشخاص الذين يلجؤون إلي، وأجد صعوبة في كسر هذا الرابط».

ابتسم الوسيط بصورة اعتذارية لإرلندر، الذي ابتسم له بدوره. كان أندرسون طويل القامة، في الستين من عمره تقريباً، شائباً عند الصدغين، وذا وجه مشرق، وبشرة نقية، ويتصف أسلوبه بهدوء غير عادي.

محاولاً تلطيف الجو بعض الشيء، قال إرلندر: «هل يبقيك عملك مشغولاً؟»

«لا أستطيع التذمُّر. الآيسلنديون مهتمون جداً بمسائل الروح».

«تعني بالحياة بعد الموت؟»

أومأ أندرسون برأسه موافقاً.

قال إرلندر: «أليست نفس الخرافة الريفية القديمة؟ لم يمضِ وقت طويل منذ خروجنا من أكواخنا العشبية والعصور المظلمة».

قال أندرسون بحدة: «لا علاقة لحياة الروح بالأكواخ العشبية. هذا الإجحاف قد يساعد بعض الناس لكنني وجدته دوماً مثيراً للسخرية. رغم أنني أفهم ارتياب الناس في أشخاص مثلي. أنا نفسي كنت سأشك، بالتأكيد، لو لم أولد بهذه القدرة -أو البصيرة، كما أفضِّل أن أسمِّيها».

«كم مرة رأيتَ ماريا؟»

«جاءت إلي مرتين بعد وفاة أمها».

«حاولَتْ الاتصال معها، أليس كذلك؟»

«بلى. تلك كانت غايتها».

«و ... كيف سار الأمر؟»

«أعتقد أنها ذهبت راضية».

قال إرلندر: «لستُ بحاجة لأن أسألك إن كنتَ تؤمن بالحياة الأخروية».

«إنه المعتقد الأساسي في حياتي».

«وهي كذلك؟»

«بدون شك. بدون أدنى شك».

«هل تحدَّثَتْ معك حول خوفها من الظلام؟»

«قليلاً فقط. ناقشنا حقيقة أن الخوف من الظلام خوف نفسي مثل أي خوف آخر ومن الممكن التغلُّب عليه بواسطة علاج إدراكي وانضباط ذاتي».

«ألم تخبرك عن الشيء الذي تسبَّب بخوفها؟»

«لا. فأنا لستُ أخصائياً نفسياً. ولكن، مما يمكنني استخلاصه من حواراتنا، أعتقد أن الأمر مرتبط بطريقة ما بموت أبيها في حادث. ليس صعباً تخيُّل كم كان تأثير ذلك هائلاً عليها كطفلة».

«هل ... ماذا تقولون ... ظهرَتْ لك –ماريا، أقصد- منذ أن قتلتْ نفسها؟»

قال أندرسون مبتسماً: «لا، ليس الأمر بهذه البساطة. أعتقد أنك تملك أفكاراً غريبة بعض الشيء حول الوسطاء الروحانيين. هل تعرف أي شيء حول عملنا؟»

هز إرلندر رأسه نافياً، ثم قال: «علمتُ أن ماريا كانت تملك ولعاً خاصاً بالحياة بعد الموت».

«هذا واضح تماماً، وإلا لما جاءت إلي».

«صحيح، لكنه أقرب إلى الولع منه إلى الوضع الطبيعي، أقرب إلى الهوس. علمتُ أنها كانت مسكونة كلياً بالفضول فيما يتعلق بالموت. بما يأتي بعده».

كان إرلندر يريد، إذا كان ذلك ممكناً، تفادي الإشارة إلى التسجيل الذي أعارته كارين له، وكان يأمل بأن يرغمه الوسيط على فعل ذلك.

رمقه أندرسون بنظرة طويلة كما لو أنه كان يَزِن ما يمكنه، أو ما ينبغي عليه، قوله. ثم قال: «كانت باحثة. مثل الكثيرين منا. أنا واثق بأنك أنت كذلك، أيضاً».

«عما كانت ماريا تبحث؟»

«أمها. كانت تفتقدها. كانت أمها ستعطيها إجابة على السؤال المتعلق بما إذا كانت هناك حياة بعد الموت أم لا. وكانت ماريا تعتقد أنها تلقت تلك الإجابة فجاءت إلي. تحدَّثنا. أعتقد أنني أرَحْتُها قليلاً».

«هل اتصلت أمها خلال جلساتكما؟»

«لا، لم تتصل, لكن هذا ليس هاماً بالضرورة».

«ماذا كان رأي ماريا بخصوص ذلك؟»
«لقد ذهبت راضية».
«عرفتُ أنها كانت تعاني من أوهام».
«سمِّها ما شئت».
«بأنها رأت أمها».
«أجل، لقد أخبرَتْني بذلك».
«و؟»
«ولاشيء. كانت تملك قدرةً غير عادية على استقبال الإشارات الماورائية».
«هل تعلم إذا كانت قد ذهبتْ لرؤية شخص آخر، تحدثتْ مع أي وسيط روحاني آخر؟»
«بالطبع، ما كانت لتخبرني شيئاً لا يخصني. لكنها بالفعل اتصلت بي ذات يوم لتسألني حول وسيط آخر، امرأة لم أكن أعرفها ولم أسمع بها من قبل. لابد أنها جديدة. يعرف المرء في العادة معظم الأشخاص في هذا المجال».
«لا تعرف من تكون هذه المرأة؟»
«لا. باستثناء اسمها. كما قلت لك، لا أعرف أي وسيط روحاني بهذا الاسم».
«وما هو اسمها؟»
«لم تعطني ماريا أي اسم آخر، فقط أشارت إليها باسم ماغدالينا».
«ماغدالينا؟»
«لم أسمع بها أبداً من قبل».
«ماذا يعني ذلك؟ أنك لم تسمع بها من قبل؟»
«لاشيء. لا يعني شيئاً بالضرورة. لكنني اتصلتُ بعدة أماكن ولم يعرف أحد ماغدالينا هذه».
«ألا يمكن أن تكون جديدة وحسب، كما تقول؟»
رفع أندرسون كتفيه وقال: «لابد أن تكون كذلك، كما أعتقد».
«هل يوجد الكثير منكم في هذا المجال؟»
«لا، ليس كثيراً جداً. لا يمكنني إعطاؤك رقماً محدداً».
«كيف وجَدَتْها ماريا، ماغدالينا هذه؟»
«لا أدري».
«أليس ما قلتَه حول الخوف من الظلام غريباً بعض الشيء بالنسبة لشخص يكسب رزقه من الاتصال مع الأرواح؟»

«ماذا تقصد؟»

«أن الخوف من الظلام خوف نفسي، لا يسبِّبه الاعتقاد بالأرواح؟»

قال أندرسون: «لا يوجد شيء مؤذٍ حول عالم الأرواح. كلنا لدينا أشباحنا. وأنت بالذات».

«أنا؟»

أومأ أندرسون برأسه دلالةً على الموافقة، ثم قال: «مجموعة بأكملها. ولكن، لا تقلق. استمر في البحث. سوف تجدهم».

«تعني أجده».

قال أندرسون وهو ينهض ليقف: «لا، أعني تجدهم».

23

أُصيب إرلندر ذات مرة بحالة تُسمّى اضطراب نبض القلب، حيث كان يشعر أحياناً كما لو أن قلبه اكتسب سرعة إضافية -الأمر الذي لم يكن مريحاً على الإطلاق- وفي أحيان أخرى كان نبض قلبه يصبح أبطأ. وعندما ازدادت حالته سوءاً، بحث بين الأوراق الصفراء فوقع نظره على اسم أثار انتباهه في عمود «أخصائيو القلب»، وهو داغوبيرت. أُعجب إرلندر بالاسم على الفور وقرر أن يجعله طبيبه. ولم تمضِ خمس دقائق على وجوده في عيادة الطبيب حتى دفعه فضوله للسؤال عن الاسم،

فقال الطبيب، الذي كان معتاداً على السؤال فيما يبدو: «أنا من فيوردس الغربية. إنني متصالح معه إلى حد ما. لكن ابن عمي يحسدني، فاسمه دوسوثيوس».

كانت غرفة الانتظار في المركز الطبي تعج بأشخاص يعانون من مجموعة متنوعة من الأمراض. كان يعمل في المركز تشكيلة من الأخصائيين، تتضمّن أطباء أنف وأذن وحنجرة، وجرّاحاً وعائياً، وثلاثة أخصائيين قلبيين، وأخصائيْ كلية، وأخصائياً عينياً. وقف إرلندر بجانب المدخل المؤدي إلى غرفة الانتظار، قائلاً في نفسه إن أياً من أولئك الأخصائيين ينبغي أن يكون قادراً على إيجاد شيء ما يجعل وجوده هناك منطقياً. كان قلقاً بسبب الدخول إلى طبيبه دون موعد مسبق بعدة أشهر، لمعرفته بمدى انشغال الطبيب ولأن زيارته قد تزيد زمن انتظار بعض الأشخاص الموجودين هناك ربع ساعة على الأقل، اعتماداً على الوقت الذي سيتمكَّن الطبيب من إيجاده له. كان حينئذ قد مضى على وقوفه هناك نحو ثلث ساعة.

كانت عيادات الأطباء تقع على امتداد ممر طويل متصل بغرفة الانتظار. وبعد خمس وأربعين دقيقة من الإعلان عن حضوره فُتح بابٌ ودخل داغوبيرت إلى غرفة الانتظار وأشار إليه فتبعه إرلندر إلى عيادته وأغلق الطبيب الباب خلفهما.

مشيراً إلى إرلندر كي يستلقي على السرير، قال داغوبيرت: «هل عادت المشكلة؟» كان ملفه مفتوحاً على طاولة مكتب الطبيب.

قال إرلندر: «لا. أنا بخير. إنني موجود هنا في عمل رسمي إلى حد ما».

قال الطبيب: «حقاً؟» كان رجلاً بديناً، مرحاً، يرتدي قميصاً أبيض

وربطة عنق وسروال جينز. صحيح أنه لم يكن يلبس رداء أبيض لكنه كان يعلِّق سمّاعة حول عنقه. «ألن تستلقي على أي حال وتدعني أصغي إلى صدرك؟»

قال إرلندر وهو يجلس على كرسي أمام الطاولة: «لا حاجة لذلك». فجلس داغوبيرت على السرير. تذكَّر إرلندر لقاءاتهما السابقة عندما شرح له الطبيب كيف اضطَّربت الإشارات الكهربائية التي تتحكَّم بنبض قلبه، وكيف أن المشكلة بصورة عامة تنجم عن التوتر. لكن إرلندر لم يفهم الكثير مما قاله الطبيب، باستثناء أن الحالة لم تكن تهدد الحياة وأنها ستتحسن مع الزمن.

قال داغوبيرت: «إذن ما يمكنني أن ...؟»

فقال إرلندر: «إنها مسألة طبية».

منذ أن خطر له استشارة أخصائي قلبي، وجد إرلندر صعوبة في اختيار الكلمات المناسبة. لم يكن يريد التحدث مع أي طبيب يتعامل مع الشرطة، مثل أخصائي علم الأمراض، لأنه لم يكن يريد تفسير أي شيء مما كان يقوم به.

«حسناً، تفضَّل».

«إذا أراد المرء أن يقتل إنساناً، ولكن لبضع دقائق فقط، فكيف يمكنه فعل ذلك؟ إذا أراد المرء أن ينعشه على الفور بحيث لا يستطيع أي إنسان رؤية أي إشارة تدل على ما حدث؟»

رمقه الطبيب بنظرة طويلة، ثم قال: «هل تعلم عن حالة كهذه؟»

«في الحقيقة، كنتُ سأسألك عن ذلك. ليس لدي علم بأي حالة».

«لا أعلم عن أي شخص فعلها عمداً، إذا كان هذا ما تقصده».

قال إرلندر: «كيف يمكن للمرء أن يقوم بذلك؟»

«هذا يعتمد على عدة عوامل. ما هي الظروف؟»

«لستُ متأكداً. لنقل، على سبيل المثال، إنها أُجريت في المنزل».

نظر داغوبيرت إلى إرلندر بجدية، وقال: «هل يعبث شخص تعرفه بمثل هذا الأمر؟» لم يكن داغوبيرت، في الغالب، يلجأ لاستخدام مصطلحات عصية على الفهم، الأمر الذي كان يريح إرلندر كثيراً.

قال إرلندر: «لا. وهي ليست مسألة تتعلق بالشرطة. أنا أرغب بالمعرفة فقط بسبب تقرير قديم وجدته بالصدفة».

«إنك تتحدث عن كيفية إحداث سكتة قلبية دون أن تُكتشَف وبطريقة ينجو الضحية منها؟»

«ربما».

«لماذا بحق الرب سيرغب أي شخص بفعل شيء كهذا؟»

قال إرلندر: «ليس لدي أي فكرة».

«أفترض أنك تملك معايير أخرى».

«في الحقيقة لا».

«إنني لا أفهم. كما قلتُ: لماذا سيرغب أي شخص بإحداث سكتة قلبية؟»

«لا أدري. كنت آمل أن تكون قادراً على إخباري بذلك».

قال داغوبيرت: «الاعتبار الأول هو منع تضرر الأعضاء. إذ حالما يتوقف القلب عن الخفقان، سيبدأ التحلُّل، الأمر الذي يهدِّد الأنسجة والأعضاء على الفور. أتوقَّع وجود عدد من الأدوية التي ستقوم بالحيلة عبر إحداث غيبوبة، ولكن من طريقة وصفك، قد تكون هذه حالة إحداث هبوط حاد في درجة الحرارة. فيما عدا ذلك، لست متأكداً حقاً».

«هبوط حاد في درجة الحرارة؟»

قال الطبيب: «برودة شديدة جداً. إنها تحقق هدفين. يتوقف القلب عن الخفقان عندما تنخفض درجة حرارة الجسم تحت مستوى معين فتتعرَّض لموت سريري، وفي الوقت نفسه تؤدي البرودة الشديدة إلى الحفاظ على الجسد والأعضاء. البرد يُبطئ جميع العمليات الأيضية».

«كيف سيُعاد إنعاش الشخص؟»

«ربما بواسطة جهاز صدم كهربائي، ومن ثم القيام بإعادة تدفئة سريعة».

«وستحتاج لعلم شخصٍ أخصائي كي تفعل ذلك؟»

«بدون شك. لا أتخيل أي سيناريو آخر. سيتوجَّب وجود طبيب، بل أخصائي قلبي. ولا حاجة للقول إنه لا ينبغي على أي شخص العبث بمثل هذه الأمور».

«ما هي المدة التي يمكن خلالها إبقاء شخص ما في حالة كهذه قبل أن تصبح غير قابلة للإرجاع؟»

قال داغوبيرت مع ابتسامة: «في الحقيقة، لست خبيراً فيما يتعلق بإحداث موت سريري عبر تخفيض درجة الحرارة بشكل حاد. لكنها مسألة بضع دقائق قليلة بعد السكتة القلبية -أربع إلى خمس، كحد أقصى. لا أدري. سيتوجَّب عليك الأخذ بعين الاعتبار الأجهزة المساعدة المتوفرة بين يديك. فإذا كنتَ في مستشفى مع قدرة على استخدام أفضل التقنيات، من

الممكن ربما الذهاب أبعد من ذلك. تُستخدَم طريقة تخفيض درجة الحرارة في السنوات الأخيرة لإبقاء الناس في حالة غيبوبة أثناء تماثل جراحهم للشفاء. وهي طريقة جيدة أيضاً للحفاظ على أعضاء الأشخاص الذين تعرَّضوا لسكتة قلبية، على سبيل المثال. في هذه الحالة يُحافَظ على درجة حرارة الجسد عند واحد وثلاثين درجة مئوية أو نحو ذلك».

«إذا أُجريتْ في المنزل، فما هي المعدات التي ستحتاج إليها؟»

قال الطبيب: «لا يمكنني ...»

«ما هو الشيء الأول الذي يخطر في البال؟»

«حوض استحمام كبير الحجم. ثلج. جهاز صدم كهرباء وسهولة الوصول إلى الكهرباء. بطانية».

«هل ستترك أي أثر؟ إذا أُعيد إنعاش الشخص المقصود بنجاح؟»

«إشارات على حدوثها؟ لا أعتقد ذلك. يمكنني تشبيهها بالحالة التي يعلق فيها المرء وسط عاصفة ثلجية. يُبطئ البرد تدريجياً العمليات الأيضية. يصبح الشخص نعساً في البداية، ثم يفقد الوعي وفي النهاية يتعرَّض لسكتة قلبية ويموت».

«أليس هذا ما يحدث تماماً عندما يموت الناس نتيجة التعرُّض لبرد شديد؟»

«نفس الشيء بالضبط».

كانت ابنة عم الطالبة غودرون آخر من تحدَّثَ معها -بالقدر الذي يمكن تأكيد ذلك بشيء من اليقين. كان والدا غودرون قد طلبا منها الاهتمام بغودرون أثناء وجودهما في رحلتهما الطويلة عبر آسيا. كانت قصيرة القامة، ذات شعر أشقر سميك مربوط من الخلف على شكل ذيل فرس، وتكبر غودرون بثلاث سنوات. كان اسمها إليزابيت، لكنها تدعوا نفسها بيتا، وتعمل حالياً كمديرة قسم في المتحف الوطني الآيسلندي.

حال جلوسها مع إرلندر في مقهى المتحف، قالت: «أجد نبش هذا الأمر مزعجاً جداً. كنتُ نوعاً ما مسؤولة عن دونا، أو على الأقل هذا ما كنتُ أشعر به، مع أنني بالطبع، كما تعلم، لم أكن لأستطيع منع أي شيء. لقد اختفت ببساطة. كان الأمر غير قابل للتصديق مطلقاً. لماذا تحققون في هذا الأمر الآن؟»

قال إرلندر: «إننا نقفل القضية».

«إذن فأنتم واثقون الآن بأنه لن يُعثَر عليها أبداً؟»

قال إرلندر دون الإجابة بشكل مباشر: «لقد مضى زمن طويل».

قالت بيتا: «إنني ببساطة لا أستطيع أن أتخيل ماذا يمكن أن يكون قد حدث. ذات يوم تذهب بسيارتها و-بووف!- تختفي. ولم يُعثَر على سيارتها أبداً، ولم يُعثَر على أي أثر لها هي أيضاً. لا يبدو أنها توقفتْ في أي متجر أو قرية، لا على الطريق المتجه شمالاً ولا في منطقة ريكيافيك».

قال إرلندر: «ذكَرَ بعض الأشخاص الانتحار».

«لم تكن من هذا النمط؟»

فسألها إرلندر: «ما هو النمط؟»

«لا، أقصد، إنها لم تكن تشبه ذلك».

«لا أعرف أي شخص يشبه ذلك».

قالت بيتا: «أنت تعرف ما أعنيه. وماذا حدث للسيارة؟ لا يمكن أن تكون قد انتحرت أيضاً!»

ابتسم إرلندر وقال: «لقد بحثنا تحت الماء بمحاذاة الموانئ في جميع أنحاء البلد. أرسلنا غطاسين للبحث على امتداد الأحواض في حال أنها فقدت السيطرة على السيارة. لم نجد شيئاً».

قالت بيتا: «كانت مولعة على نحو غير معقول بسيارتها الصغيرة الصفراء ميني. لم أستطع أبداً أن أتخيَّلها تقودها فوق أحد الأرصفة وتسقط معها في الماء. لطالما وجدتُ الفكرة سخيفة. مثيرة للضحك».

«ألم تكشف أي شيء حول خططها في حواركما الأخير؟»

«لاشيء. لو كنت أعلم بما كان سيحدث لاختلف الأمر. اتصلَت بي لتسألني حول عنوان مصفِّف شعر في لوغافيغور كنتُ قد نصحتُها به. كانت تنوي الذهاب إلى هناك. لهذا السبب لم أؤمن أبداً بفكرة الانتحار. لم يكن هناك أي شيء يشير إليه».

«هل كان هناك سبب معين، مناسبة خاصة؟»

«بالنسبة لموعد مصفِّف الشعر؟ لا، كان الوقت قد حان لقص شعرها، كما أظن».

«ولم تناقشا أي شيء آخر؟»

«لا. ولم أسمع منها مجدداً. افترضتُ أنها ذهبت شمالاً. اتصلتُ بها بضع مرات لكنها لم تكن موجودة، أو على الأقل هذا ما اعتقدته. في ذلك الحين، بالطبع، كانت مفقودة. أجد صعوبة بالغة في تخيُّل ما يمكن أن يكون حدث. لماذا تختفي فتاة مثلها، في ريعان شبابها، بتلك الطريقة بدون أي سبب وبدون أي إنذار؟ بماذا يُخبرك ذلك؟ كيف يُتوقَّع منك أن

تفهم؟»

«هل كانت مرتبطة بعلاقة ما، تعيش مع صديق أو ...؟»

«لا، أبداً -كانت تتطلع إلى كل ذلك».

«إلى أين كانت تذهب في العادة عندما كانت تتنزه بسيارتها؟»

«إلى الشمال، بالطبع. كانت تفتقد أكويريري في بعض الأحيان فتذهب إليها كلما سنحت لها الفرصة. ثم كانت هناك المنطقة المحيطة بريكيافيك. شبه جزيرة ريكيانيس. إلى الجبال شرقاً. نزهة إلى فيراجيردي من أجل تناول الآيس كريم. الأشياء المعتادة. أنت تعلم حول شغفها بالبحيرات».

«أجل».

«بحيرة ثينغفالافاتن كانت مفضَّلة لديها».

« ثينغفالافاتن؟»

«كانت تحفظها كظهر يدها. كانت تذهب إلى هناك دائماً وتأخذ مواقعها المفضَّلة بجانب البحيرة. كان عمُّنا هنا في ريكيافيك يملك منزل عطلات في لونداريكيادالور في منطقة بورغارفيوردر؛ كنا نستخدمه كثيراً، وكانت غالباً تسلك الطريق الجبلي فوق أوكساريغير مروراً بثينغفيلر في طريق عودتها إلى المدينة. كانت تمر بمحاذاة الشاطئ الشرقي للبحيرة ومن ثم إلى المنزل. كانت تخيِّم في ثينغفيلر أحياناً مع صديقاتها. وأحياناً لوحدها. كانت تحب كثيراً البقاء لوحدها. كانت مكتفية بذاتها في نواحٍ كثيرة».

سألها إرلندر، محاولاً تذكُّر الملفات المتعلقة باختفاء غودرون: «ألم تكن هناك أي إشارة تدل على أنها زارت منزل عطلات عمك؟»

«لا، لم تذهب إلى هناك».

«من أي أتى ذلك الشغف بالبحيرات؟»

«لا أحد يعلم، ولا حتى هي نفسها. كانت دونا دائماً على هذه الحال، منذ أن كنا صغيرتين. أخبرتني ذات مرة أن البحيرات تملك قوة غريبة، هدوءاً رائعاً، أنك تستطيع التواصل مع الطبيعة على النحو الأمثل بجوار البحيرات، مع جميع الطيور والحياة على الشاطئ. بالطبع، كانت تدرس علم الأحياء. لم تكن تلك مصادفة».

«هل كانت تذهب في نزهات على البحيرة؟ هل كانت تملك قارباً؟»

«لا، كان هذا هو الشيء الغريب بخصوص دونا. كانت تخاف من الماء عندما كانت فتاة صغيرة. وكان من الصعب أخذها إلى دروس تعلُّم السباحة ولم تكن تستمتع بالذهاب إلى المسبح. لم تكن تهتم بالوجود في

الماء، وإنما فقط بالوجود قرب البحيرات. كان هذا هو عشق الطبيعة فيها».

قال إرلندر: «ليست هناك أماكن كثيرة جميلة مثل بحيرة ثينغفالافاتن».

«هذا صحيح».

24

بعد يومين، كان إرلندر ينتظر في منزل مدرِّس تمثيل هرم يُدعى يوهانز بينما كان الرجل يصبُّ له كأساً من الشاي المنكَّه بطعم الفواكه، مع أنه لم يكن المشروب الذي يتناوله إرلندر في العادة. في البداية، لم يكن المدرِّس متعاوناً ولم يكن راغباً بالسماح له بالدخول، إلا عندما سمع أن المسألة تتعلق بالحديث حول أشخاص آخرين وليس حوله شخصياً، حينئذ هدأ وفتح الباب. قال إنه أعدَّ لنفسه منذ قليل شاياً منكَّهاً بطعم الفواكه وسأل إرلندر إذا كان يود مشاركته.

كان أوري فيلدستد هو الذي اقترح اسم المدرِّس عندما سأله إرلندر عن الشخص الأفضل لسؤاله حول الطلاب القدامى في كلية المسرح. حتى أن أوري لم يتمهَّل ليفكر في الأمر. قال إن يوهانز علَّمه في أيامه وإنه كان شخصاً رائعاً، رغم أنه ثرثار فظيع وذو فضول شديد للحصول على المعلومات، وإن أي شيء يقوله حول أوري نفسه -في حال جيء على ذكره في الحوار- كذب.

كان يوهانز يعيش لوحده في منزل يقع شرق المدينة. كان رجلاً طويلاً جداً، وذا صوت مجلجل، ورأس أصلع، وعينين ماكرتين، وأذنين كبيرتين على نحو غير عادي. قال أوري إنه مطلَّق، وإن زوجته تركته منذ سنوات، ولم يكن لديهما أطفال. كان يوهانز ممثلاً عظيماً في شبابه لكن الأدوار بدأت تقلُّ مع تقدِّمه في السن فبدأ التدريس في كلية المسرح، بالإضافة إلى مشاركته في بعض الأعمال الاحترافية والهاوية. كما أن ظهوراته كضيف شرف في بعض الأفلام جعلت وجهه مألوفاً لدى الناس، فضلاً عن اشتراكه في بعض الأحيان في برامج حوارية إذاعية وتلفزيونية، للتحدث حول الزمن القديم.

حال جلوسهما في غرفة المكتب مع فنجانين من الشاي المنكَّه، قال يوهانز: «أذكر بالدفين جيداً». رشف إرلندر شايه فوجد مذاقه مقرفاً. كان قد شرح ما يريده ليوهانز وطلب منه عدم إخبار أحد بأنه كان يطرح أسئلة حول أحد طلابه القدامى. وفقاً لما قاله أوري، لم تكن هناك فائدة كبيرة في الإصرار على السرية، لكن إرلندر أملَ خيراً.

تابع يوهانز كلامه: «لم يكن يصلح لأن يكون ممثلاً جيداً. ترك في سنته الثانية، حسبما أذكر. مع أنه كان يملك موهبة معقولة في الكوميديا. ولكن، هذا كل شيء. ترك في منتصف الدراسة. في منتصف العرض، يمكنك

القول. يبدو أنه اكتشف ميولاً نحو الطب. لم أره إلا نادراً منذ ذلك الحين».

«هل كانت مجموعة جيدة، دفعته؟»

قال يوهانز وهو يرشف شايه: «أجل، كانوا كذلك بالفعل. في الواقع، كان هناك أوري فيلدستد، ممثل مقبول، لكنه محدود المقدرة بعض الشيء. شاهدتُ تلك النسخة من عُطيل. كان سيئاً جداً فيها. سفالا كانت في المجموعة أيضاً، وسيغرودر التي كانت ممثلة حقيقية، وُلدت لتمثِّل أعمال العمالقة الاسكندنافيين، إبسين وستريندبيرغ. وبالطبع، هيمير، الذي أشعر شخصياً بأنه كان يستحق أدواراً أكبر. لقد أصبح مستاءً وغاضباً مع تقدمه في السن. وبدأ يعتاد على شرب الخمر. جلبتُه ليلعب دور جيمي في إنتاجي لمسرحية انظرْ إلى الماضي بغضب وأدّاه بشكل ممتاز برأيي، ولكن لم يوافقني الجميع على هذا الرأي. لا أعلم في الحقيقة أين هو اليوم، لكنني استمعتُ إليه وهو يلعب دوراً صغيراً في مسرحية إذاعية منذ عدة أيام. كلهم أصبحوا في منتصف العمر الآن -ليليا، سايبيورن، إينار. ثم كانت هناك كارولينا. لم تكن ممثلة جيدة، عزيزتي المسكينة».

مدركاً بأنه لم يكن مضطراً للجوء للتعذيب كي يستخلص المعلومات من الممثل المسرحي القديم، سأله إرلندر: «هل تذكر أي شيء حول الفترة التي ترك فيها بالدفين الكلية؟»

«بالدفين؟ في الواقع، لقد ترك فحسب. لم يقدم أي سبب معيَّن. لم يكن بحاجة لذلك. رغم أن الدخول إلى كلية المسرح في تلك الأيام كان صعباً جداً والأماكن كانت مطلوبة جداً، لذا لم يكن الطلاب عادةً يتركون في منتصف العرض، دعني أقول لك. في منتصف العرض».

«إنك لا تقصد ذلك حرفياً؟»

«لا، إنه تعبير مجازي فقط، كما تعلم. أعني فقط أنه فعل ذلك، ترك الدراسة. بشكل مفاجئ، كما أعتقد، نظراً لما كان يمرُّ به أولئك الأولاد كي يدخلوا إلى الكلية. كان الشبان يحلمون بأن يصبحوا ممثلين في تلك الأيام. كان ذلك حلماً. أن تكون ناجحاً وشهيراً وقبلة للأنظار. يمكن للتمثيل أن يمنحك ذلك إذا كان هذا ما تسعى إليه، لكنه يمنح الممثلين الجديين ماهو أكثر من ذلك بكثير. لقد منحني ثقافة، وأدباً ومسرحاً، وفتح لي الباب للحياة نفسها».

سكت الممثل العجوز وابتسم، ثم أضاف قائلاً: «اعذرني إذا أصبحتُ متباهياً. لدينا نحن الممثلين ميل للتباهي. وخاصة عندما نكون على المسرح».

ضحك بصوت عالٍ على نفسه.

قال إرلندر مع ابتسامة: «عرفتُ أن بالدفين قابل المرأة التي تزوجها بعد مدة قصيرة من تركه الدراسة».

«أجل، كانت طالبة تاريخ، أليس كذلك؟ سمعتُ أنها ماتت منذ عدة أيام. قتلت نفسها. ربما لهذا السبب أنت هنا، أو ...»

قال إرلندر: «لا. هل كنتَ تعرفها؟»

«مطلقاً. هل كان هناك شيء مريب بخصوص الأمر؟ بخصوص طريقة موتها؟»

«لا. هل كان متقبِّلاً تماماً للتخلي عن التمثيل؟ بالدفين، أقصد. هل تذكر؟»

قال يوهانز: «لطالما اعتقدتُ أن بالدفين كان يفعل كل ما يرضيه. هذا هو الانطباع الذي كوَّنه لدي. كما لو أنه لم يكن ليسمح لأي شخص بأن يسيطر عليه؟ شاب عنيد لا يفعل إلا ما يراه هو مناسباً. ولكن، فيما بعد قال الأولاد إن هذه الفتاة امتلكت سيطرة قوية عليه لدرجة أنه غيَّر المسار كلياً. في كل الأحوال، إنه لم يكن جيداً كممثل. لابد أنه أدرك ذلك بنفسه، فغيَّر رأيه».

قال إرلندر وهو يضع فنجانه على الطاولة: «هل كانوا يرتبطون مع بعضهم في علاقات؟ طلاب المسرح؟»

«في الواقع، أنت تعلم كيف يكون الأمر. شيء من هذا القبيل أمرٌ حتميٌ، لكنه لا يدوم دائماً. بعضهم تزوَّجوا منذ ذلك الحين، أشخاص من نفس السنة. هذا يحدث دائماً».

«وماذا بخصوص بالدفين؟»

«تقصد قبل أن يقابل زوجته؟ لا يمكنني مساعدتك كثيراً في هذا الخصوص حقاً. رغم أنني سمعت شيئاً حول وقوعه في غرام كارولينا التي كانت في نفس سنته. كانت جميلة بما يكفي، لكنها لم تكن تملك موهبة حقيقية كممثلة ولم تلعب أي أدوار رئيسية. في الحقيقة، لا أعلم على أي أساس سمحنا لها بالدخول إلى الكلية. لم يكن لدي أي علم».

سأله إرلندر، مع شعور بالندم لجهله بالمسرح: «هل أصبحَتْ ممثلة؟»

«أوه، لم تدم حياتها المهنية طويلاً، وكانت مخيبة للآمال تماماً. لا أظن أنها مثَّلت لسنوات. كانت بصورة عامة تؤدي أدواراً ثانوية. وأكبر دور لها تلقَّى نقداً لاذعاً ولابد أن ذلك حطَّمها كلياً».

«ما هو ذلك الدور؟»

«كانت مسرحية سويدية حققت نجاحاً جيداً في الماضي. ليست عظيمة لكنها ليست سيئة أيضاً. كانت تُعرَف باسم شعلة الأمل بالآيسلندية؛ لا أعرف لماذا وضعوا هذا الاسم. كانت المسرحيات التي تتناول المشاكل الأُسَرية قد بدأت تفقد شعبيتها في ذلك الحين».

بجهل تام في المسرح السويدي، قال إرلندر: «ممم».

«كان المؤلف يحظى بشعبية كبيرة في تلك الأيام».

اكتفى إرلندر بهز رأسه.

«كان هناك شيء واحد غريب بعض الشيء بخصوص كارولينا. لم يكن هناك من يريد الشهرة أكثر منها. أن تكون نجمة، ممثلة مشهورة. أعتقد أن هذا هو السبب الوحيد لذهابها إلى الكلية، بينما كان الطلاب الآخرون ربما أكثر اهتماماً منها بالمسرح الحقيقي وما يمكن أن يعلِّمك. كانت كارولينا سطحية بعض الشيء في هذا المجال. لكنها مع ذلك، لم تكن تملك ما يتطلبه الأمر لتحقيق مرادها، لم تكن تملك الموهبة. رغم كل محاولاتنا في الكلية. لقد باءت كلها بالفشل».

«لكنها حصلت على الدور مع ذلك؟»

قال يوهانز منهياً شايه المنكَّه: «الدور في شعلة الأمل لم يكن بذلك السوء. لكنها أدَّته على نحو كارثي. كانت خشبية تماماً، العزيزة المسكينة. بعد ذلك، أعتقد أنها تقاعدت. على أي حال، كانت وبالدفين يتقابلان قبل أن يتزوج وينجب ... لا، لم ينجبا أولاداً، صحيح؟»

«لا». كان إرلندر مندهشاً من مدى اطلاع أستاذ المسرح. كان واضحاً أن القليل كان يفلت من تينك الأذنين الكبيرتين.

«لعل ذلك أثَّر على المرأة. كونها بلا أطفال».

رفع إرلندر كتفيه وقال: «لا أدري».

«شنقت نفسها، أليس كذلك؟»

أومأ إرلندر برأسه دلالةً على الإيجاب.

«وبالدفين؟ كيف تقبَّل الأمر؟»

«كما يتقبَّل أي إنسان آخر، بتصوُّري؟»

«أجل، كيف يتكيَّف الناس مع شيء كهذا؟ لا أدري. قابلتُ بالدفين منذ بضع سنوات. كان بديلاً عن طبيبي العام في العيادة المحلية. شاب لطيف جداً، بالدفين. كان دائماً يعاني من مشاكل مالية، حسبما أذكر. كان يترك سلسلة من الديون في كل مكان. كان يتوسَّل كي أقرضه مالاً إلى أن توقفتُ عن إقراضه. كان ينفق أكثر بكثير من مدخوله، ولكن، ألا يفعل

الجميع ذلك في هذه الأيام؟»

قال إرلندر وهو ينهض ليقف: «أجل».

قال يوهانز بينما كان يرافقه إلى الباب: «فيما يبدو، لقد أصبحتْ مراكمة أكبر قدر ممكن من الديون موضة رائجة».

صافحه إرلندر عند الباب.

قال الممثل: «في الحقيقة لقد بدتْ فاتنةً في ماغدالينا. فتاة جميلة».

توقَّف إرلندر في المدخل وقال: «ماغدالينا؟»

«أجل، ماغدالينا جميلة. كارولينا، أقصد. انتظرْ، هل أتحدثُ كلاماً هراء؟ لقد أصبح كل شيء يختلط في ذهني، ممثلون وأدوار وكل تلك الأشياء».

سأله إرلندر: «من كانت ماغدالينا؟»

«دور كارولينا في المسرحية السويدية. لقد لعبَتْ دور امرأة شابة تُدعى ماغدالينا».

«ماغدالينا؟»

«هل هذا يساعدك بصورة ما؟»

قال إرلندر: «لا أعلم. ربما».

جلس إرلندر في سيارته، متأمِّلاً في المصادفات من جديد. كان قد دخَّن أربع سيجارات، وبدأ يشعر بحرقة في معدته لأنه لم يأكل بشكل جيد منذ ذلك الصباح وكان يهدِّئ آلام جوعه بالتدخين. كان معظم الدخان يخرج من فتحة ضيقة أعلى نافذة السائق. لقد راقب شمس الخريف تختفي خلف الأفق الغائم. كانت السيارة مركونة على مسافة حذرة من منزل قديم يقع غرب كوبافوغر، البلدة التي تقع جنوب ريكيافيك مباشرة، وكان إرلندر يُبقي عيناً على المنزل أثناء مراقبته غروب الشمس. كان يعلم أن المرأة تعيش لوحدها ولعلها لم تكن تملك كثيراً من النقود لأن بعضاً منه كان سيُنفَق بالتأكيد على إصلاح المنزل، الذي لم يُطلَ منذ زمن طويل. لم يرَ أحداً يدخل أو يخرج منه. كانت هناك سيارة يابانية صغيرة مهترئة مركونة على الطريق أمامه. أما المنازل المجاورة فكان قاطنوها يأتون إليها تباعاً إما من العمل أو المدرسة أو السوق أو أي شيء آخر يفعلونه في روتينهم اليومي. وبشيء من الخجل من نفسه، راقب إرلندر الحياة العائلية الاعتيادية التي تجري خلف نافذتي المطبخ المرئيتين من سيارته.

كان موجوداً هناك بسبب مصادفة برزت في قضية لم يكن يعرف

لماذا كان يحقق فيها بتلك المثابرة، إذ لم تكن هناك أي إشارة إلى أي شيء آخر سوى الموت المأساوي لامرأة كانت تعيش على شفير الهاوية، كما كان يوحي بذلك ماضيها، وبالتحديد فقدان أمها وهوسها بالحياة الأخروية. ولم يجد أي أدلة على وجود لعبة قذرة إلا مؤخراً عندما سمع اسماً كان قد سمع به من قبل. أثار الاسم أفكاراً غريبةً حول روابط، معلومة وغير معلومة، بين الأشخاص الذين كانت تعرفهم أو لا تعرفهم المرأة الحزينة في ثينغفيلر. كان ماغدالينا هو اسم الوسيطة الروحانية التي زارتها ماريا. كان إرلندر يعلم أن المصادفات لا تختلف، في معظم الأحيان، عن الحياة نفسها، فتمارس حيَلاً شريرةً على الناس حيناً وتمنحهم مفاجآت سارةً حيناً آخر. إنها تشبه المطر الذي ينزل على الأشرار والأخيار معاً. وقد تؤثر على ما يُسمَّى مصائر الناس بدرجة كبيرة أو طفيفة؛ وتأتي من العدم، بصورة غير متوقعة، وغريبة، وغير قابلة للتفسير.

كان إرلندر حريصاً على عدم الخلط بين المصادفات وبين شيء آخر، لكنه كان يعلم أكثر من غيره -بفضل عمله- أنه يمكن التلاعب بها أحياناً بحيث تُزرَع ببراعة في حيوات أشخاص غير مشتبهين. وفي هذه الحالة، لا يعود بالإمكان وصف مثل هذه الحوادث بأنها مصادفات. في عمل إرلندر، ليس لهذه الحوادث سوى اسم واحد، رغم تنوُّع الأوصاف التي يمكن إطلاقها عليها، وهو: جريمة.

بينما كان يتأمَّل في هذه الأفكار، أضاء مصباح عند مدخل المنزل، وفُتح الباب وخرجت امرأة منه ثم أغلقت الباب خلفها واتجهت نحو السيارة المركونة أمام المنزل. اضطُرَّت لقدح دارة التشغيل ثلاث مرات قبل أن تدب الحياة في المحرك وتمشي السيارة مصدرةً ضجيجاً عالياً. قال إرلندر في نفسه إن جزءاً من العادم مفقود حتماً.

راقب السيارة وهي تبتعد على الطريق قبل أن يُشغِّل بدوره سيارته الفورد القديمة ويلحق بها على بعد مسافة بسيطة. بعد زيارته لأستاذ المسرح، جمع بنفسه معلومات سريعة حول مهنة كارولينا فرانكلين. كان اسم عائلتها فرانكلينسدوتير، لكنها كانت تستعمل جزء «فرانكلين» من كنيتها فقط، ما يدلُّ على ميلها للتظاهر، الأمر الذي كان أستاذها القديم يجده موحياً، حيث قال: «سطحية للغاية»، ثم أضاف وهو ينقر بإصبعه على جبهته: «لاشيء هنا». اكتشف إرلندر أن كارولينا كانت تعمل كسكرتيرة في شركة مالية ضخمة في المدينة. وكانت عازبة، بدون أطفال، ولم تمثِّل منذ سنوات. وكان آخر دور لعبته هو ماغدالينا في مسرحية شعلة الأمل، حيث

أدَّت فيه دور امرأة سويدية من الطبقة العاملة -وفقاً ليوهانز- اكتشفَتْ أن زوجها كان يمارس الزنا فخططت للانتقام منه. تبعها إلى كشك ومحل لتأجير الأفلام في الحي، وراقبها بينما كانت تشتري فيلماً وبعض الأطعمة الخفيفة قبل أن تعود بسيارتها إلى المنزل.

جلس إرلندر في سيارته لمدة ساعة تقريباً، دخَّن خلالها سيجارتين أخريين، ثم قاد سيارته عائداً إلى المنزل.

25

لم يُبقِ مدير البنك إرلندر منتظراً بل خرج إليه وصافحه بحرارة قبل أن يدعوه إلى مكتبه. كان في العقد الرابع من عمره، مبتسماً، ودوداً، وأنيقاً يبذته المخططة بخطوط رفيعة وربطة عنقه المنتقاة بعناية وحذائه الجلدي اللامع. قال إنه كان منذ مدة قصيرة في لندن مع مجموعة خاصة من الزبائن لمشاهدة مباراة كرة قدم هامة. كان إرلندر يعرف اسمي الفريقين، ولكن، لا شيء غير ذلك. كان مدير البنك معتاداً على التعامل مع زبائن أثرياء لا يطلبون بشكل رئيسي سوى خدمة سريعة وفعالة. وكان إرلندر يعرف أن مدير البنك شق طريقه إلى منصبه بالمثابرة والإصرار إلى جانب رغبة داخلية بالإرضاء. لقد تقاطع طريقاهما كثيراً منذ أن كان المديرُ محاسباً متواضعاً في البنك، ونشأت بينهما علاقة جيدة، خصوصاً عندما اكتشف إرلندر أن المحاسب لم يكن من ريكيافيك وإنما نشأ وكبر في مزرعة صغيرة في مقاطعة أورايفاسفيت الواقعة في أقصى جنوب شرق البلد إلى أن توقفت عائلته عن محاولة كسب رزقها من الأرض وانتقلت إلى المدينة.

صبَّ المدير قهوة لإرلندر وجلسا على الأريكتين الجلديتين في مكتبه الفسيح. ناقشا تربية الخيول في الشرق وخبراً حول ازدياد معدل الجريمة في ريكيافيك، الأمر الذي كان يرتبط بصورة مباشرة بتنامي تعاطي المخدرات. وعندما بدا أن الحديث بلغ نهايته، خشي إرلندر من عودة المدير إلى موضوع جني الملايين للبنك -رغم أن المدير لم يُظهر أي إشارة على نفاذ صبره- فنحنح حنجرته واتَّجه بشكل غير مباشر إلى الغاية من زيارته.

قال إرلندر متلفِّتاً حوله: «بالطبع، سوف تتوقف عن مساعدة الشرطة».

قال المدير وهو يسوِّي ربطة عنقه: «هناك أشخاص آخرون يهتمون بهذا الجانب في هذه الأيام. هل تود التحدث إليهم؟»

«لا، لا. أنت من أريد التحدث معه».

«ما الأمر؟ هل تحتاج إلى قرض؟»

«لا».

«هل يتعلق الأمر بسحب بدون رصيد؟»

هز إرلندر رأسه نافياً. في الحقيقة، لم يعانِ إرلندر أبداً من أي مشكلات مالية، فراتبه كان مناسباً تماماً لتغطية احتياجاته، إلا عندما اشترى وجهَّز شقته. وهو لم يكن أبداً مديناً للبنك ولم يأخذ أي قرض آخر غير

رهنه، الذي سدَّده بالكامل منذ زمن طويل.

قال إرلندر: «لا، لاشيء شبيه بذلك. رغم أنها مسألة شخصية. أشدِّد على بقاء هذا الأمر بيننا فقط. إلا إذا كنت تريد طردي من الشرطة».

ابتسم مدير البنك وقال: «أنت تبالغ بالتأكيد؟ لماذا سيطردونك؟»

«أنت لا تعرف أولئك الناس. على أي حال، هل تؤمن بالأشباح؟ كان الناس يؤمنون بهم في أورايفاسفيت، أليس كذلك؟»

«بالتأكيد. باستطاعة أبي إخبارك قصة أو قصتين حول ذلك. قال إن الأشباح كانوا نشطين لدرجة أنه كان يجب إجبارهم على دفع ضريبة للبلدية».

ابتسم إرلندر.

سأله المدير: «هل تحقق حول أشباح؟»

«ربما».

«أشباح لديهم عمل مع البنك؟»

قال إرلندر: «لدي اسم. ورقم هوية شخصية. أعرف أنه يودع أمواله هنا. وكان هذا هو بنك زوجته الراحلة أيضاً».

«هل هي الشبح؟»

أومأ إرلندر برأسه موافقاً.

«وأنت تحتاج للبحث عن هذا الرجل؟»

أومأ إرلندر برأسه ثانيةً.

«لماذا لا تسلك الطريق الاعتيادي؟ هل تملك مذكرة تفتيش؟»

هز إرلندر رأسه نافياً.

«هل هو مجرم؟»

«لا. ربما».

«ربما؟ هل هو شخص تقوم بالتحقيق حوله؟»

أومأ إرلندر برأسه موافقاً.

«ما الذي يجري؟ عم تبحث؟»

«لا يمكنني إخبارك. اعذرني».

«من هو؟»

هز إرلندر برأسه.

«أليس مسموحاً أن أعلم؟»

«لا. انظرْ، أعرف أن هذا غير اعتيادي إلى حد كبير، ولاشك أنه غير مقبول بالنسبة لشخص شريف مثلك، لكنني أريد إلقاء نظرة إلى حساب

هذا الرجل ولا يمكنني فعل ذلك من خلال النظام، لسوء الحظ. كنت سأفعل لو كان باستطاعتي».

حدَّق مدير البنك فيه ثم قال: «أنت تطلب مني أن أخرق القانون؟»

«نعم ولا».

«إذن فهذا ليس تحقيقاً رسمياً؟»

هز إرلندر رأسه نافياً.

قال المدير: «إرلندر، هل فقدت عقلك؟»

«هذه القضية، التي لا أستطيع مناقشتها معك، تتحوَّل إلى كابوس حقيقي. لا أعلم أي شيء تقريباً حول ما حدث لكن المعلومة التي أطلبها منك يمكن أن تساعدني على تكوين فهم أفضل لها».

«لماذا ليس هو تحقيقاً طبيعياً؟»

«لأنني أُجري تحقيقاً سرياً. لا أحد يعلم بما أريد أن أصل إليه وما اكتشفتُه. إنني وحيد كلياً في هذا الأمر. وما يحدث هنا معك لن يبرح هذا المكان. لا أملك أدلة كافية لتحويله إلى تحقيق رسمي. إن الأشخاص الذين أحقق بشأنهم لا يعلمون بذلك -على الأقل، آمل أنهم لا يعلمون. لا أعرف على وجه التحديد ما هي المعلومة التي أحتاج إليها لكنني آمل أن أكتشف شيئاً ما هنا في البنك. سيتوجب عليك الوثوق بي».

«لماذا تفعل ذلك؟ ألا تعرِّض مهنتك للخطر؟»

«إنها إحدى القضايا التي لا تملك فيها أي شيء ملموس، مجرد كومة كاملة من الشكوك. كل ما أنا مضطر للاستناد إليه هو أجزاء. أحتاج إلى روابط بسيطة، نوع من الخلفية للأحداث التي وقعت لاحقاً. أحتاج إلى ملء الفراغات في قصة هؤلاء الأشخاص، بما في ذلك تاريخهم المالي. لم أكن لأطلب منك لو لم أكن أعتقد ... لو لم أكن أعتقد أن جريمة ارتُكبت. جريمة بشعة لا أحد يعلم بشأنها وأن ... الشخص المعني ... ربما سيفلت بفعلته».

حدَّق مدير البنك في إرلندر لمدة طويلة في صمت موحٍ.

وأخيراً سأله إرلندر وهو يشير إلى ثلاث شاشات مسطحة على طاولة مكتب المدير: «هل يمكنك استحضار زبائن البنك على ذلك الكمبيوتر؟»

«أجل».

«هل ستساعدني؟»

«إرلند، أنا ... أخشى أنني لا أستطيع التورط في هذا الأمر. لا يمكنني فعل ذلك».

التقت عيناهما للحظة طويلة.

ثم قال إرلندر: «هل يمكنك أن تخبرني إذا كان الشخص المعني مديناً بشدة؟ مجرد نعم أو لا؟»

فكَّر مدير البنك لوهلة ثم قال: «لا يمكنني فعل ذلك، إرلندر. أرجوك لا تطلب مني هذا».

«ماذا بشأن زوجته؟ إنها ميتة. استعلام حول حسابها المصرفي يجب ألا يضر أحداً».

«إرلندر ...»

«حسناً. فهمت».

وقف مدير البنك ونقر بإصبعه على مكتبه، وقال: «هل تملك رقم هويتها الشخصية؟»

«أجل».

أدخل المدير الرقم وضغط على عدة مفاتيح، ثم نقر على الفأرة وحدَّق في الشاشة.

وقال: «إنها تملك الكثير».

كان الرجل العجوز راقداً في سريره في المستشفى، وظن إرلندر بأنه نائم. كان الممر هادئاً بعد وجبة المساء. لم ينتبه الرجلان اللذان كانا يشاركانه غرفته إلى دخول إرلندر. كان أحدهما يقرأ كتاباً، وكان الآخر على وشك أن يغفو.

جلس إرلندر بجانب السرير ونظر إلى ساعته. كان في طريقه إلى المنزل عندما قرر المجيء لزيارته. في هذه اللحظة صحا العجوز ورآه.

لعدم معرفته كم من الوقت كان يملك، قال إرلندر دون أي مقدمات: «لقد ذهبتُ لرؤية ابنك إلمار».

«أوه؟»

وضع الرجل، الذي كان يقرأ، كتابه على الطاولة المحاذية لسريره ثم أدار وجهه صوب الحائط. أحسَّ إرلندر بأنه كان قادراً على سماع كل كلمة يقولانها. أما الرجل الذي كان يغفوا في السرير الأوسط، فقد بدأ يشخر بهدوء. كان إرلندر يعلم أن هذه الظروف لم تكن مثالية لإجراء استجواب، لكنه لم يكن يملك طريقة أخرى؛ وفي كل الأحوال، لم تكن زياراته للرجل العجوز تستحق أن تُسمَّى تحقيقاً.

قال إرلندر: «كانت علاقتهما جيدة دائماً، أليس كذلك؟» كان يريد أن يبدو بأنه لا يحاول زرع بذور شك غير ضرورية، معتقداً بأنه قد يكون

طرح هذا السؤال من قبل.

«كان الولدان مختلفين جداً، إذا كان هذا ما تعنيه».

قال إرلندر: «لم يكونا مقرَّبين جداً، ربما؟»

هز الرجل العجوز رأسه وقال: «لا، لم يكونا مقرَّبين. إلمار لا يأتي إلى هنا أبداً. لا يزورني نهائياً. يقول إنه لا يتحمَّل دور الرعاية، أو المستشفيات، أو دور المسنِّين، أو مهما كان الاسم الذي تحب أن تطلقه عليها. إنه سائق سيارة أجرة. هل كنت تعلم ذلك؟»

«أجل».

«مطلّق، مثل الكثير من الرجال في هذه الأيام. لطالما كان غير منسجم مع محيطه».

قال إرلندر، لمجرد قول شيء ما: «أجل، في الحقيقة، بعض الأشخاص يكونون كذلك».

سأله العجوز: «هل وجدتَ الفتاة التي كنت تسأل عنها؟»

«لا. قال ابنك إلمار إن ديفيد لم يرتبط أبداً بأي فتاة».

«إنه محق».

أصبح صوت شخير الرجل النائم في السرير الأوسط أعلى.

قال العجوز: «ربما يتوجب عليك التخلي عن البحث».

«بالكاد يُعتبَر بحثاً. على أي حال، ليس هناك الكثير لأفعله في المركز في هذا الوقت، لذا لا تقلق بشأني».

«هل تعتقد حقاً بأنك ستجده؟»

قال إرلندر: «لا أدري. هناك أشخاص يُفقَدون. أحياناً يُعثَر عليهم، وأحياناً لا».

«لقد مضى زمن طويل. لقد توقفنا عن تصوُّر أنه حي منذ مدة بعيدة. كان ذلك أمراً مريحاً في الحقيقة، رغم أننا لم نقدر أبداً على الحزن علي بطريقة مناسبة».

«لا، بالطبع».

«ولن يمضي وقت طويل حتى أرحل بدوري».

«هل تقلقك الفكرة؟»

«لا. لست خائفاً».

سأله إرلندر: «هل تقلق مما سيأتي تالياً؟»

«لا، على الإطلاق. أتوقَّع أن ألتقي بابني ديفيد من جديد. وغونثورن. سيكون هذا جميلاً».

«هل تؤمن بذلك؟»

«أؤمن بذلك دائماً».

«بالحياة بعد الموت؟»

«أجل، بالتأكيد».

سكت كلاهما لبرهة.

ثم قال العجوز: «كنت أود أن أعرف ماذا حصل للولد. غريب كيف تحدث هذه الأشياء. لقد أخبر أمه بأنه سيذهب إلى المكتبة ومن ثم إلى منزل صديقه، وكانت تلك هي نهاية حياته القصيرة».

«لم يره أحد في أي مكتبة. لا هنا ولا في ريكيافيك، أو في أي من البلدات المجاورة. تحققت الشرطة من هذا الأمر بالتحديد في ذلك الحين. ولم يرتِّب لمقابلة أي من أصدقائه».

«لعل أمه لم تفهمه بشكل جيد. الأمر برمته كان غير قابل للفهم. غير قابل للفهم كلياً».

في ذلك الوقت غفا الرجل الذي كان يقرأ.

«ماذا كان يريد من المكتبة؟ هل يمكنك أن تتذكر؟»

«ذكر ذلك لغونثورن. كان سيشتري كتاباً حول البحيرات».

«كتاباً حول البحيرات؟»

«أجل، كتاب ما حول البحيرات».

«أي نوع من البحيرات؟ ماذا كان يعني بذلك؟»

«كان كتاباً جديداً، هذا ما قالته أمه. كتاب يحوي صوراً للبحيرات حول ريكيافيك».

«هل كان مهتماً بهذا النوع من الأشياء؟ بالريف الآيسلندي؟»

«لم يكن لدي علم بهذا الأمر. يبدو أنني أذكر أن أمه ظنت بأنه كان ينوي إعطاءه لشخص ما. لكنها لم تكن متأكدة. كانت تعتقد بأنه قد يكون سوء فهم من قِبَلها لأنه لم يذكر أي شيء كهذا من قبل».

«هل كنت تعرف من كان ذلك الشخص؟ لمن كان الكتاب سيُعطى؟»

«لا».

«ولم يكن أصدقاؤه يعرفون شيئاً حول الأمر؟»

«لا، لا أحد».

«ألا يمكن أن يكون من أجل الفتاة التي ذكرها جيلبيرت؟ الفتاة التي كان يعتقد أن ابنك قابلها؟»

«لم تكن هناك أي فتاة. كان ديفيد سيخبرنا. وعلى أي حال، كانت

ستأتي عندما فُقد. لهذا السبب لا يمكن أن تكون هناك فتاة. إنه أمر غير وارد».

لوَّح الرجل العجوز بيده مستبعداً الفكرة، ثم قال مجدداً: «غير وارد».

26

توجَّه إرلندر بسيارته إلى الطريق المسدود في غرافارفوغر مع حلول مساء اليوم التالي وأوقف السيارة أمام منزل الطبيب. لقد اتصل إرلندر به بعد الغداء قائلاً إنه بحاجة لرؤيته. أراد بالدفين معرفة السبب فقال إرلندر إنه تلقى معلومات من طرف ثالث ويود مناقشتها معه. بدا الطبيب مندهشاً وأراد أن يعرف من هو الطرف الثالث، وما إذا كان موضوعاً تحت مراقبة الشرطة أم لا، فهدَّأه إرلندر كما فعل سابقاً، بقوله إنه لن يأخذ وقتاً طويلاً في طرح أسئلته. وكان على وشك إضافة أن الأمر لم يكن جدياً أبداً، لكنه كان يعلم بأنها ستكون كذبة.

ظل جالساً في السيارة لبعض الوقت بعد إيقاف المحرك، فاللقاء الوشيك مع بالدفين لم يكن حدثاً يتوق إليه. كان لوحده في هذه القضية، فلا إلينبورغ ولا سيغوردر أولي كانا يعرفان ما يقوم به، ولا رؤساؤه في قسم التحقيق الجنائي. لم يكن يعلم كم من الوقت سيتمكَّن من مواصلة هذا التحقيق قبل أن يصبح رسمياً، لكنه كان يعتقد بأن مستقبل التحقيق قد يعتمد على رد فعل بالدفين على أسئلته.

حيَّ بالدفين إرلندر عند الباب ودعاه إلى غرفة الجلوس. كما توقَّع إرلندر، كان الطبيب لوحده في المنزل. كان الجو أكثر توتراً مما كان خلال لقاءاتهما السابقة. فعلى الرغم من أن بالدفين كان مهذباً، إلا أنه كان رسمياً جداً. لم يسأله إن كان بحاجة لمحامٍ عندما كانا يتحدثان على الهاتف، الأمر الذي أراح إرلندر لأنه لم يكن يعرف كيف سيجيبه. في تلك الظروف، كان يعتقد بأن التحدث مع بالدفين سراً هو الأسلوب الأفضل.

استهلّ إرلندر كلامه بالمقدمة التي تدرَّب عليها في السيارة: «كما قلت لك على الهاتف-»

لكن بالدفين قاطعه، قائلاً: «ألا يمكنك الدخول في صلب الموضوع وحسب؟ آمل ألا يدوم هذا اللقاء طويلاً. ما الذي تريد معرفته؟»

«كنت سأخبرك أن هناك ثلاثة أشياء ولكن ...»

قال الطبيب مجدداً: «ما الذي تريد معرفته؟»

«ماغنوس، حموك-»

قاطعه بالدفين مرة أخرى: «لم ألتقِ به أبداً».

«لا، أعرف ذلك. ماذا كان يعمل؟»

«ماذا كان يعمل؟»

«كيف كان يكسب رزقه، أقصد».

«لدي شعور بأنك تعرف مسبقاً».

قال إرلندر بصرامة: «سيكون الأمر أبسط إذا أجبت ببساطة على السؤال».

«كان وكيلاً عقارياً».

«هل كان ناجحاً؟»

«لا، غير ناجح إلى حد بعيد. كان يواجه الإفلاس عند وفاته. مما قالته ماريا لي. وذكرتْ ليونورا هذه الحقيقة أيضاً».

«لكنه لم يفلس؟»

«لا».

«وكانتا وريثتيه؟ ليونورا وماريا؟»

«أجل».

«ماذا ورثتا؟»

«لم يكن يساوي كثيراً في ذلك الحين. لقد نجحتا في التمسُّك بهذا المنزل لأن ليونورا كانت ذكية وصلبة».

«أي شيء آخر؟»

«قطعة أرض في كوبافوغر. قَبِلها ماغنوس من خلال تسوية معينة، كدفعة أولى أو شيء ما، وفي النهاية أصبحت ملكه. حدث ذلك قبل سنتين من وفاته».

«وليونورا تمسَّكت بها كل تلك السنوات؟ حتى عندما كانت بحاجة لإنقاذ المنزل؟»

«إلى ماذا ترمي بهذا؟»

«منذ ذلك الحين، نَمَتْ كوبافوغر بسرعة أكبر من المناطق الأخرى في آيسلندا وانتقل عدد أكبر من الناس إلى هنا من أي مكان آخر في البلد، بما في ذلك ريكيافيك. عندما امتلك ماغنوس المنزل، كان بعيداً جداً عن المدينة، أما الآن فهو يكاد يكون في المركز تقريباً. من كان يصدق ذلك؟»

«أجل، إنه أمر لا يُصدَّق».

«لقد تحققتُ من السعر حين باعته ليونورا –ماذا، قبل ثلاث أو أربع سنوات؟ لقد حصلَتْ على مبلغ محترم جداً مقابله. وفقاً لحسابات مجلس بلدية كوبافوغر، بلغ نحو ثلاثمائة مليون كرونر. كانت ليونورا بارعة في المال، صحيح؟ لم تتفاخر بذلك، ولعلها لم تكن مهتمة بالمال بصورة عامة. وهكذا ظل معظم المبلغ في حسابها المصرفي، يراكم الفوائد. وكانت ماريا

وريثة أمها. وأنت وريث ماريا. لا أحد غيرك. أنت فقط».

«لا يَدَ لي في ذلك. كنت سأخبرك بهذا الأمر لو اعتقدتُ أنه مهم».

«ماذا كان موقف ماريا من المال؟»

«موقف؟ أنا ... لم يكن هناك موقف محدد. لم تكن مهتمة جداً بالمال».

«على سبيل المثال، هل كانت تريد أن تستعملا كليكما المال للاستمتاع بالحياة. هل كانت تريد إنفاقه على الأشياء الفاخرة؟ أم هل كانت مثل أمها تفضِّل تجنُّب التفكير فيه؟»

قال بالدفين: «كانت مدركة تماماً لوجود المال».

«لكنها لم تنفقه؟»

«لا. لم تفعل، ولا ليونورا. أنت محق. أعتقد أنني أعرف السبب، لكنها مسألة أخرى. مع من تحدثتَ، إذا كان يمكنني أن أسأل؟»

«ربما ليس لذلك أي أهمية في هذه المرحلة. أتصوَّر أنك كنت تفضِّل التمتُّع بالأشياء الجيدة في الحياة. كل ذلك المال يقبع هناك فقط، ولا أحد يستخدمه».

أخذ بالدفين نَفَساً عميقاً ثم قال: «ليس لدي أي اهتمام بالحديث حول المال».

«ما نوع التسوية المالية التي كانت تربط بينكما أنت وماريا؟ هل عقدتما اتفاقاً مالياً قبل الزواج؟»

«أجل، صحيح، كما يحدث في الغالب».

«أي نوع من التسوية؟»

«أن تحتفظ ماريا بالأرض أو بأي مال يأتي من بيعها».

«إذن فهي كانت باسمها؟»

«أجل كانت ستحتفظ بالأرض إن تطلَّقنا».

قال إرلندر: «صحيح. إذاً، هناك السؤال رقم اثنين. هل تعرف رجلاً باسم تريغفي؟»

«تريغفي؟ لا».

«بالتأكيد، مضى زمن طويل منذ أن التقيتما، ولكن لابد أنك تتذكر الظروف. لديه ابن عم يُدعى سيغفالدي يعيش في الولايات المتحدة. وصديقته كانت تُدعى داغمار. إنها تمضي إجازة في فلوريدا حالياً لكنها ستعود خلال أسبوع أو نحو ذلك. سأحاول الالتقاء بها عندئذ. هل يقرع هذان الاسمان أي أجراس؟»

«نوعاً ما ... ماذا ...؟»

«هل كنت تدرس الطب معهما؟»

«أجل، إذا كنا نتحدث عن نفس الشخصين».

«هل اشتركت في تجربة على تريغفي، أُوقف خلالها قلبه لعدة دقائق؟»

«لا أعلم ما-»

«أنت وزميلك سيغفالدي وصديقته داغمار؟»

حدَّق بالدفين في إرلندر مدة طويلة دون أن يجيب.

ثم نهض واقفاً على قدميه، بما يوحي بوضوح أنه لم يعد قادراً على الجلوس في مكانه دون حراك، وقال: «لم يحدث أي شيء. كيف اكتشفت ذلك؟ ماذا تحاول أن تفعل؟ كنتُ مجرد مشاهد، كان سيغفالدي هو المسؤول. أنا ... لم يحدث أي شيء. وقفتُ هناك فقط، لم أكن حتى أعرف ذلك الشخص. هل كان اسمه تريغفي؟»

«إذن فأنت تعرف ما أشير إليه؟»

«كانت تجربة غبية. لم يكن يُراد منها إثبات أي شيء».

«لكن تريغفي مات لفترة وجيزة؟»

«لا أعرف ذلك. لقد غادرت الغرفة. تمكَّن سيغفالدي بالاحتيال من الحصول على جناح في المستشفى وذهبنا إلى هناك. ذلك الشخص تريغفي كان غريب الأطوار بعض الشيء. كان سيغفالدي يسخر منه دائماً، قبل وقت طويل من حدوث ذلك. كنتُ قد بدأت منذ فترة قصيرة دراسة الطب. سيغفالدي كان ذكياً جداً ولكن غير منضبط بعض الشيء. وما حصل كان مسؤوليته، مسؤوليته وحده. في الواقع، وربما مسؤولية داغمار أيضاً. في معظم الأوقات، لم أكن حتى مشتركاً فيما كانا يخططان له».

قال إرلندر: «لم أتحدث معهما بعد، لكنني أنوي ذلك. كيف أوقفَ سيغفالدي قلب تريغفي؟»

«خفَّض درجة حرارة جسده وأعطاه دواء ما. لا أذكر اسمه، أو ما إذا كان ما يزال موجوداً في السوق. تسبَّبَ الدواء بإبطاء قلبه تدريجياً إلى أن توقف. وقَّتَ سيغفالدي السكتة القلبية وبعد دقيقة استخدم جهاز الصدم الكهربائي. فَعَلَ فعله على الفور. بدأ قلبه ينبض من جديد».

«و؟»

«وماذا؟»

«ماذا قال تريغفي؟»

«لاشيء. لم يقل شيئاً. لم يشعر بشيء، لم يشعر بأي ألم. وصف ما حصل بأنه أشبه بنوم عميق. لا أعرف لماذا تنبش هذا الأمر. إلى أي حقبة في الماضي تنظر؟ لماذا تحقق حولي وحول حياتي بهذه الشمولية؟ فقط ماذا تظن أنني فعلت؟ هل هو أمر طبيعي أن تحقق الشرطة بهذه الطريقة في حالة انتحار؟ هل أنت تضايقني؟»

قال إرلندر، دون أن يجيب: «شيء آخر فقط، ثم سأمضي في سبيلي».

«هل أصبح هذا تحقيقاً رسمياً؟»

«لا».

«ماذا إذن؟ هل أنا بحاجة حقاً للإجابة على هذه الأسئلة؟»

«ليس تماماً. إنني أحاول فقط اكتشاف ما حدث عندما انتحرت ماريا. ما إذا حدث شيء غير طبيعي».

«غير طبيعي؟ أليس الانتحار غير طبيعي بما يكفي بالنسبة إليك؟ ماذا تريد مني؟»

«ذهبَتْ ماريا لرؤية وسيط روحاني قبل موتها. أشارت إلى الوسيط الروحاني باسم ماغدالينا. هل تعرف شيئاً حول هذا الأمر؟»

«لا، لا أعرف شيئاً عن هذا الأمر. لقد ناقشنا هذا الموضوع. لم أكن أعلم أنها ذهبت لرؤية وسيط روحاني. لا أعرف أي وسيطة روحانية باسم ماغدالينا».

«ذهبَتْ إلى وسيط روحاني لاعتقادها بأنها رأت أمها هنا في المنزل، بعد وقت طويل من وفاة ليونورا».

قال بالدفين: «ليس لدي علم بذلك. لعلها كانت أكثر قدرةً على استقبال الإشارات الماورائية من الآخرين. كانت تعتقد بأنها كانت ترى أشياء عند استيقاظها من النوم. إنه ليس أمراً غير مألوف. وليس غير طبيعي، إذا كان هذا ما ترمي إليه».

«لا، بالتأكيد لا».

تردَّد بالدفين. كان قد جلس مجدداً قبالة إرلندر. ثم قال: «ربما يتوجب علي أن أتحدث مع رؤسائك».

فقال إرلندر: «بالطبع. إذا كنت تعتقد أن هذا سيجعلك تشعر على نحو أفضل».

قال بالدفين: «إنه ... على ذكر الأشباح»، وفجأةً دفن وجهه بين بيديه، «هناك شيء لم أخبرك إياه. لعلك ستفهم ماريا بصورة أفضل إذا عرفتَ ذلك. ما فَعَلَتْه. قد يخفف هذا شكوكك. أتمنى أن تفهم أنني لم

أفعل شيئاً لها. أن ما فَعَلَتْه، فَعَلَتْه لوحدها».

ظل إرلندر صامتاً.

«إنه متعلِّق بالحادثة في ثينغفيلر».

«الحادثة؟ تقصد عندما توفي ماغنوس؟»

«أجل. ظننت بأنني لن أكون بحاجة لكشف هذا الأمر، ولكن بما أنك، فيما يبدو، تعتقد بأن شيئاً ما حصل فمن الأفضل ربما أن أخبرك. لقد وعدْتُ ماريا بأنني لن أخبر أحداً لكنني لا أحب زياراتك وأريدها أن تتوقف. لا أريدك أن تأتي إلى هنا مع إشاراتك وتلميحاتك. أريد منك أن توقف هذا الأمر وتدعنا ... تدعني أحزن على زوجتي بسلام».

قال إرلندر: «عم تتحدث؟»

«شيء أخبرتني به ماريا بعد وفاة ليونورا. حول أبيها وبحيرة ثينغفالافاتن».

«وهو؟»

أخذ بالدفين نَفَساً عميقاً ثم قال: «إن وصف ليونورا وماريا لما حدث عندما غرق كان صحيحاً في كل النقاط الرئيسية باستثناء نقطة واحدة. لعلك تحقَّقتَ من القضية، يبدو أنك غير قادر على أن تدع أياً من شؤوننا بسلام».

قال إرلندر: «أعرف شيئاً حول ذلك».

«أعرف النسخة الرسمية فقط، مثل جميع الآخرين. انحلَّت المروحة، حاول ماغنوس إصلاح المحرك فسقط من القارب، وكان الماء شديد البرودة، فغرق».

«أجل».

«في الواقع، وفقاً لماريا، إنه لم يكن لوحده في القارب. أعلم أنه لا ينبغي علي إخبارك بذلك لكنني لا أعرف طريقة أخرى للتخلص منك».

«من كان معه في القارب؟»

«ليونورا».

«أجل. ليونورا و ...»

«ومن؟»

«ماريا».

«ماريا كانت في القارب أيضاً؟»

«كان ماغنوس يخون ليونورا، كان مرتبطاً بعلاقة غير شرعية. عرفتُ أنه أخبرها في ثينغفيلر. في منزل العطلات. صُدمت ليونورا بشدة. لم تكن

لديها أدنى فكرة. وبعد ذلك ذهب ماغنوس وليونورا وماريا في القارب. لم تخبرني ماريا بما حدث هناك لكننا نعلم أن ماغنوس سقط عن القارب. وكانت النهاية سريعة جداً. لا أحد يبقى على قيد الحياة طويلاً في بحيرة ثينغفالافاتن في الخريف».

«وماريا؟»

«ماريا شهدت كل ذلك. لم تقل شيئاً عندما وصلت الشرطة، ببساطة أكَّدت قصة أن ماغنوس كان لوحده في القارب».

«ألم تخبرك بما حدث في القارب؟»

«لا. لم تشأ ذلك».

«وهل صدَّقْتَها؟»

«بالتأكيد».

«هل أثَّر ذلك عليها بشدة؟»

«أجل، طوال حياتها. لم تخبرني ماريا بذلك إلا بعد وفاة ليونورا، بعد الفترة العصيبة التي كانت فيها ليونورا ممددة هنا في المنزل».

«هل كان ذلك هو سبب عدم اقترابهما من نقوده؟ بسبب شعورهما بالذنب؟»

«كانت الأرض بلا قيمة تماماً إلى أن بدأت الضواحي حول ريكيافيك بالنمو. لقد نسيتاها كلياً إلى أن تمكَّن متعهِّد بناء كبير من اقتفاء أثرهما وقدَّم لهما عرضاً. ثلاثمائة مليون. لقد صُعقتا».

نظر بالدفين إلى صورة ماريا على الطاولة بجانبه، ثم أضاف قائلاً: «ببساطة لم تعد تحتمل. لم تكن قادرة على التحدث إلى أي شخص حول ما حدث، ونجحت ليونورا في إشراكها في ذنبها وضمنت صمتها. لم تستطع ماريا العيش لوحدها مع الحقيقة فـ ... اختارت طريقة الهرب هذه».

«تعني أن الانتحار كان مرتبطاً بمسألة أبيها؟»

«يبدو ذلك واضحاً بالنسبة لي. لم أكن سأخبرك بذلك ولكن ...»

وقف إرلندر وقال: «لن أزعجك أكثر من ذلك. هذا كافٍ اليوم».

«هل ستستخدم هذه المعلومة؟ بشأن ما حدث في ثينغفيلر؟»

«لا أرى سبباً لإعادة فتح القضية. لقد مضى زمن طويل وليونورا وماريا ميتتان».

رافق بالدفين إرلندر إلى الباب. وبعد خروجه إلى الرصيف، التفت وقال: «شيء واحد آخر. هل لديكم دوش في ثينغفيلر؟»

قال بالدفين بحيرة : «دوش؟»

«أجل، أو حوض استحمام؟»

«لدينا كليهما. دوش وحوض استحمام ساخن. أتوقع أنك تقصد حوض استحمام ساخن. إنه في الخارج على الشرفة. لماذا تسأل؟»

«لا يوجد سبب. بالتأكيد، حوض استحمام ساخن. ألا يملك الجميع واحداً في منازل عطلاتهم؟»

«إلى اللقاء».

«أجل، إلى اللقاء».

مرَّ زمن طويل لم تعانِ فيه ماريا من الهلوسات إلى أن ظهر والدها لها في الحديقة وصرخ في وجها طالباً منها التزام الحذر. لم يره أحد سواها. لم يسمعه أحد سواها يصرخ. اختفى والدها بالسرعة التي ظهر فيها ولم يكن باستطاعة ماريا بعدئذ إلا سماع عنين الريح وارتطام البوابة بالسور. دخلت إلى المنزل بسرعة وأقفلت الباب المؤدي إلى الشرفة، ورجعت إلى غرفة نومها ودفنت رأسها في الوسادة.

لقد سمعت ذلك الصوت من قبل خلال جلسة تحضير الأرواح مع أندرسون، وسمعت كلمات التحذير ذاتها، لكنها لم تعلم ما كانت تعنيه، ولماذا قيلت، وإلى أي حد ينبغي عليها أن تعيرها اهتمامها. ولم تكن تعلم ما هو الشيء الذي يُفترَض بها أن تحذر منه.

كانت ما تزال صاحية عندما عاد بالدفين في وقت متأخر من تلك الليلة وعادا إلى موضوع جلسة تحضير الأرواح مع ماغدالينا التي أخبرته ماريا عنها. وصفَتْ له اللقاء وتأثيره عليها بصورة أشمل، قائلةً إنها لم تصدِّق ما ظهر هناك فحسب، بل كانت تريد أن تؤمن به أيضاً. كانت تريد أن تؤمن بوجود حياة أخرى تلي هذه الحياة. بأن زمننا على الأرض ليس نهاية كل شيء.

قال بالدفين: «هل أخبرتُك يوماً حول شخص عرفته عندما كنت أدرس الطب؟ كان اسمه تريغفي».

فقالت ماريا: «لا».

«أراد أن يجرِّب ويكتشف إن كانت هناك حياة بعد الموت أم لا. أقنع ابن عمه، وكان طبيباً، بأن يساعده. كان قد قرأ شيئاً حول تجربة فرنسية تتعلق باختبار بلوغ حافة الموت. لقد درسنا الطب معاً. كان معنا فتاة. اشتركنا أربعتنا في التجربة».

أصغَتْ ماريا باهتمام لبالدفين بينما كان يروي لها كيف أوقفوا قلب

تريغفي، ثم أنعشوه من جديد، وكيف نجحت العملية بصورة مثالية باستثناء أن تريغفي لم يكن لديه ما يخبرهم به.

سألته ماريا: «ماذا حلَّ به؟»

أجاب بالدفين: «لا أعلم. لم أره منذ ذلك الحين».

خيَّم صمت طويل على الغرفة، التي شهدت صراع ليونورا الأخير، إلى أن قطعته ماريا بقولها: «هل تعتقد ...»

فقال بالدفين: «ماذا؟»

«هل تعتقد أنك تستطيع فعل شيء شبيه بذلك؟»

«إنه شيء ممكن تماماً».

«هل يمكنك أن تفعله لي؟ من أجلي؟»

«من أجلك؟»

«أجل، أنا ... ، لقد قرأت الكثير حول تجارب بلوغ حافة الموت».

«أعرف».

«هل التجربة خطرة؟»

«ربما. لن أقوم ...»

«هل يمكنك أن تقوم بها هنا؟ هنا في المنزل؟»

«ماريا ...»

«هل هي خطرة جداً؟»

«ماريا، لا أستطيع أن-»

«هل هي خطرة جداً؟»

«هذا ... هذا يعتمد على الظروف. هل تفكِّرين بها بجدية؟»

«لم لا؟ ماذا لدي لأخسره؟»

«هل أنت متأكدة؟»

سألته ماريا: «هل أغلقت البوابة؟»

«أجل. أغلقتها عندما دخلت».

قالت ماريا: «بدا مرعباً. مرعباً».

«من؟»

«أبي. أعرف أنه ليس سعيداً. لا يمكن أن يكون سعيداً. أعلم ذلك. لم يكن ينبغي أن يرحل بتلك الطريقة. لم يكن ينبغي أن يموت بتلك الطريقة. ما كان يجب أن يحدث ذلك أبداً».

«عم تتحدثين؟»

«أخبرني حول تريغفي هذا. ماذا حدث بالضبط؟ كيف يمكن أن تفعل

شيئاً كهذا؟ ماذا تحتاج لإنجاحه؟»

27

اتصل إرلندر مع ابنته في وقت باكر من صباح يوم أحد وسألها إن كانت تود مرافقته في نزهة بالسيارة. كان يريد قضاء ذلك النهار متجولاً حول البحيرات المحيطة بريكيافيك. كانت إيفا ليند نائمة عندما اتصل بها وقد استغرقت بعض الوقت لتفهم ما كان يقول. ورغم أنها لم تُبدِ حماسةً، إلا أن إرلندر لم يكن ليرضى عن القبول بديلاً. بالطبع، لم يكن لديها الكثير لتفعله في ذلك الأحد، كالعادة، ولم تكن ممن يرتادون الكنيسة أيضاً، ولهذا السبب رضخت في النهاية. حاول إرلندر الاتصال بسيندري سناير لكنه تلقى رسالة تقول إن هاتفه إما مقفل أو خارج التغطية. وكانت فالجردر تعمل خلال عطلة نهاية الأسبوع.

في الظروف العادية كان سيقوم بجولته وحيداً، وكان سيسعد بذلك، لكنه هذه المرة أراد صحبة إيفا -لاشك أنه سئم من وحدته، حسبما سارعت إيفا للقول خلال حديثهما على الهاتف. فابتسم إرلندر. وكان مزاج إيفا ليند أيضاً أحسن من المعتاد، رغم أن فكرتها حول الجمع بين إرلندر وهالدورا لم تصل إلى أي شيء ورغم ما بدا لها واضحاً أن حلمها بإقامة علاقة أفضل بين والديها كان مقدَّراً له الفشل.

ولم تأتِ على ذكر الموضوع أثناء خروجهما من المدينة أيضاً. كان يوماً خريفياً جميلاً، حيث الشمس كانت ما تزال منخفضة فوق جبل بلافيول، رغم أن الطقس كان ما يزال بارداً. توقف عند أحد الأكشاك ليشتري سندويتشات وسجائر لهما. كان قد أعدَّ ترمساً من القهوة قبل مغادرته المنزل، ووضع بطانية في صندوق السيارة الخلفي. خطر له لدى ابتعاده عن الكشك بأنه لم يخرج مع إيفا ليند في نزهة في يوم أحد أبداً من قبل.

بدآ بدورة صغيرة حول المدينة. كان قد درس خرائط تفصيلية لريكيافيك وجوارها، ودُهش من العدد الهائل من البحيرات الموجودة في منطقة صغيرة نسبياً. كانت تكاد تكون لا تُحصى. استهلّا جولتهما ببحيرة إليدافاتن حيث أُنشئت بجانبها ضاحية جديدة، ثم راودافاتن قبل أن يواصلا طريقهما إلى رينيسفاتن، التي أصبحت آنذاك مختفية خلف ضاحية غرافارهولت الجديدة. ومن هناك مرّا بجانب لانغافاتن وحظيا بإطلالة على عدد كبير من البحيرات الصغيرة في منطقة ميدالشيدي موور قبل أن يتابعا المسير ببطء نحو موسفيلشيدي. ألقيا نظرة على ليرفوغسفاتن بمحاذاة الطريق المفضي إلى ثينغفيلر، ومن بعدها ستيفليسدالسفاتن وميوافاتن. كان

الوقت قد تأخر عند نزولهما باتجاه ثينغفيلر قبل أن ينعطفا شمالاً ويعبرا ساندكلوفتافاتن المحاذية للطريق، إلى الشمال من هوفمانسافلوت، ويواصلان طريقهما نزولاً عبر وادي لونداريكيادالر. ترجَّلا من السيارة بجانب ليتلا-برونافاتن، على مقربة من الطريق الواصل إلى بيسكوبسبريكا.

فرش إرلندر البطانية على الأرض ومدَّا ساقيهما وراحا يلتهمان الساندويتشات التي اشتراها إرلندر من الكشك. ثم أخرج بعض البسكويت المصنوع من الشوكولاته وصبَّ لهما فنجانين من القهوة. نظر إرلندر عبر الأرض الخالية من الأشجار نحو ثينغفيلر وهوفمانافلوت أسفل جبل أرمانسفيل، حيث كان الناس في العصور الوسطى يسلُّون أنفسهم بمنافسات قتالية على صهوات الجياد. كان قد جال على عدة مكتبات بحثاً عن كتاب البحيرات الذي كان ديفيد ينوي شراءه، ولم يجد ما يطابق الوصف سوى كتاب نُشر قبل مدة قصيرة من اختفاء ديفيد وكان بعنوان «بحيرات في منطقة ريكيافيك». كان كتاباً أنيقاً، مزوّداً بصور فوتوغرافية كثيرة للبحيرات والمناطق المحيطة بها، ملتقطة في فصول مختلفة. قلَّبت إيفا ليند صفحاته متمعِّنة في الصور.

قالت بينما كانت ترشف قهوتها: «إذا كنتَ تعتقد أنها سقطت في واحدة من هذه البحيرات، فلا يمكنني أن أقول لك سوى حظاً طيباً في إيجادها».

كان إرلندر قد أخبرها حول غودرون، أو دونا، التي اختفت قبل ثلاثين عاما دون أن يعلم أحد في أي وقت بالتحديد. كما أخبرها حول ولع غودرون بالبحيرات وقال لها إنه ليس من المستبعد كثيراً ربط اختفائها بقضية شخص مفقود آخر، وهو شاب يُدعى ديفيد. أثير اهتمام إيفا ليند باحتمال أن يكون ديفيد قد التقى الفتاة قبل فترة قصيرة من اختفائه. كان إرلندر يعتقد أن ديفيد كان ينوي إهداء الكتاب لغودرون، وأن لقاءهما كان حديث العهد لدرجة أن أحداً لم يكن يعلم بذلك سوى صديق ديفيد، جيلبيرت. وظلت المعلومة المتصلة بعلاقتهما الناشئة مجهولة لسنوات طويلة إلى أن عاد جيلبيرت إلى آيسلندا من الدانمارك.

وجدت إيفا ليند نظرية والدها غير معقولة وأعلمته برأيها، فأومأ برأسه موافقاً لكنه أشار إلى تفصيل هام يربط بين هاتين القضيتين، وهو وجود معلومات قليلة يمكن الاستناد إليها. لم يكن هناك من يعرف شيئاً حول اختفاء ديفيد، وكل ما كان معلوماً حول اختفاء غودرون هو اختفاء سيارتها معها.

قال إرلندر وهو يحدق في ليتلا-برونافاتن: «ماذا لو أنهما كانا يعرفان بعضهما؟ ماذا لو أن ديفيد اشترى كتاب البحيرات من أجلها؟ ماذا لو أنهما ذهبا في تلك النزهة الأخيرة معاً؟ نحن نعلم عندما اختفى ديفيد. ووصل التقرير المتعلق باختفاء غودرون إلى الشرطة بعد ذلك بأسبوعين ونيف. لهذا السبب لم نربط بين القضيتين أبداً، لكن من المحتمل جداً أن تكون اختفت في نفس الوقت مثله».

فقالت إيفا ليند مجدداً: «إذن، حظاً جيداً في إيجادهما. لابد أن هناك ألف بحيرة تناسب غرضك إذا كنت تعتقد أنهما ذهبا في جولة على بعضها. يبدو ذلك كما لو أنك تقول فنلندا بأكملها. أليس من الأبسط افتراض أنهما سقطا بالسيارة في البحر، من فوق أحد المراسي في مكان ما؟»

«لقد مسحنا جميع المرافئ الرئيسية بحثاً عن سيارتها».

«ألا يمكن أن يكونا قد انتحرا بشكل منفصل؟»

«بلى، بالتأكيد. هذا ما فكَّرنا فيه حتى الآن. أنا ... إن الربط بينهما فكرة جديدة كلياً. وأنا مأخوذ بها نوعاً ما. لم يحدث أي تقدم في هاتين القضيتين منذ عقود، ثم وبشكل مفاجئ يتبيَّن أنها كانت مولعة بالبحيرات وأنه ذكر مسألة شراء كتاب حول البحيرات، موضوعٌ لم يحظَ بأدنى قدر من الاهتمام من قبل».

أخذ إرلندر رشفة من فنجانه ثم تابع كلامه: «وفوق كل ذلك، إن أباه يحتضر ولعله لن يحصل على أي نوع الإجابات على أسئلته. كحال أم الشاب التي توفيت مسبقاً. إنني أفكر في ذلك أيضاً. بالأجوبة. ينبغي أن يحصلا على جواب ما. لا يخرج الناس من منازلهم ويختفون بهذه البساطة. إنهم يتركون أثراً وراءهم دائماً. إلا في هاتين القضيتين. وهذا هو الشيء المشترك بينهما. ليس هناك أثر. ليس لدينا ما نستند إليه. في كلتا القضيتين».

قالت إيفا ليند وهي تستلقي على البطانية وتنظر إلى السماء: «جدتي لم تحصل على أي إجابات».

«صحيح، لم تحصل على أي إجابات».

«ومع ذلك، لم تستسلمْ أبداً. مازلتَ تبحث. تذهب إلى الشرق».

«أجل، صحيح. أنا أذهب إلى الشرق. أمشي إلى هاردسكافي وأصعد إلى قفار إسكيفيودر. إنني أخيِّم هناك أحياناً».

«لكنك لم تجد شيئاً».

«لا شيء سوى الذكريات».

«أليست كافية؟»

«لا أدري».

«هاردسكافي؟ ما هذا؟»

«إنه جبل. كانت جدتك تعتقد أن بيرغور مات هناك. لا أعرف لماذا كانت تعتقد ذلك. كان نوعاً من الحدس. لابد أنه حُمل لمسافة طويلة بالطبع إذا كان ذلك صحيحاً، لكن الريح كانت تعصف في ذلك الاتجاه وكنا كلانا نبحث عن ملجأ من الريح. كانت تذهب إلى هناك كثيراً، إلى أن ابتعدنا عن الريف».

«هل تسلقتَ الجبل؟»

«أجل، من السهل تسلقه، رغم اسمه المخيف».

«هل توقفتَ عن الذهاب إلى هناك، لاحقاً؟»

«لم أعد أتسلقه. إنني أُرضي نفسي بالنظر فقط».

تأمَّلت إيفا ليند في كلماته، ثم قالت: «بالطبع، لقد تجاوزتَ الأمر الآن».

فابتسم إرلندر.

«هل استسلمتَ إذن؟»

«آخر شيء سألَتْ عنه جدتك هو إن كنتُ وجدت أخي. كان ذلك آخر شيء خطر في ذهنها قبل أن تموت. أتساءل أحياناً إذا كانت قد وجدته ... إذا كانت قد وجدته في الحياة الأخرى. لا يعني هذا أنني أؤمن بالحياة الآخرة مطلقاً، فأنا لا أؤمن بالله أو الجحيم، لكن جدتك كانت تؤمن بكل ذلك. كان ذلك جزءاً من تنشئتها. كانت مقتنعة بأن الحياة القاسية التي نعيشها هنا على الأرض ليست البداية ولا النهاية. ولهذا السبب كانت متقبِّلة للموت وكانت تتحدث عن كون بيرغور في أيد أمينة. مع أمثاله».

قالت إيفا ليند: «العجائز يتحدثون بهذا الطريقة».

«لم تكون عجوزاً. لقد ماتت في ذروة حياتها».

«ألا يقولون إن أولئك الذين تحبهم الآلهة يموتون صغاراً؟»

نظر إرلندر إلى ابنته دون أن يجيب.

فتابعت إيفا كلامها: «لا أعتقد أن الآلهة أحبتني يوماً. أو على الأقل لا يمكنني أن أتخيّل ذلك. ولا أعلم لماذا ينبغي عليهم أن يحبونني».

«لست متأكداً مما إذا كان ينبغي على الناس أن يضعوا مصائرهم بأيد الآلهة، أياً تكن طبيعتها؟ أنت تصنعين مصيرك».

«بوسعك قول ذلك. مَنْ صنعَ مصيرك؟ ألم يأخذك أبيك إلى الجبال في طقس هائج؟ ما الذي كان يفعله بأخذ ولديه معه إلى هناك؟ هل طرحتَ على نفسك يوماً هذا السؤال؟ ألا تشعر أبداً بالغضب عندما تفكر في ذلك؟»

«لم يكن يعلم. لم يعدَّ للأمر كي نعلق في العاصفة».

«ولكن، كان باستطاعته التصرف على نحو مختلف. لو أنه فكَّر في ولديه».

«كان دائماً يحيطنا برعاية كبيرة».

سكتا كلاهما. راقب إرلندر سيارة كانت تتجه شرقاً فوق أوكساريغر ثم انعطفت نحو ثينغفيلر.

وفي النهاية قالت إيفا ليند: «كنت دائماً أكره نفسي. وأشعر بالغضب. أحياناً كنت أشعر بغضب شديد إلى درجة الانفجار. كنت غاضبة من أمي ومنك ومن المدرسة ومن التافه الذي كان يرهبني. كنت أريد أن أتحرر من نفسي. لم أكن أريد أن أكون أنا. كنت أحتقر نفسي. لقد أسأتُ لذاتي وسمحتُ للآخرين بالإساءة إلي أيضاً».

«إيفا ...»

حدَّقتْ إيفا ليند في السماء الصافية، وقالت: «لا، هذا ما كنتُ عليه. غاضبة وكارهة لذاتي. ليست توليفة جيدة. لقد فكَّرتُ في الأمر كثيراً منذ أن اكتشفتُ أن ما كنت أفعله هو النتيجة الطبيعية لشيء بدأ قبل أن أُولَد. شيء لم تكن لدي أي سيطرة عليه. في الغالب، كنتُ غاضبة منك ومن أمي. لماذا أنجبتماني؟ بماذا كنتما تفكران؟ ماذا جلبتُ للعالم؟ ما هو الإرث الذي ورثتُه؟ لاشيء سوى أخطاء شخصين لم يعرفا بعضهما أبداً ولم يريدا أن يعرفا بعضهما».

قال إرلندر: «لم يكن هذا هو إرثك الوحيد، إيفا».

«لا، ربما لا».

صمتا مجدداً.

وأخيراً قالت إيفا ليند مع نظرة إلى أبيها: «أليست نزهة يوم أحد عظيمة؟»

مرَّت سيارة أخرى بسرعة بطيئة وانعطفت باتجاه لونداريكيادالر. كان فيها زوجان مع طفلين، فتاة صغيرة سوداء الشعر لوَّحتْ لهما من مقعد الطفل في المؤخرة، لكنهما لم يلوِّحا لها بالمقابل فراقبتهما الفتاة الصغيرة، بخيبة أمل، إلى أن اختفت عن النظر.

نظر إرلندر إلى ابنته وقال: «هل تعتقدين بأنك قد تغفرين لي يوماً ما؟»

دون أن تُجيبه، واصلت التحديق في السماء واضعةً ذراعيها خلف رأسها وساقاً فوق الأخرى.

وفي النهاية، قالت: «أعرف أن الناس مسؤولون عن مصائرهم. فتاة أقوى وأذكى مني كانت ستصنع مصيراً مختلفاً لنفسها. لم تكن ستبالي بكما، وهذه هذه الإجابة الوحيدة، باعتقادي، بدلاً من أن يصل بي الأمر إلى كره ذاتي».

«لم أكن أقصد أبداً أن تكرهي ذاتك. لم أكن أعلم».

«لعل أباك لم يكن يقصد أن يفقد ابنه».

«لا. لم يكن يقصد».

كان الظلام يوشك على الحلول عندما غادرا أوكساريغير في طريقهما نحو بورغارفيوردر. لم يتوقفا عند أي بحيرة أخرى وجلسا بصمت معظم طريق عودتهما عبر نفق فالفيوردر وحول شبه جزيرة كيالارنس. وعندما توقفا بجانب بيت ابنته كان الظلام قد حلَّ تماماً.

قال لها إنه كان يوماً جميلاً بالقرب من البحيرات فأومأت برأسها مؤيدةً ثم قالت إن عليهما تكرار ذلك في المستقبل.

«إذا اختفيا في واحدة من البحيرات حول المنطقة هنا، فإن فرصتَك في إيجادهما تعادل فوزك باليانصيب».

قال إرلندر: «أعتقد أنك مصيبة».

صمتا قليلاً.

مرَّر إرلند يده على عجلة قيادة سيارته الفورد وقال: «نحن متشابهان كثيراً يا إيفا. أنت وأنا. نحن قطعتان مأخذوتان من الشيء نفسه».

قالت إيفا ليند وهي تخرج من السيارة: «أتعتقد ذلك؟»

«أجل، أخشى هذا».

ثم مضى نحو بيته، مفكِّراً في جميع القضايا غير المحلولة بينه وبين ابنته. وغطَّ في النوم على فكرة أنها لم تجبْه على سؤاله حول مسامحتها له، السؤال الذي ظل مكبوتاً بينهما طوال اليوم بينما كانا يتجولان بين البحيرات بحثاً عن أرواح ضائعة.

28

في عصر اليوم التالي، ذهب إرلندر مرة أخرى إلى المنزل الكائن في كوبافرغر وركن سيارته على مسافة حذرة منه. بما أن الأضواء لم تكن منارة في النوافذ ولم يتمكَّن من رؤية سيارة كارولينا، فقد افترضَ أنها لم تأتِ من العمل بعد، فأشعل سيجارة وجلس منتظراً بصبر. لم يكن متأكداً كيف سيستجوب المرأة. كان يعتقد بأنها كانت مرتبطة مع بالدفين بعلاقة من نوع ما، وأنهما حتماً تحدثا معاً بعد زيارته الأخيرة إلى غرافارفوغر. لعلهما عادا ليستكملا علاقتهما من حيث انفصلا عندما كانا معاً في كلية المسرح وكانت ما تزال تحلم بالنجومية. وبعد انتظار طويل، توقفت السيارة اليابانية الصغيرة أمام المنزل وخرجت كارولينا منها. أسرعت إلى داخل المنزل دون أن تنظر إلى يمينها أو شمالها، حاملةً كيساً مليئاً حتى نهايته بالخضروات. انتظر إرلندر نصف ساعة قبل أن يذهب إلى المنزل ويطرق الباب.

عندما فتحت كارولينا الباب كانت قد بدَّلت ثياب العمل بكنزة صوفية مريحة وسروال فضفاض وخفٍّ منزلي.

سألها إرلندر: «هل أنت كارولينا؟»

أجابته بفظاظة، كما لو كان بائعاً جوّالاً أزعجها: «نعم».

أخبرها إرلندر بأنه ضابط شرطة يحقق في وفاة حديثة العهد عند بحيرة ثينغفالافاتن.

«وفاة؟»

قال إرلندر: «امرأة قتلت نفسها بالقرب من ثينغفالافاتن. هل يمكنني الدخول للحظة؟»

«ما علاقة ذلك بي؟»

كان شعرها قصيراً داكناً يعلو جبهة محدَّبة وحاجبين مقوَّسين بدقة وعينين زرقاوين غامقتين. وكانت بطول إرلندر وتبدو من ثيابها الفضفاضة أنها نحيلة مع رقبة طويلة وجسد جذاب. لكن شيئاً من العناد أو التصلُّب غير المشجِّع كان ظاهراً على ملامح وجهها. فكَّر إرلندر في أن بوسعه إدراك ما كان بالدفين يراه فيها لكنه لم يكن يملك الوقت للتركيز على الفكرة، فسؤال كارولينا كان ينتظر إجابة.

فقال: «أنت تعرفين زوجها. اسم المرأة ماريا. كانت متزوجة من رجل يُدعى بالدفين. عرفتُ أنكما خرجتما معاً عندما كنتما في كلية المسرح».

«وماذا يعني ذلك؟»

«أردتُ فقط أن أتحدث معك قليلاً حول الأمر».

ألقت كارولينا نظرة سريعة إلى منزل جيرانها على الطريق، ثم نظرت إلى إرلندر قالت إنهما قد يشعران بالراحة أكثر في الداخل. كان المنزل يتألف من طابق واحد مقسَّم إلى غرفة جلوس وغرفة طعام مع مطبخ مجاور وغرفة غسيل، وغرفتين على الجهة اليسرى عند دخول المرء من الباب الرئيسي. وكان مفروشاً بأثاث أنيق، وجدرانه مزيّنة بالصور، وتفوح منه روائح طبخ آيسلندي ومستحضرات تجميل وأملاح استحمام معطَّرة، وكلها مركَّزة حول غرفة الغسيل والغرفتين الأخريين. بدت إحداهما بأنها غرفة كراكيب، أما الأخرى فكانت غرفة نوم كارولينا. لمح إرلند من خلال الباب المفتوح سريراً كبيراً بجانب أحد الجدران، وطاولة تبرُّج مع مرآة ضخمة، وخزانة كبيرة وصندوقاً ذا أدراج.

أسرعت كارولينا إلى المطبخ وأخرجت قدْراً من الفرن. كان واضحاً أن إرلندر جاء في منتصف طهوها. كان المنزل عبقاً برائحة غنية من المطبخ. قال إرلندر في داخله، حَمَل مشوي.

لدى عودتها من المطبخ، قالت كارولينا: «كنت أعدُّ القهوة. هل يمكنني أن أقدم لك فنجاناً؟»

قَبِل إرلندر، فالقاعدة تقول إذا عُرضت القهوة فعليك أن تقبل دائماً. تعلَّمَتْ إلينبورغ هذه القاعدة بسرعة، أما سيغوردر أولي فكان ما يزال غير قادر على فهم الفكرة.

جاءت كارولينا حاملةً فنجانين من القهوة الساخنة الخالية من السكر، كما يشربها إرلندر.

«التقينا أنا وبالدفين في كلية المسرح في صف يوهانز العجوز. يا إلهي، كان كريهاً جداً. يوهانز، أقصد. وممثلاً رديئاً. على أي حال، انفصلنا أنا وبالدفين عندما ترك التمثيل وذهب لدراسة الطب. هل يمكنني أن أسأل لماذا تحقق بشأنه؟»

«إنني لا أحقق بشأنه. لكنني سمعت -كما تعلمين، الناس يثرثرون- بأنكما كنتما تعرفان بعضكما من قبل وربما حتى جددتما معرفتكما مؤخراً».

«أين سمعت ذلك؟»

«لقد نسيت. سوف أضطر للبحث عن ذلك».

ابتسمتْ كارولينا وقالت: «هل هذا يخصك؟»

«حقاً لا أعرف بعد».

فقالت: «لقد أخبرني بأنك قد تأتي».

«بالدفين؟»

«لقد ربطنا الخيط مجدداً بالفعل، أنت محق. لا حاجة لإخفاء هذه الحقيقة. أخبرته بذلك وهو وافقني. بدأتْ ثانيةً منذ نحو خمس سنوات. التقينا في اجتماع لم شمل المتخرِّجين من كلية المسرح. لقد حضر بالدفين رغم أنه لم يتخرَّج معنا. قال إنه سئم من العجوز -يعني ليونورا، والدة ماريا. كانت تعيش معهما».

«لماذا لم ينهِ زواجه وينتقل للعيش معك حينئذ؟»

«كان سيفعل ذلك. كنت قد سئمتُ من الوضع لدرجة أنني أعطيته مهلة نهائية. ولكن، بعد ذلك، وقعَتْ تلك العاهرة ليونورا في المرض ولم يستطع حمل نفسه على فعل ذلك بماريا. أراد الوقوف بجانبها في محنتها وهذا ما فعله. كانت خشيتي الرئيسية تكمن في إمكانية تحسُّن علاقتهما بعد وفاة العاهرة العجوز وفي الحقيقة، لقد توقّف بالفعل عن المجيء لرؤيتي. لم يكن يهتم بأي إنسان سوى ماريا. لكنه سرعان ما تجاوز ذلك».

«هل كان بالدفين ينعت ليونورا بهذه الطريقة؟ بأنها عاهرة؟»

«لم يكن قادراً على تحمُّلها أكثر من ذلك. لقد ساء الوضع بمرور السنين. لربما يتوجّب علي أن أكون ممتنة لها، إذا كنتُ لئيمة. كان يريدها أن تخرج من المنزل ولكن لسبب ما لم تكن ماريا ترضى بذلك».

«ألم يرزق ماريا وبالدفين بأي أطفال؟»

قالت كارولينا بصراحة: «بالدفين لا يستطيع وماريا لم تكن مهتمة».

«متى تفكران بجعل علاقتكما رسمية؟»

«تبدو مثل كاهن ريفي».

«آسف، لم أقصد أن ...»

قالت كارولينا: «بالدفين رجل يراعي شعور الآخرين. يريد أن ينتظر سنة كاملة. قلت له إنه يبالغ في ذلك قليلاً لكنه لن يغيِّر رأيه. ليس قبل مرور سنة كحد أدنى، هذا ما يقوله».

«لكنك لستِ سعيدة بذلك؟»

«أوه، أنا أفهمه جيداً. إنها مأساة بالتأكيد. لسنا بحاجة للعجلة».

«هل كانت ماريا تعلم بعلاقتكما؟»

«هل يمكنني أن أسأل حول ماذا تحقق؟ عم تبحث؟ هل تعتقد أن بالدفين فعل شيئاً ما لها؟»

«هل هذا ما تظنينه؟»

«مستحيل. لم يكن ليقدر على فعل ذلك. إنه طبيب، بحق المسيح! ما الذي يجعلك تعتقد أنه لم يكن انتحاراً؟»

«إنني لا أعتقد ذلك».

«هل هي دراسة سويدية أم ...؟»

«لقد سمعتِ بذلك؟»

«سمع بالدفين شيئاً ما. ليس لدينا أي فكرة عما يجري».

«أقوم فقط بجمع معلومات كي نقفل القضية. هل سمعتِ أنه ورث ثلاثمائة مليون من زوجته؟»

«لم أكتشف إلا مؤخراً. أخبَرَني منذ عدة أيام. ألم تأتِ من صفقة حول قطعة أرض قام بها والدها؟»

«أجل، كان يملك قطعة أرض صغيرة في كوبافوغر ارتفعت قيمتها بشكل كبير جداً. بالدفين هو المستفيد الوحيد».

«أجل، لقد ذكر شيئاً حول ذلك. لا أعتقد أنه كان يعلم شيئاً عنها إلا منذ مدة قصيرة . أو على الأقل هذا ما أخبرني به».

قال إرلندر: «سمعتُ أن المال جاء في الوقت المناسب».

«حقاً؟»

«إنه مديون بشكل جدي جداً».

«لم يكن بالدفين محظوظاً في بعض الأسهم التي اشتراها، هذا كل ما أعرفه. استثمار سيئ الحظ في شركة إنشاء أفلسَتْ، إضافة إلى الديون التي ما تزال باقية من العيادة التي لم تنجح. نحن لا نتحدث كثيراً حول هذه الأشياء. على الأقل، لم نفعل حتى الآن».

قال إرلندر: «لقد توقفتِ عن التمثيل، أليس كذلك؟»

«أجل، نوعاً ما».

«هل يمكنني أن أسأل لماذا؟»

«شاركتُ في بضع مسرحيات. ليست كبيرة جداً، ولكن ...»

«لسوء الحظ، نادراً ما أذهب إلى المسرح».

«شعرتُ فقط بأنني لم أكن أحصل على أدوار جيدة بما يكفي. على المسارح الكبيرة، أقصد. وبالطبع المنافسة قاسية حقاً. إنه عالم عديم الرحمة. إنك تجد ذلك مباشرة في كلية المسرح. والعمر لا يساعد أيضاً. ممثلة متوسطة العمر مثلي غير مطلوبة كثيراً. حصلتُ على عمل جيد في شركة مالية لكن الأدوار الصغيرة ما تزال تصادفني عندما يتذكّرني مخرج ما».

«عرفتُ أن دورك الأكبر كان شخصية ماغدالينا في تلك المسرحية

السويدية، أياً يكن اسمها ...» ادّعى إرلندر أنه لم يتذكَّر العنوان.

«من أخبرك بذلك؟ شخص تذكَّرني؟»

«أجل. في الواقع، إنها امرأة أعرفها تُدعى فالجردر. إنها ترتاد المسرح بشكل دائم».

«وهي تذكَّرتني؟»

أومأ إرلندر برأسه دلالةً على الإيجاب، مدركاً بأنه لم يعد بحاجة للقلق بشأن الاضطرار للإجابة على أي سؤال محرج حول سبب مناقشته أمر كارولينا مع أشخاص آخرين. بدت كما لو أنها اعتبرت الأمر على أنه اعتراف بها، بصرف النظر عن الظروف. تذكَّر ما قاله أستاذ المسرح حول طموح كارولينا، الشهرة التي كانت تحلم بتحقيقها.

قالت كارولينا: «شعلة الأمل. كانت مسرحية جيدة بحق وأنت مصيب، كان دوري الأكبر. عندما بلغتُ الذروة، كما يقولون»، ابتسمَتْ، «لكن النقاد لم يكونوا معجبين بها كثيراً، حيث اعتبروها واحدة من المسرحيات القديمة التي تتناول المشكلات العائلية، والتي لم تعد رائجة. قد يكونوا في بعض الأحيان أنذالاً حقيقيين. إنهم لا يعرفون عم يتحدثون في نصف المناسبات».

قال إرلندر: «ظنَّت صديقتي أنها خلطتْه مع دور آخر، شخصية أخرى تُدعى ماغدالينا».

«حقاً؟»

قال إرلندر: «وسيطة روحانية أو صاحبة قدرات فوق-طبيعية».

دقَّق إرلندر محاولاً اكتشاف أي رد فعل من كارولينا لكنها بدت كما لو أنها لم تلاحظ شيئاً. فقال في نفسه، إما إنه كان يقشر لحاء الشجرة الخطأ أو أنها كانت ممثلة أفضل مما كان الناس يعتقدون.

قالت كارولينا: «لا علم لي به».

«لا أذكر ما قالتْه حول اسم المسرحية. قد يكون المزيَّف أو شيئاً شبيهاً به».

ترددت كارولينا قليلاً، ثم قالت: لم أسمع بها أبداً. هل كانت على المسرح الوطني؟»

«لا أدري. على أي حال، ماغدالينا هذه كانت تؤمن بعالم الأرواح، كانت تؤمن بأنه حقيقي كما نحن هنا في هذه الغرفة».

«أوه».

«وماريا كانت تعتقد بشيء من هذا القبيل. لاشك أن بالدفين أخبرك بذلك».

«لا أذكر أنه أتى على ذكر هذا الأمر أمامي. إنني لا أؤمن بالأشباح».

«لا، ولا أنا. ألم يخبرك بأنها بحثت عن مساعدة من وسطاء روحانيين؟»

«لا، لم أعلم بذلك. لا أعرف الكثير حول ماريا، بصدق. بالدفين وأنا لم نكن نضيِّع وقتنا في التحدث حولها عندما كنا نتقابل. كان لدينا أشياء أخرى لنفعلها».

«أنا متأكد من ذلك».

«هل كان هناك شيء آخر؟»

«لا، شكراً. هذا كل شيء في الوقت الحالي».

29

لم يجد إرلندر صعوبة في العثور على المرأة التي ارتبطت بعلاقة غير شرعية مع ماغنوس في الفترة التي سبقت وفاته. لقد أخبرته كريستين باسمها فوجد عنوانها في دليل الهواتف. حاول التحدث معها على الهاتف لكنها ما إن عرفت ما كان يريد حتى رفضت مواصلة الحديث، فترك الأمور على حالها حينئذ. وفي وقت لاحق، استأنف هجومه من خلال إخبارها بأن معلومات جديدة ظهرت حول الحادثة التي فقد فيها ماغنوس حياته في بحيرة ثينغفالافاتن.

فقالت على الهاتف: «مع من تحدَّثت؟»

قال إرلندر: «حصلت على اسمك من كريستين، شقيقة ماغنوس».

«ماذا قالت عني؟»

«في الحقيقة، كان عنك أنتِ وماغنوس».

تلا هذه الكلمات صمت طويل، قبل أن تقول المرأة في النهاية: «أعتقد أن من الأفضل لك أن تأتي». كان اسمها سولفيغ وكانت متزوجة ولديها ولدان ناضجان. «إنني في المنزل خلال النهار طوال هذا الأسبوع».

عندما زارها إرلندر، وجدها حذرة إلى حد بعيد ومتلهفة لإزالة المسألة من الطريق بأسرع وقت ممكن. ومن شدة توترها، ظلّت واقفة في مدخل منزلها دون أن تدعوه للدخول.

قالت: «لا أدري ماذا يمكنني أن أقول لك. لا أعلم لماذا جئت إلى هنا. ما هي المعلومات الجديدة التي تتحدث عنها؟»

«إنها تتعلق بكِ أنتِ وماغنوس».

«أجل، لقد أخبرتَني بذلك على الهاتف».

«وعلاقتكما».

«هل أخبرتْك كريستين بذلك؟»

أومأ إرلندر برأسه دلالة على الإيجاب، ثم قال: «انتحرتْ ابنته مؤخراً».

«سمعتُ بذلك».

كانت لطيفة الملامح، وذات وجه جميل، وترتدي ثياباً أنيقة، وتعيش في منزل ذي شرفة في ضاحية فوسفوغر. وكانت تعمل كممرضة وكانت مناوبتها ليلية في ذلك الأسبوع.

بعد لحظات من الصمت، قالت: «لعل من الأفضل لك أن تدخل

لبعض الوقت». ثم قادته إلى غرفة الجلوس حيث جلس إرلندر على الأريكة دون أن يخلع معطفه.

قالت مع تنهيدة: «لا أعلم ماذا يمكنني أن أخبرك. طوال هذه السنين لم يسأل أحد ماذا حصل. ثم تنتحر البنت المسكينة فتبدأ أنت بطرح أسئلة لم تُطرَح أبداً من قبل ولا أحد ينبغي أن يطرحها».

«ربما كانت تلك هي المشكلة. مشكلة ماريا. هل خطر ذلك في ذهنك يوماً؟»

«هل خطر في ذهني؟ ماذا تظن؟ كانت ليونورا تعتني بماريا. لم يُسمَح لأحد بالاقتراب منها».

قال إرلندر: «لقد خرجوا في القارب معاً، ماغنوس وليونورا وماريا».

«اكتشفتَ ذلك إذن؟»

«أجل».

قالت سولفيغ مؤكدةً: «ثلاثتهم كانوا في القارب».

«ماذا حدث؟»

«لقد أمضيتُ الكثير من الوقت في التفكير بالأمر برمته. علاقتي مع ماغنوس. كنا سنخبر ليونورا بالأمر في ثينغفيلر. كنا سنكشف الأمر لها بألطف طريقة ممكنة. أراد ماغنوس أن أذهب معه، ولكن، أنا وليونورا كنا صديقتين مقرَّبتين ولهذا لم أستطع حمل نفسي على فعل ذلك. لربما كانت الأمور ستسير بشكل مختلف لو كنتُ هناك».

نظرَتْ سولفيغ إلى إرلندر، وأضافت قائلةً: «بالطبع، أنت تعتقد أنني حقيرة تماماً».

«إنني لا أعتقد أي شيء».

«كانت ليونورا متسيِّدة دائماً. متسلِّطة حقاً. كانت مسيطرة كلياً على ماغنوس. كانت توبخه بقسوة إن لم تسرْ الأمور على هواها، حتى في وجود أناس آخرين. فلجأ ماغنوس إلي. كان رجلاً طيباً. بدأنا نلتقي سراً. لا أعلم ماذا حصل لكننا وقعنا في الحب. لعلي شعرت بالأسى لأجله في البداية. كنا نريد العيش معاً، لذا أردنا أن تتفهم ليونورا ذلك. لم أكن أريد أن أتورط في علاقة سرية، من وراء ظهرها، والاشتراك في نوع من المؤامرة ضدها. أردتُ أن تكون الأمور معلنة. لم يكن بوسعي أن أتحمَّل ... لم يكن بوسعي أن أتحمَّل السرية. كان يريد تأجيل إبلاغها لكنني ضغطت عليه. واتفقنا على أن يخبرها الحقيقة في عطلة نهاية الأسبوع تلك في ثينغفيلر».

«ألم تشك ليونورا بأي شيء؟»

«لا. لم تشك على الإطلاق. كانت ليونورا هكذا. كانت تثق في الناس. أنا خنت ثقتها. وكذلك ماغنوس».

«ألم تقابلي ليونورا أبداً بعد الحادثة؟»

أغمضتْ سولفيغ عينيها، ثم قالت: «هل ستساعدك معرفة ذلك؟ لقد حُقِّق في القضية حينئذ. كان الأمر واضحاً تماماً. لم يطرح أحد أي سؤال منذ ذلك الحين. إذا كان ينبغي على شخص ما فعل فهي أنا لكنني لم أفعل».

«هل قابلتِ ليونورا؟»

«أجل. مرة واحدة. كان ذلك فظيعاً. مخيفاً. حدث ذلك بعد مضي بعض الوقت من جنازة ماغنوس. لم أكن أعلم أنه أخبرها بشأننا قبل وفاته، وفي الجنازة حاولتُ الادعاء أنه لم يحصل أي شيء. لكنني لاحظت على الفور أن ليونورا لم تنظر إلي. لم تتحدث معي. تظاهَرَتْ بأنني غير موجودة. عرفتُ حينئذ بأن ماغنوس أخبرها».

«هل أرادت أن تراك أم ...»

«أجل. اتصلتْ بي وطلبت مني المجيء ورؤيتها في غرافارفوغر. حيَّتني ببرود شديد».

سكتتْ سولفيغ. أحسَّ إرلندر بعدم ارتياحها لنَكْء تلك الجراح القديمة، فانتظرها بصبر.

«أخبرتْني ليونورا بأن ماريا كانت في المدرسة وأنها تريدني أن أعلم بما حدث عند البحيرة بالضبط. أخبرتها بأنني لم أكن بحاجة لأعرف أي شيء لكنها ضحكت وقالت إنني لن أنجو بهذه السهولة. لم أعرف ماذا كانت تقصد بذلك».

قالت ليونورا: «أخبرني ماغنوس بشأنكما. أخبرني بأنكما كنتما ستعيشان معاً وأنه كان يريد أن يتركني».

فقالت سولفيغ: «ليونورا، أنا-»

قالت ليونورا دون أن ترفع صوتها: «اخرسي. سوف أخبرك بما حصل. ولكن، هناك شيئان يجب أن تفهميهما. يجب أن تفهمي أنني كنت مضطرة لحماية الفتاة ويجب أن تفهمي أنه كان ذنبك أيضاً. ذنبك وذنب ماغنوس. أنتما من تسبَّب بذلك لنا».

لم تقل سولفيغ شيئاً، فسألتها ليونورا: «بماذا كنت تفكرين؟»

«لم أقصد إيذاءك».

«إيذائي؟ أنت لا تعرفين ماذا فعلتِ».

قالت سولفيغ: «كان ماغنوس تعيساً. لهذا السبب لجأ إلي. كان تعيساً».

«هذا كذب. لم يكن تعيساً. أنتِ سرقته مني. لقد أغويته».

صمتت سولفيغ لعدة لحظات قبل أن تقول بهدوء: «لا أريد أن أتشاجر معك».

قالت ليونورا: «لا، ما حدث حدث. لا أحد يمكنه تغيير ذلك الآن. لكنني لا أريد أن أحمل العبء لوحدي. أنت مسؤولة أيضاً. وكذلك ماغنوس. كلاكما مسؤولان».

«لا أحد مسؤول عن حادثة كتلك. لقد سقط عن القارب. كان حادثاً».

رسمتْ ليونورا ابتسامة خفيفة غير مفهومة. كان المنزل مظلماً وبارداً ولم تكن ليونورا تبدو في حالتها الطبيعية. تساءلتْ سولفيغ إن كانت تشرب الكحول أو تحت تأثير دواء قوي.

قالت ليونورا: «إنه لم يسقط».

«ماذا تقصدين؟»

«لم يسقط».

«ولكن ... قرأتُ ذلك في الصحف ...»

«أجل، هذا ما قيل في الصحف. لكنها كانت كذبة؟»

«كذبة؟»

«من أجل ماريا؟»

«إنني لا أفهمك».

«لماذا كنت تريدين أن تأخذيه مني؟ لماذا لم يكن بوسعك أن تتركيه وشأنه؟»

«هو جاء إلي يا ليونورا. ما هي الكذبة التي اضطُّررتِ لإخبارها من أجل ماريا؟»

«ألا تفهمين؟ كنا مع ماغنوس في القارب. كانت ماريا معنا».

«معكما ...؟ ولكن ... كان ماغنوس وحيداً في القارب. قيل ذلك في جميع الصحف».

قالت ليونورا: «كانت كذبة. كذبتي أنا. كنتُ معه وكذلك ماريا».

«لماذا ... لماذا كنت بحاجة للكذب ...؟ لماذا ...؟»

«سوف أخبرك. ماغنوس لم يسقط عن القارب».

«ماذا إذن؟»

فقالت ليونورا: «أنا دفعته. دفعتُه ففقد توازنه».

سادت فترة طويلة من الصمت قبل أن تتحدث سولفيغ مجدداً. أصغى إرلندر لقصتها دون أن يتكلم، شاعراً باستيائها مما حدث.

ثم قالت: «كانت ليونورا هي التي دفعت ماغنوس ولهذا سقط في الماء. راقبتاه وهو يغرق. لقد أخبر ماغنوس ليونورا عني. تشاجرا بحدة في ذلك الصباح. ماريا لم تكن تعلم وطلبَتْ منهما الخروج في القارب معها. كان ماغنوس غاضباً حقاً. بدآ التشاجر من جديد. ثم تعطَّل المحرك فجأةً. تشاجرا بشكل أشد عنفاً. ثم وقف ماغنوس ليلقي نظرة إلى المحرك. دفعتْه ليونورا عنها وكل ذلك حدث في ومضة ... سقط عن القارب».

نظرتْ ليونورا إلى سولفيغ بصمت.

سألتها سولفيغ: «ألم يكن باستطاعتك إنقاذه؟»

«لم يكن هناك ما يمكننا فعله. كان القارب يهتز بشكل غير قابل للسيطرة وكل ما كان باستطاعتنا فعله هو منع أنفسنا من السقوط في الماء. ابتعد القارب عن ماغنوس وعندما تمكّنا من السيطرة عليه كان ماغنوس قد اختفى».

«أوه يا إلهي».

قالت ليونورا: «أرأيتِ ماذا فعلْتِ؟»

«أنا؟»

«الفتاة مكتئبة بشدة لدرجة أنها غير قابلة للمواساة. إنها تلوم نفسها على ما حصل لأبيها. على الشجار. على الأمر كله. إنها مسكونة بكل ما حدث. تتخيَّل أنها مسؤولة بطريقة ما عن موت أبيها. كيف يجعلها هذا تشعر برأيك؟ كيف تشعر برأيك؟ كيف أشعر أنا؟»

«يجب عليك أن تتحدثي مع طبيب، أخصائي. إنها بحاجة للمساعدة».

«سوف أعتني بماريا. وإذا أخبرْتِ أحد بذلك فسأنكر الأمر كله».

لماذا أخبرتني إذن؟»

«لن تفلتي بدون عواقب. أريدك أن تعرفي ذلك. أنت مسؤولة مثلي!»

حدَّق إرلندر في سولفيغ مدة طويلة دون أن يتفوّه بكلمة بعد انتهاء قصتها.

وفي النهاية سألها: «لماذا لم تذهبي للشرطة؟ ما الذي منعك؟»

«شعرُت ... شعرتُ كما لو أنني أتحمَّل جزءاً من المسؤولية، كما قالت ليونورا. عما حصل. لقد سارعَتْ لتوجيه إصبع الاتهام إلي. قالت لي بحدة: ُإنه ذنبك. إنه ذنبك. كل ما حصل. أنت الملامة'. كان كل غضبها موجهاً إلي. لقد شُلَّ عقلي بالخوف والحزن وبنوع غريب من القلق على ليونورا. كان الأمر برمته أكبر من قدرتي على الاحتمال، أكبر بكثير. كانت صدمة فظيعة. لم أكن مستعدة نهائياً. إضافة إلى ذلك، هناك الفتاة الصغيرة المسكينة ماريا. لم أستطع حمل نفسي على إخبار الحقيقة حول أمها. لم يكن باستطاعتي فعل ذلك. إنها ...»

«ماذا؟»

«كان الأمر غريباً جداً لدرجة أنني بالكاد صدَّقته، بالكاد صدَّقت أنه حدث».

سألها إرلندر: «هل كنتِ تريدين حماية الفتاة؟»

«أرجو أن تفهم موقفي. لم أكن أريد معاقبة أحد. كان حادثاً، كيفما نظرت َإليه. لم يخطر في ذهني أن أشك فيما قالته ليونورا. أخبرتني بأنها لن تدع ماريا تغيب عنها إلا عندما تكون في المدرسة».

قال إرلندر: «لا يمكن أن يكون أمراً ساراً العيش مع هذه المعرفة».

«لا، أنت محق، لم تكن سارّة. تخيَّل إذن كيف كانت بالنسبة لهما، وخصوصاً ماريا. عندما سمعتُ أنها أقدمت على الانتحار ... بشكل ما لم يفاجئني ذلك. لقد لمْت نفسي على السماح بحدوث ذلك. على السماح لليونورا بالإفلات بما فَعَلتْه. بالإفلات دون إخبار أحد بذلك».

«على ماذا كانا يتشاجران في القارب؟»

«قال ماغنوس إنه سيتركها بصرف النظر عما تقول. هذا ما أخبرَتْني به. لقد سئم من طريقة معاملتها له، ولم يعد قادراً على تحمُّلها مدة أطول، وقال إن كل ما بقي لهما للاتفاق حوله هو الوصاية على ماريا. قالت ليونورا إنها ستعمل كي لا يتمكَّن أبداً من رؤية الفتاة. وإن عليه أن ينسى الأمر. تشاجرا حول ماريا أمامها مباشرةً. لاعجب أنها كانت تعتقد بأن ما حدث كان ذنبها».

«هل قابلتِ ليونورا أو ماريا بعد ذلك؟»

«لا. أبداً. ولا واحدة منهما».

«لم يكن هناك أي شهود؟»

«لا. كانوا لوحدهم تماماً عند البحيرة».

«لا زوّار؟»

«لا».

«أو سوَّاح؟»

«لا. لا سوَّاح. كان ذلك في الأسبوع السابق، عندما كنتُ وماغنوس لوحدنا في منزل العطلات. استخدمناه مرتين، حسبما أذكر، للقاء سرّاً. في تلك المرة، صادفَ امرأة أخبرني عنها لاحقاً لأنها كانت تدرس البحيرات حول المدينة؛ كانت مولعة بالبحيرات. كان ذلك بجانب المنزل تماماً. كانت تبحث عن خريطة وكانت في طريقها إلى بحيرة ساندكلوفتافاتن. لقد علقَتْ بذهني لأنني لم أسمع بالاسم أبداً من قبل».

«هل كانت في سيارة؟»

«أجل، أعتقد ذلك».

«ما نوع السيارة؟»

«كانت صفراء».

«صفراء؟ هل أنت متأكدة؟»

«أجل. كانت تلك السيارات تُدعى ميني شيئاً ما، أليس كذلك؟ رأيتها تسير عبر الأرض العشبية».

سألها إرلندر: «وأنت متأكدة بأن من كان يقود هذه السيارة هي المرأة التي قابلها ماغنوس؟» كان قد أصبح عند طرف مقعده حينئذ.

«أظن ذلك. كانت بجانب المنزل تماماً».

«ميني؟ هل تقصدين أوستن ميني؟»

«أجل، بالفعل، أليس كذلك؟ سيارات صغيرة».

«أوستن ميني صغيرة؟»

«أجل، لماذا؟»

وقف إرلندر وقال: «في طريقها إلى ساندكلوفتافاتن؟»

«أجل. يا إلهي، ما الأمر؟»

«هل كان هناك أحد معها؟»

«لا أدري. ما الأمر؟ ماذا قلتُ؟»

«هل يمكن أن يكون هناك شاب معها؟»

«لا أدري. من هذان الشخصان؟ هل تعرفهما؟ هل تعرف من هما؟»

«لا. ربما. لا، ليس تماماً. هل قلتِ بحيرة ساندكلوفتافاتن؟»

«أجل، ساندكلوفتافاتن».

30

لقد مرَّ بجانب بحيرة ساندكلوفتافاتن مع إيفا ليند دون أن يعيرها أي اهتمام خاص. كانت تبعد مسافة ساعة تقريباً بالسيارة عن ريكيافيك، بجانب الطريق شمال ثينغفيلر تماماً، بين جبليْ أرمانستيل ولاغافيل، قبل الصعود إلى بلاسكوغاهيدي موور. كانت محجوبة بواسطة قمة جبل سكيالدبريدور من الجهة الشمالية الشرقية.

كان الغطاس، ويُدعى ثوربيرغور، يعرف البحيرات الواقعة في المنطقة الجنوبية الغربية من آيسلندا، لأنه استكشف الكثير منها. كان في الماضي يعمل لصالح فرقة مكافحة الحرائق وساعد الشرطة في قضايا التهريب، إضافة إلى الغطس في أحواض البلد بحثاً عن أشخاص مفقودين. كان يمكن الاعتماد عليه عند التبليغ عن فقدان شخص ما وتنظيم فرق بحث لتمشيط الشواطئ ومسح قيعان البحر والبحيرات. لكنه تقاعد من الغطس كمهنة وأصبح ميكانيكياً، وفتح كاراجاً خاصاً به. كان إرلندر في بعض الأحيان يأخذ سيارته الفورد إليه من أجل صيانتها. كان ثوربيرغور يبلغ من الطول 196 سم، وكان دائماً يذكِّر إرلندر بأحد العمالقة، بشعره الأحمر ولحيته الحمراء، وذراعيه الطويلتين كذراعي سبّاح، وأسنانه القوية التي كانت كثيراً ما تلمع من خلال لحيته لطبيعته المرحة وكثرة ابتسامه.

قال ثوربيرغور: «لديك غطاسون يعملون لصالحكم. لماذا لا تذهب إلى واحد منهم؟ لقد استقلت. أنت تعرف ذلك».

قال إرلندر: «أجل، أعرف. فكَّرت في التحدث معك لأنك ... لأنك مازلت تملك المعدات، أليس كذلك؟»

«بلى».

«والقارب المطاطي القابل للنفخ؟»

«أجل. الصغير».

«ومازلت تغطس في بعض الأحيان، رغم أنك توقفت عن العمل معنا؟»

«على فترات متباعدة جداً».

قال إرلندر، مفسِّراً: «هذا ليس -كيف سأعبِّر عن الأمر- ليس تحقيقاً رسمياً. إنه أقرب إلى موقع غطس خاص. سأدفع لك من جيبي إن تكبَّدت عناء القيام بذلك».

«إرلندر، لا يمكنني أن أقبض منك نقوداً».

كان إرلندر يعلم لماذا توقف ثوربيرغور عن العمل لصالح الشرطة. جاءت القشة الأخيرة ذات يوم عندما غطس بحثاً عن جثة امرأة وُجدت في ميناء ريكيافيك. كان قد مضى على فقدانها ثلاثة أسابيع وكان جسدها متفسخاً بشدة عندما وجدها ثوربيرغور. لهذا السبب، لم يكن يرغب برؤية مثل هذه المناظر المرعبة مجدداً. لم يكن يريد أن يصحوا في منتصف الليل لاهثاً لأن المرأة، أو أي شخصية مرعبة مثلها، لا تتوقف عن غزو أحلامه.

قال إرلندر: «إنها قضية شخص مفقود قديمة. منذ زمن طويل جداً. تتعلق بشابَّيْن ربما. ظهر شيء جديد البارحة بعد عقود من الجمود. في الحقيقة، إنها تستند إلى معلومات قليلة جداً لكنني شعرت بأنه ينبغي علي التحدث معك على الأقل. من أجل ضميري».

قال ثوربيرغور: «بكلمات أخرى، تريد أن تحوِّل الذنب إلي».

«لم أستطع التفكير في أي شخص سواك. لا أعرف من هو أفضل منك للمهمة».

«أنت تعرف أنني استقلت، كما أخبرتك للتو. الشيء الوحيد الذي أتفحصه الآن هو المحركات».

قال إرلندر: «أفهم ذلك تماماً. كنت سأستقيل أنا أيضاً لو أنني دُرِّبت على أي شيء آخر».

«ما هو الشيء الجديد الذي ظهر؟»

«في القضية؟»

«أجل».

«لقد تعاملنا معها دائماً على أنها قضيتي شخصين مفقودين منفصلين، ولكن ثمة احتمال أنهما كانا معاً عندما اختفيا. شاب في سنته الأخيرة في المدرسة التكميلية وشابة، أكبر منه بقليل، كانت تدرس علم الأحياء في الجامعة. ليس هناك شيء يربط بينهما حقاً ولكن لم يحالفنا الحظ في العثور عليهما بشكل منفصل أيضاً. ظلّت القضية خاملة لعقود حتى وقت قريب. والبارحة علمتُ أن الفتاة، وكان اسمها غودرون أو دونا، يُحتمَل أن تكون شوهدت في ثينغفيلر في طريقها إلى بحيرة ساندكلوفتافاتن. تحققتُ من التواريخ صباح اليوم. بالطبع، إنهما لا يتوافقان. قد تكون الفتاة شوهدت في ثينغفيلر في أواخر الخريف. كانت ربما لوحدها في ذلك الحين. لم يختفِ الشابان إلا بعد عدة أشهر. بُلِّغ عن اختفاء الشاب في نهاية شباط 1976 في حين وصلنا بلاغ اختفاء الفتاة في منتصف آذار من ذلك العام. ومنذ ذلك الحين، لم يُسمَع أي شيء منهما، وهو أمر غير عادي

بحد ذاته؛ أن لا تترك حادثتان حصلتا في وقتين غير متباعدين كثيراً أي أثر على الإطلاق. في العادة يكون هناك أثر في مكان ما. ولكن، لم يُعثَر على أي أثر في كلتا القضيتين».

قال ثوربيرغور: «إنه أمر غير عادي أن يتصادق شبّان في العشرينيات مع مراهقين. وخاصة عندما تكون الفتاة أكبر من الشاب».

أومأ إرلندر برأسه موافقاً -أحسَّ بأن الغطاس بدأ يهتم رغماً عن نفسه- ثم قال: «بالتأكيد، لم يكن هناك أي شيء يربط بينهما».

كانا جالسيْن في مكتب ثوربيرغور في الكراج. كان هناك ثلاث موظفين يعملون بجد على إصلاح السيارات وكانوا يلقون بين الحين نظرة إلى المكتب، الذي كان أكثر بقليل من سجن زجاجي وكان يُرى بسهولة من منطقة العمل في الورشة. كان الهاتف يرن بين الحين والآخر، مقاطعاً حديثهما، لكن إرلندر لم يسمح لذلك بإزعاجه.

قال إرلندر: «وتحقَّقتُ من الطقس في ذلك اليوم أيضاً. كان بارداً على نحو غير عادي. معظم البحيرات كانت متجمدة».

«يمكنني التخمين بأنك كوَّنت نظرية مسبقاً».

«بالفعل، لكنها ضعيفة إلى درجة لا تُصدَّق».

«أليس مسموحاً لأحد بمعرفة ذلك؟»

«لا فائدة من تعقيد الأمور. إذا وجدتَ شيئاً، اتصلْ بي. وإن لم تجد، فالقضية ميتة كما كانت في الأساس».

قال ثوربيرغور: «في الحقيقة، لم يسبق أن غطست في ساندكلوفتافاتن. إنها ضحلة جداً في الصيف ولا تصبح أعمق بكثير إلا عند ذوبان الثلوج في الربيع. توجد بحيرات أخرى هناك. ليتلا-برونافاتن، ريدارفاتن، أوكسافاتن».

«بالتأكيد».

«ماذا كان اسماهما؟ الثنائي؟»

«ديفيد وغودرون. أو دونا».

نظر ثوربيرغور إلى مكان العمل في الورشة فرأى زبوناً جديداً ينظر في اتجاههما، وكان زبوناً اعتيادياً، فحيَّاه بإيماءة من رأسه.

قال إرلندر وهو ينهض ليقف: «هل ستفعل ذلك من أجل؟ إنني في سباق مع الزمن إلى حد ما. هناك رجل عجوز مستلق على باب الموت ينتظر جواباً منذ اختفاء ابنه. سيكون أمراً حسناً أن أتمكَّن من جلب خبر حول ابنه قبل أن يرحل. أعرف أن الفرص ضئيلة لكنه الشيء الوحيد الذي أملكه للاستناد إليه وأريد أن أحاول».

حدَّق ثوربيرغور فيه وقال: «انتظرْ، هل تتوقّع مني أن أترك كل شيء وأذهب في هذه الدقيقة؟»«في الحقيقة، ربما ليس قبل الغداء».

«اليوم؟»

«أنا ... لنقل في الوقت الذي تجده مناسباً. هل تعتقد أنك تستطيع فعل ذلك من أجلي؟»

«وهل أملك خياراً؟»

قال إرلندر: «شكراً لك. اتصلْ بي».

وجد إرلندر صعوبة في معرفة موقع منزل العطلات وتجاوز بسيارته المنعطف مرتين قبل أن يلمح اللافتة، التي كانت محجوبة تقريباً بإحدى الأجمات، «سولفانغور». سلك طريق المنعطف واتجه نحو البحيرة وركن سيارته بجانب المنزل.

هذه المرة كان يعرف عم يبحث. كان لوحده ولم يخبر أحداً بما كان يفعل. ولم يكن سيخبر أحداً حتى تُحَلّ القضية، إذا حُلَّت. كانت ما تزال غامضة جداً، وكان يفتقر للأدلة، بل كان ما يزال غير متأكد مما إذا كان يفعل الصواب أم لا.

كان قد تحدَّث مع أخصائي الأمراض في الشرطة، الذي فحص جثة ماريا وسأله إن كانت قد تناولت أي حبوب منوِّمة قبل وفاتها، فقال الطبيب إنه وجد كمية قليلة من دواء منوِّم لكنه لم يكن أبداً كافياً لتفسير موتها. سأله إرلندر إذا كان ممكناً حساب الوقت الذي أخذت فيه ماريا الدواء قبل وفاتها لكن الجواب لم يكن حاسماً: ربما في اليوم نفسه.

سأله أخصائي الأمراض: «هل تظن أن جريمة ارتُكبت؟»

«ليس تماماً».

«ليس تماماً؟»

قال إرلندر بحذر: «هل وجدتَ أي علامات حرق على صدرها؟»

كان تقرير تشريح الجثة مفتوحاً أمام أخصائي الأمراض. وكانا جالسيْن في مكتبه.

رفع الطبيب رأسه وقال: «علامات حرق؟»

فسارع إرلندر للقول: «أو كدمات من أي نوع».

«عم تبحث؟»

«لا أعلم بالضبط».

قال الطبيب: «كنتَ ستعلم إذا وجدنا أي علامات حرق».

لم يكن إرلندر يملك مفاتيح منزل العطلات لكن ذلك لم يكن مهماً، فما كان يهمُّه موجود في الشرفة، وبشكل أكثر تحديداً في حوض الاستحمام الساخن وبُعْده عن حافة الماء. كانت البحيرة مغطاة بطبقة رقيقة من الجليد وكانت الأمواج تخشخش عند اصطدامها بالصخور المتجمدة على الشاطئ. أخرج إرلندر علبة عيِّنات أعارته إياها فالجردر وملأها بماء من البحيرة. قاس المسافة بين حافة البحيرة والشرفة فوجدها خمس خطوات، ثم من نهاية الشرف إلى حوض الاستحمام الساخن، فوجدها ست خطوات. كان الحوض مزوداً بغطاء مصنوع من الألومينيوم والبليكسيغلاس -وهو نوع من البلاستيك الأكريليكي الشفاف- وكان مغلقاً بواسطة قفل بسيط صغير. جلب قضيب تركيب العجلات من سيارته وضرب القفل إلى أن انفتح، ثم رفع الغطاء، الذي كان ثقيلاً بشكل غير عادي. كان يُحافَظ عليه مفتوحاً بواسطة خطّاف مثبَّت على جدار المنزل. لم يكن إرلندر يعرف الكثير حول أحواض الاستحمام الساخنة، ولم يجلس داخل أحدها أبداً من قبل، ولم يكن يشعر بأي رغبة في فعل ذلك. افترض بأن الحوض لم يُستخدَم منذ انتحار ماريا.

قبل مغادرته المدينة، ذهب إلى بائع أدوات البنّائين وتحدّث مع أحد الموظفين الذي قدَّم نفسه على أنه خبير في هذا المجال. كان اهتمام إرلندر موجهاً نحو أنبوب التصريف والتقنية المستخدَمة لتفريغ وملء أحواض الاستحمام الساخنة. في البداية، كان الموظف متحمساً، لكنه ما إن أدرك أن إرلندر لم يكن ينوي شراء أي شيء حتى فقَدَ طلاقة لسان البائع فيه، فأصبح بذلك أقل إزعاجاً. أرى إرلندر نموذجاً مزوّداً بتقنية تفريغ وملء متحكَّم بها حاسوبياً، مؤكِّداً له بأنها شائعة جداً في ذلك الحين.

سأله إرلندر: «هل هو النظام الأفضل؟»

عبس الموظف وقال: «يفضِّل الكثير من الناس التحكم به يدوياً. إنهم يريدون أن يكونوا قادرين على فتح الحنفية بأنفسهم ثم إغلاقها عندما يمتلئ الحوض. مثل ملء حوض الحمام العادي. أنت تتحكم بالحرارة بواسطة حنفيتين عاديتين ساخنة وباردة».

«وإذا لم يكن يدوياً؟»

«إذاً فهنالك تقنية تقاطع نقطة الانعدام».

«تقنية تقاطع نقطة الانعدام؟»

نظر إرلندر بتمعُّن إلى الموظف، الذي كان بالكاد تجاوز مرحلة المراهقة.

«أجل، نظام تحكم إلكتروني عن بعد، يوضَع عادةً في التواليت. تضغط على زر فيبدأ الحوض بالامتلاء بماء ساخن حسب درجة الحرارة المرغوبة. ثم تضغط على زر آخر فيفرغ نفسه».

«هل المدخل والمصرف منفصلان؟»

«لا، إنه الأنبوب نفسه. يُشفَط الماء عبر فلتر في الأسفل، وعندما تريد ملأه يتدفق الماء من نفس الطريق».

«ليس نفس الماء بالطبع».

«لا، بالتأكيد لا. الماء الجديد يُضَخ عبر الفلتر لكن بعض الناس يرون هذا الأمر على أنه خطأ في النظام. أنا لن أشتري واحداً كهذا».

«لم لا؟ ما هي المشكلة؟»

«يُفترَض أن يكون الأنبوب ذاتي التنظيف ولكن في بعض الأحيان تبقى ذرات صغيرة من الحصى أو الرمال باقيةً من التفريغ الأخير. كما تعلم، شيء كان راسباً في الأنبوب. لهذا السبب يفضِّل الناس القيام بذلك يدوياً. مع أن هذا يمكن أن يكون كلاماً فارغاً، بالطبع. بعض الناس يُقْسمون بهذا النظام».

بعد التحدث مع البائع، أجرى إرلندر حواراً قصيراً مع تقني الأدلة الجنائية الذي كان مسؤولاً عن العملية في منزل العطلات. كان يظن بأنه رأى لوحة تحكم صغيرة في التواليت من أجل ملء وتفريغ الحوض الساخن.

سأله إرلندر: «إذاً فالحوض يُتحكَّم به إلكترونياً؟»

قال تقني الأدلة الجنائية: «وفقاً لما تسعفني به ذاكرتي. ولكن قد أكون بحاجة لإلقاء نظرة أخرى».

«ما ميزة نظام التحكم الإلكتروني؟»

«في الواقع، إنه يستخدم تقنية تقاطع نقطة الانعدام».

تفاجأ التقني بعض الشيء عندما أغلق إرلندر الهاتف في وجهه مع تنهيدة ثقيلة.

حدَّق إرلندر في الحوض لمدة طويلة، ثم نظر حوله بحثاً عن الحنفيات لكنه لم يجد شيئاً. لقد أخبره موظف المبيعات أنها يمكن أن تكون في أي مكان قريب من الحوض لكنها في العادة تكون تحت الشرفة. لم يتمكَّن إرلندر من إيجاد أي باب خفي في الشرفة يمكن أن يخفي الحنفيات، فافترض أن تقني الأدلة الجنائية كان مصيباً بخصوص كون الحوض إلكتروني التحكم. دخل إرلندر إلى الحوض وانحنى فوق الفلتر الواقع

في الأسفل ونجح في فتحه. كان الغسق قد بدأ يهبط لكنه كان يحمل مصباحاً فشغَّله ووجَّهه نحو الفلتر. كان يوجد بعض الماء المتجمد في أنبوب التصريف، فأخرج إرلندر وعاء عيِّنات آخر وانتزع قطعة من الثلج من داخل الأنبوب ووضعه في الوعاء.

أغلق الحوض ثانيةً بالغطاء الثقيل وأعاد وضع القفل المكسور.

بعد ذلك مشى حول المنزل إلى أن وجد غرفة خلفه فافترض أنها مستودع القارب. ألصق وجهه على نافذة صغيرة فرأى قارباً في الداخل. تساءل إن كان نفس القارب الذي كان فيه ماغنوس وليونورا في ذلك اليوم المشؤوم. كانت هناك أكوام صغيرة من الأخشاب المقطوعة مكدّسة بجانب المستودع.

كان المستودع مقفلاً بواسطة قفل صغير حطّمه إرلندر بنفس السهولة التي حطم بها القفل الأول. سلَّط ضوء مصباحه إلى الداخل فوجد القارب قديماً ومتداعياً كما لو أنه لم يُستخدَم منذ مدة طويلة. كانت هناك طاولات عمل على جانبي القارب ورفوف على الحائط البعيد ممتدة من الأرضية إلى السقف. وعلى الرف السفلي لاحظ إرلندر محركاً خارجياً قديماً من طراز هوسكفارنا.

كان المستودع يحوي أغراضاً متنوعة يتوقع المرء إيجادها في منزل عطلات؛ أدوات عناية بالحدائق، مثل عربة يد ومجارف، وأسطوانة غاز وعدة شوي، وعلب طلاء ولمّاع للخشب. لم يكن إرلندر يعرف بالضبط عما كان يبحث، ولم يدرك ذلك إلا بعد مضي ربع ساعة على وقوفه هناك وتسليطه ضوء المصباح على كل زاوية وشق في المستودع.

كان موضوعاً بعناية. لا يعني ذلك أن أحداً كان يحاول إخفاء الجهاز، بل على العكس تماماً، ورغم ذلك لم يكن ظاهراً على الإطلاق. كان جزءاً من الموجودات، جزءاً من الفوضى، ومع ذلك لفت انتباهه حالما أدرك ما كان يبحث عنه. سلَّط ضوء المصباح عليه: كان على شكل صندوق مربع الشكل يشبه حقيبة ثخيبنة ضخمة. ورغم كونه غير مثير للانتباه، إلا أن الجهاز أيقظ في إرلندر شعوراً غريباً قديماً بالخوف، يعود إلى الفترة التي كاد أن يموت فيها من التجمد على أرض القفار في الشرق البعيد.

كانت ليونورا تقول دائماً إن الحادث كان سرَّهما وأن لا أحد ينبغي أن يعرف بما حدث حقاً، وإلا فإنهما سيُرغَمان على الانفصال. وكان من الأفضل لهما عدم التحدث حول الحادثة الفظيعة. الحوادث تقع وهي

ليست مسؤولية أي شخص وتلك كانت واحدة منها. لم يكن بالمستطاع تغيير أي شيء، ولم يكونا سيحققان أي شيء من خلال شرح ما حدث بالضبط على متن القارب. أصغت ماريا لأمها، مولية إياها كل ثقتها. ولكن، لم تبدأ العواقب بعيدة المدى للكذبة بالظهور إلى بعد وقت طويل من ذلك. ما كان يمكن لحياة ماريا أن تبقى على حالها كما كانت من قبل، مهما كانت رغبة أمها في بقائها كذلك.

بمرور الوقت، تعافت ماريا من الهلوسات والاكتئاب اللذين أصاباها بعد وفاة والدها وتضاءل حتى قلقها، لكن الشعور بالذنب ظل موجوداً داخلها على الدوام، ونادراً ما مرَّ يوم دون أن تفكِّر في الحادث الذي وقع في بحيرة ثينغفالافاتن. وكان ذلك يمكن أن يحدث في أي وقت من النهار أو الليل. ومع أنها تعلَّمت كيف تكبت هذه الأفكار عند ولادتها، إلا أنها كانت عنيدة وتستمر بالتوالد من جديد، وبما أنه لم يكن مسموحاً لها إخبار أحد بما حصل، لم يكن مسموحاً لها تخفيف العبء عن كاهلها عبر التحدث حول الحادث، فقد كان الألم الناجم عن هذا الوضع لا يُطاق لدرجة أنها فكَّرت في بعض الأحيان بقتل نفسها، بوضع حد لمعاناتها وعذابها. لم يكن هناك ما هو أسوأ من الصمت المستبد الذي يطالب بإيلائه اهتمامها كل يوم، وأحياناً مرات كثيرة في اليوم الواحد.

لم يُسمَح لها أبداً الحزن على أبيها بطريقة طبيعية، لم يُسمَح لها قول وداعاً له، ولم تسنح الفرصة لها حتى لافتقاده. كان هذا هو الجانب الأشد إيلاماً في كل عذابها، لأنها كانت متعلِّقة به بشدة وكان دائماً في غاية الطيبة مع ابنته الصغيرة. ولم تسمح لنفسها أيضاً بالتمتُّع بأي ذكرى تتعلق به من الفترة التي سبقت الحادث. لم تسمح لنفسها بهذه الرفاهية.

قالت ليونورا بصوت هامس: «سامحيني».

كانت ماريا جالسةً بجانب سرير أمها كالعادة. كلاهما كانت تعرفان أنه لم يبقَ الكثير من الوقت.

فسألَتْها: «على ماذا؟»

«كان ... خطأً. كل شيء، منذ البداية. أنا ... سامحيني ...»

«كل شيء على ما يرام».

«لا ... هذا غير صحيح. لقد ظننتُ ... كنت أفكر فيك. فعلتُ ذلك من أجلك. يجب ... يجب أن تفهمي ذلك. لم أكن أريد أن يحدث لك أي شيء ... أي شيء».

قالت ماريا: «أعرف».

«ولكن ... لم ... لم يكن ينبغي عليَّ أن أبقى صامتة بخصوص الحادث».

قالت ماريا: «كنت تريدين الأفضل لي».

«أجل ... لكن ذلك كان أنانيةً مني، جداً ...»

«لا».

«هل يمكنك أن تغفري لي؟»

«لا تقلقي بشأن ذلك الآن».

«هل يمكنك؟»

سكتت ماريا.

«هل ستخبرين الناس بما حدث بعد موتي؟»

ظلت ماريا صامتة.

قالت ليونورا بألم: «أخبري ... الناس. أرجوك ... لصالحك ... أخبري الناس ... أخبريهم كل شيء».

31

أمضى إرلندر اليومين التاليين في جمع مزيد من المعلومات حول ما كان يعتقد أنه حدث في منزل العطلات في ذلك المساء عندما وُجدت ماريا ميتة. لم يكن جاهزاً لتقديم فرضيته وتساءل إذا كان سيكون من الأفضل استجواب بالدفين وكارولينا بشكل منفصل أم معاً. لم يناقش تحقيقه مع أي شخص آخر. كان سيغوردر أولي وإلينبورغ يعرفان أنه كان مشغولاً جداً، لكنهما لم يكونا يعرفان بماذا، وحتى فالجردر كانت تتلقى منه اتصالات أقل من المعتاد. كانت القضية تشغل كل تفكيره. وكان أيضاً ينتظر اتصالاً لم يأت بعد من بحيرة ساندكلوفتافاتن.

خلال الأيام القليلة الماضية كانت الرغبة في الذهاب إلى المزرعة المهجورة في الشرق –التي كانت تتملَّكه في بعض الأحيان- تتنامى داخله.

كان جالساً في منزله يتناول طبقاً من العصيدة وسجقاً معدّاً من لحم الكبد المخلل عندما سمع طرقاً على الباب فذهب وفتح الباب لفالجردر التي قبَّلته على خده ودخلت. خلعت معطفها ووضعته على كرسي وجلست في المطبخ.

قالت وهي تصبُّ لنفسها طبقاً من العصيدة: «لم أعد أتلقى منك أي اتصال». قطع إرلندر قطعة من السجق وقدَّمها لها. لم يكن السجق حامضاً تماماً كما يشتهي، رغم أنه أصرَّ على أن يُؤخَذ مباشرةً من برميل التخليل بينما كان ينتظر بجانب قسم اللحم في المتجر. أطاعه المراهق الذي كان يخدمه بشيء من الانزعاج، وبانَ عليه عدم السرور لغمس يده في السائل الحامض. في جولة التسوق ذاتها، اشترى إرلندر أيضاً بعضاً من لفائف الحَمَل المحمَّض ولحم صدر مدهن وجزءاً من رأس خروف حفظه في حوض من سائل التخليل في شرفته.

قال إرلندر: «كنتُ مشغولاً في العمل».

سألته فالجردر: «حول ماذا؟»

«نفس القضية».

«أشباح وظهورات؟»

«أجل، شيء من هذا القبيل. ما رأيك ببعض القهوة؟»

أومأت فالجردر برأسها موافقةً فوقف إرلندر وشغَّل الماكينة. قالت له إنه يبدو مرهقاً وسألته إن كان ما يزال يملك إجازات باقية، فقال إن لديه الكثير من الإجازات لكنه لم يجد حتى الآن أي استعمال لها.

«كيف جرى اللقاء في ذلك اليوم؟ اللقاء مع هالدورا؟»

قال إرلندر: «ليس جيداً. لا أعلم إن كانت رؤيتها فكرة جيدة. هناك أشياء كثيرة نراها بشكل مختلف».

فسألته فالجردر بحذر: «مثل ماذا؟»

«أوه، لا أعرف. أشياء كثيرة».

«ألا تريد التحدث عن أي شيء؟»

«لا أعتقد أن هناك أي فائدة. إنها تشعر بأنني لم أكن صادقاً معها؟»

«وهل هذا صحيح؟»

التفتت فالجردر لتكون مقابلةً له بينما كان يقف بجانب ماكينة صنع القهوة.

فقال إرلندر: «ربما هذا يعتمد على طريقة نظرتك للأمر».

«أوه؟»

تنهّد إرلندر وقال: «لقد عاشت العلاقة بكل عواطفها. أما أنا فلم أفعل ذلك. تلك هي الخيانة العظمى. حقيقة أنني لم أعش العلاقة بكل جوارحي».

«لا أعتقد أنني أريد أن أسمع حول ذلك، إرلندر. إنه شيء لا يخصني. لقد حدث منذ زمن طويل وليس له علاقة بنا. بعلاقتنا».

«أجل، أعرف. ولكن ... ربما أنا أفهمها بشكل أفضل الآن. إنها تفكر في الأمر منذ ذلك الحين، طوال هذه السنين. أعتقد أن هذا هو منشأ غضبها».

«من حب غير متبادل؟»

«ما تقوله صحيح. كانت هالدورا صادقة فيما كانت تفعل. أما أنا فلا».

قالت فالجردر: «'الألم الأعظم هو أن تحب ويضيع حبك هباءً'».

«أجل أعتقد أن ذلك صحيح». ثم غيَّر الموضوع قائلاً: «إنني أحقق في علاقة أخرى ولا أعلم حقاً ماذا أفعل بشأنها. شيء حدث منذ سنوات بعيدة. امرأة تُدعى سولفيغ بدأت علاقة غير شرعية مع زوجة أعز صديقاتها. انتهت العلاقة بكارثة».

«هل يمكنني أن أسأل ماذا حدث؟»

«لا أعلم إذا كنا سنكشف يوماً القصة الكاملة».

«آسفة، بالطبع لا يمكنك مناقشة ذلك مع أي كان».

«لا، ليست مشكلة. توفي الرجل، غرق في بحيرة ثينغفالافاتن. السؤال هو إلى أي حد كانت زوجته متورطة في موته. وإلى أي حد كانت ابنتهما الصغيرة تلوم نفسها».

«أوه؟»

«ربما إلى درجة كبيرة جداً، لأن الفتاة أُقحمت في شجار والديها».

«هل أنت مضطر لفعل شيء بخصوص ذلك؟»

«لا أعتقد أنني سأصل إلى شيء».

سكت إرلندر لعدة لحظات فسألته فالجردر: «ماذا بشأن إجازتك، ألا تريد أن تفعل شيئاً بها؟»

«يجب أن أحاول الاستفادة منها؟»

«ماذا في ذهنك؟»

«قد أحاول التخفيف عن نفسي لبضع أيام».

«التخفيف عن نفسك؟ كنتُ أفكر ربما في جزر الكناري أو شيء من هذا القبيل».

«هممم. ليس لدي خبرة في مثل هذه الأمور».

«ماذا؟ أتعني أنك لم تغادر آيسلندا أبداً؟»

«لا».

«ألا تريد أن تذهب؟»

«ليس تماماً».

«برج إيفيل، بينغ بِن، مبنى إمباير ستيت، الفاتيكان، الأهرامات ...»

«أشعر أحياناً بفضول لرؤية الكاتدرائية في كولون».

«لماذا لا تذهب إذن؟»

«لا يصل اهتمامي إلى درجة أبعد من ذلك».

«ماذا تقصد بالتخفيف عن نفسك؟»

«أريد الذهاب إلى الشرق. الاختفاء لبضع أيام. إنه شيء أفعله من وقت لآخر. جبل هاردسكافي ...»

«نعم؟»

«هذا هو برج إيفيل الخاص بي».

لم يبدُ على كارولينا الاندهاش لرؤية إرلندر على عتبة باب بيتها في كوبافوغر مرة أخرى، ودعته للدخول مباشرة. لقد راقبها لعدة أيام قبل زيارته ووجد أنها كانت تعيش حياة رتيبة إلى حد ما، حيث كانت تذهب

للعمل في التاسعة صباحاً وتعود إلى المنزل في السادسة تقريباً، متوقفةً في طريقها عند متجر الحي لشراء طعام عشائها. وكانت تمضي فترة المساء في المنزل إما في مشاهدة التلفزيون أو القراءة. وفي إحدى الأمسيات، زارتها صديقة لها فأغلقت كارولينا الستائر، وجلس إرلندر في سيارته إلى أن غادرت المرأة قبل منتصف الليل بقليل. راقبها إرلندر وهي تمشي على الطريق بمعطفها الأحمر الطويل إلى أن اختفت حول الزاوية.

سألته كارولينا بصراحة بينما كانت ترافقه إلى غرفة الجلوس: «أما زلت تستطلع بحثاً عن معلومات حول زوجة بالدفين؟» طُرح السؤال بدون اهتمام ظاهر بالحصول على أي جواب. بدت كارولينا بأنها عازمة على التصرف بطريقة توحي بأنها لم تكن منزعجة من استقبالها زيارتين متتاليتين من الشرطة خلال مدة قصيرة. ولم يكن باستطاعة إرلندر التمييز إن كان تمثِّل أم لا.

سألها: «هل تحدَّثتِ أنت وبالدفين؟»

«بالطبع. نجد الأمر مضحكاً. أتحاول بشكل جدي الإيحاء بأننا فعلنا شيئاً ما لماريا؟»

مرة أخرى طُرح السؤال كما لو أن الجواب لم يكن مهماً على الإطلاق، كما لو أن اقتناع إرلندر بذلك كان غريباً لدرجة أنه لا يستحق التعامل معه بجدية.

قال إرلندر: «هل من السخافة التفكير في ذلك؟»

«أمر غير معقول».

قال إرلندر وهو يجول بنظره حول غرفة الجلوس: «يوجد مال على المحك».

«هل أنت تحقق جدياً فيما حصل على أنها جريمة؟»

سألها إرلندر وهو يجلس: «هل تساءلتِ يوماً بشأن الحياة بعد الموت؟»

«لا – لماذا؟»

«كانت ماريا تتساءل. طوال الوقت تقريباً. يمكنك القول إنها لم تفكر في أي شيء آخر في الأسابيع التي سبقت وفاتها. حاولَتْ إيجاد أجوبة من خلال الذهاب إلى وسطاء روحانيين. هل يبدو ذلك مألوفاً لك؟»

قالت كارولينا: «أعرف ما هو الوسيط الروحاني».

«نعلم بشأن واحد زارته. اسمه أندرسون. أعطاها تسجيلاً لتأخذه معها إلى المنزل. نعلم بشأن وسيط آخر ذهبت إليه أيضاً, امرأة لم أستطع

العثور عليها بعد. إنها تُدعى -أو تدعوا نفسها- ماغدالينا. على يقرع أي أجراس؟»

«لا».

قال إرلندر: «أود أن ألتقي بها حقاً».

«لم أذهب إلى أي وسيط روحاني في حياتي».

رمقها إرلندر بنظرة طويلة، متسائلاً إذا كان ينبغي عليه أن يكشف ما كان يعتقد أنه حدث بدلاً من مواصلة الدوران حول الموضوع. كان يملك نظرية لكنه لم يكن قادراً على إثباتها. لقد راجع الاحتمالات مراراً لكنه لم يصل إلى نتيجة. كان يعلم بأن الوقت حان للقيام بفعل ما، لتحريك القضية، لكنه كان متردداً لأن ما كان يستند إليه لم يكن أكثر من شكوك مرتكزة على أسس هشة سيسهل إنكارها. كان هناك احتمال بأن يتمكن من اكتشاف دليل ما، فيما لو أُعطي وقتاً، لكنه سئم من القضية برمّتها وكان يريد إنهاءها كي يتمكَّن من الالتفات إلى أشياء أخرى.

سألها: «هل لعبت يوماً دور وسيطة روحانية؟»

فأجابت كارولينا: «تقصد على المسرح؟ لا، لم أفعل».

«وتقولين إنك لا تعرفين وسيطة روحانية باسم ماغدالينا؟»

«لا».

«نفس اسم الشخصية التي لعبتيها على المسرح؟»

«لا، لا أعرف أي ماغدالينا».

«طلبتُ من مرؤوسيَّ التحقق من الاسم. لا يوجد وسيطة روحانية بهذا الاسم في منطقة ريكيافيك بأكملها».

«لم لا تقول ببساطة ما تريد قوله».

ابتسم إرلندر وقال: «ربما يتوجب علي فعل ذلك».

«قلْ رجاءً».

«سأخبرك بما أعتقد أنه حدث. أعتقد أنك وبالدفين دفعتما ماريا إلى الانتحار».

«أوه؟»

«كانت في حالة فظيعة بعد وفاة أمها. لقد راقبَتْ ماريا أمها ليونورا وهي تحارب السرطان لعامين، راقبَتْها وهي ترزح تحت ألم مريع وتعاني قبل النهاية. بدأتْ تتخيل جميع أصناف الأشياء وبدأت البحث عن إشارات كانت أمها تنوي إعطاءها إياها كدليل على أنها آمنة أو على أن هناك نوعاً ما من الحياة بعد هذه الحياة بل إنها قد تكون أفضل من هذا

العالم المليء بالتعاسة والحزن. لم يكن يتطلب دفع ماريا من فوق الحافة كثيراً من الجهد. كانت تخاف بشدة من الظلمة -في الواقع، كانت كتلة من الأعصاب بعد وفاة أمها، متلهفة للاطمئنان بأن ليونورا كانت في حال أفضل وفي عالم أفضل. صحيح أنها كانت أكاديمية لكن هذه ليست مسألة عقلانية، وإنما مسألة إيمان وحب وأمل عميقة الجذور. بدأتْ تتخيل أشياء متنوعة. ظهرتْ ليونورا لها في منزلهما في غرافارفوغر. لجأتْ ماريا إلى الوسطاء الروحانيين. أتوقع أنكِ لعبتِ دوراً ما في ذلك؟ في دفعها من فوق الحافة؟»

«ماذا تعني؟ هل تملك أي دليل؟»

«لا شيء. لقد خططتما للأمر جيداً».

«لماذا بحق الله يمكن أن نفعل شيئاً كهذا؟»

«يوجد الكثير من المال على المحك. بالدفين مدين بشكل بالغ وهو ليس من النوع الذي يسدِّد دينه، رغم حقيقة أنه كطبيب ينال أجراً محترماً. تتخلصان أنتما الاثنان من ماريا وتعيشان برفاهية لبقية حياتيكما. أعرف جرائم ارتُكبت من أجل مبالغ أقل من ذلك بكثير».

«أنت تسميها جريمة؟»

«لا أعرف ماذا يمكن أن أسمِّيها سوى ذلك. عندما يفكِّر المرء فيها. هل أنت ماغداليناً؟»

نظرَتْ كارولينا إلى إرلندر مطوَّلاً وبتعابير فائقة الجدِّية، ثم قالت: «أعتقد أنك يجب أن تذهب الآن».

«هل أخبرتِ ماريا شيئاً ما يمكن أن يكون أدَّى إلى الأحداث التي انتهت بانتحارها؟»

«ليس لدي المزيد لأقوله».

«هل لعبتِ دوراً في موت ماريا؟»

وقفت ْكارولينا واتجهت نحو المدخل وفتحت الباب الأمامي، ثم قالت: «أخرج».

كان إرلندر قد وقف أيضاً وتبعها.

قال لها: «هل يمكن أن تعترفي بأنك لعبت ولو دوراً ضيئلاً فيما حدث لماريا؟»

«لا، كانت تعيسة. لقد انتحرتْ. هلا غادرتَ الآن من فضلك؟»

«هل أخبرك بالدفين يوماً حول تجربة أجراها عندما كان طالب طب في الجامعة؟ لقد تورَّط بالتسبُّب بموت شاب ومن ثم إعادته إلى الحياة.

هل كنتِ تعلمين بذلك؟»

«عم تتحدث؟»

«أعتقد أنها كانت نقطة البداية».

«ماذا؟»

«اسألي بالدفين. اسأليه إذا كان يعرف شخصاً يُدعى تريغفي. إذا كان يملك أي صلة به اليوم. اسأليه عن ذلك».

«هلا خرجت الآن؟»

وقف إرلندر في مدخل الباب، رافضاً الاستسلام. تحوَّل لون وجه كارولينا إلى الأحمر القاني.

قال إرلندر: «أعتقد أنني أعرف ماذا حصل في منزل العطلات. وإنها ليست قصة جميلة».

قالت كارولينا: «لا أعرف عم تتحدث». ثم دفعته خارج الباب.

قال إرلندر بينما كان الباب يُصفَق في وجهه: «أخبري بالدفين بأنني أعرف حول جهاز الصدم الكهربائي».

32

جلس إرلندر في الظلمة في حالة من عدم اليقين.

لقد استيقظ متأخراً في ذلك الصباح، لأن إيفا ليند زارته في الليلة السابقة وتحدثا حول فالجردر. كان يعلم أنها لم تكن متحمسة جداً لفالجردر وأنها إذا رأت سيارة فالجردر واقفة أمام المبنى الذي يقطن فيه، كانت تنتظرها حتى تغادر قبل أن تطرق بابه.

سأل إرلندر ابنته: «لم لا يمكنك أن تكوني لطيفة معها؟ إنها تقف دائماً معك عندما نتحدث عنك. يمكنكما أن تكونا صديقتين مقربتين إذا سمحت لنفسك بالتعرُّف عليها».

«لستُ مهتمة. لست مهتمة بالنساء في حياتي».

«نساء. ليس هناك نساء. يوجد فالجردر فقط. لم يكن هناك أبداً نساء».

«اهدأ. هل لديك قهوة؟»

«ماذا تريدين؟»

«أوه، كما تعلم، كنت سئمة فحسب».

جلس إرلندر على كرسيه في حين كانت إيفا ليند مستلقية على الأريكة قبالته.

قال إرلندر وهو ينظر إلى الساعة، التي تجاوزت منتصف الليل: «هل تنوين النوم هنا؟»

«لا أدري. هل تقرأ لي الفصل المتعلق بأخيك مرة أخرى؟»

نظر إرلندر إلى ابنته مطوّلاً قبل أن ينهض ويذهب إلى المكتبة ويجلب الكتاب ويعود إلى كرسيه من جديد. وبدأ يقرأ لها قصة الحادثة وعجز أبيه وكيف وُصف هو نفسه بالمكتئب والمنطوي على ذاته وكيف كان يفتش عن بقايا شقيقه. نظر إلى ابنته عند انتهائه من القراءة فظن أنها غفت. وضع الكتاب على طاولة صغيرة بجانب الأريكة، وتذكَّر كم كانت أمه غاضبة من الرجل الذي كتب القصة.

مرَّ وقت طويل قبل أن تتنهَّد إيفا ليند أخيراً وتقول: «كنتَ تحاول إبقاءه حياً منذ ذلك الحين».

«لا أعلم إذا ...»

قالت: «ألم يحن الوقت لتدعه يموت؟»

فتحت إيفا ليند عينيها والتفتت نحو أبيها وحدَّقت فيه، ثم سألته

مجدداً: «ألم يحن الوقت لتدعه يموت؟»

ظل إرلندر صامتاً لعدة لحظات قبل أن يقول: «لماذا تتدخلين في هذا الأمر؟»

«لأنك تعيس، بل لعلك أكثر تعاسة مني في بعض الأحيان».

قال إرلندر: «لا أعلم إذا كان هذا يخصك. إنه شأني. إنني أفعل ما يجب علي فعله».

«إذاً فلتذهب إلى الشرق أو إلى المكان الذي وُلدت فيه. اذهب إلى هناك وافعل ما يجب عليك فعله. تخلَّصْ منه وحرِّرْ نفسك. أنتَ تدين بذلك لنفسك بعد كل هذه السنين. وله أيضاً. دعه يموت. أنت تدين بذلك لنفسك وله. ينبغي عليك أن تحرِّر نفسك منه. ينبغي عليك تحرير نفسك من شبحه».

سألها مجدداً: «لماذا تتدخّلين في هذا الأمر؟»

«قل ذلك لنفسك أنت الذي لا تستطيع أن تترك أحداً وشأنه».

سكتا كلاهما لبعض الوقت إلى أن سألته إيفا ليند إذا كان بوسعها النوم على الأريكة لأنها لم تكن تود الذهاب إلى المنزل.

فقال إرلندر: «هذا بيتك. نامي هنا».

وقف ليستعد للذهاب إلى سريره.

فقالت إيفا ليند وهي تدير وجهها إلى زاوية الأريكة من الداخل: «لو كنتُ بحاجة لذلك، لفعلتُه منذ زمن طويل».

«كنت بحاجة إلى ماذا؟»

«إلى أن أغفر لك».

أيقظَ صوتُ سيارة تقف في الممر إرلندرَ من حلم يقظته. فُتح باب وسمع صوت وقع أقدام على الحصى في الخارج، آتية في اتجاه مستودع القارب. كان ضوء النهار يدخل عبر نافذتين صغيرتين، واحدة من كل جانب، مضيئاً ذرات الغبار في الهواء. من الداخل، كان بوسعه رؤية تلألؤ ضوء النهار على سطح بحيرة ثينغفالافاتن، الذي كان ناعماً كمرآة في الجو الخريفي الساكن. فُتح الباب ودخل بالدفين، ثم أغلق الباب خلفه. توقف لبرهة قبل أن يشعل المصباح العلوي. لم يلاحظه بالدفين في البداية ورآه إرلندر يبحث عن شيء ما، ثم ينحني ويستقيم ثانية حاملاً جهاز الصدم الكهربائي بين يديه.

قال إرلندر وهو ينهض ليقف من الزاوية حيث كان يجلس: «اعتقدتُ

بأنك قد لا تأتي». ثم مشى نحو الضوء.

من هول المفاجأة كاد بالدفين أن يُسقط الجهاز من يده.

شهق بالدفين قائلاً: «يا إلهي، لقد أخفتني»، قبل أن يستعيد رباطة جأشه ويحاول الظهور بمظهر الغاضب: «ماذا ... ؟ ماذا يُفترَض أن يعني هذا؟ ما الذي تفعله هنا؟»

قال إرلندر بهدوء: «أليس من الأحرى أن يكون السؤال، ماذا تفعل أنت هنا؟»

«أنا ... هذا منزل عطلاتي ... ماذا تقصد، ماذا أفعل هنا؟ هذا ليس شأنك. ألن ... لماذا تلاحقني؟»

«كنتُ قد بدأت أظن بأنك لن تأتي. لكنك لم تستطع التحمُّل مدة أطول فأردتَ التخلُّص من الصادم الكهربائي بوضعه في مكان آمن. لقد بدأ ضميرك يضايقك. لعلك لم تعد واثقاً من الإفلات بفعلتك كما كنت سابقاً».

«ليس لدى أدنى فكرة حول ما تتحدث عنه. لم لا تتركني وشأني؟»

«ماريا هي السبب. إنها تسكنني مثل قصة أشباح قديمة. هناك عدد من الأشياء المتعلقة بها أريد أن أناقشها معك، أسئلة متنوعة أعرف أنها هي نفسها كانت سترغب في طرحها عليك».

«ما هذا الهراء؟ هل كسرتَ قفل الباب؟»

«فعلتُ ذلك منذ عدة أيام، عندما كنت أحاول ملء الثغرات».

سأله بالدفين مجدداً: «ما هذا الهراء؟»

«كنتُ آمل أن تخبرني أنت بذلك».

«إنني هنا لترتيب مستودع القارب».

«أجل، بالتأكيد. وهناك أمر آخر. لماذا كنت تستخدم ماء البحيرة في حوضك الساخن؟»

«ماذا؟»

«أخذتُ عينة من حوضك الساخن، من أنبوب التصريف. إن إمداد المنزل والحوض الساخن بالماء يأتي من الآبار على الهضبة. يُسخَّن بالكهرباء داخل المنزل ثم يُضَخ إلى النظام. لماذا إذن يوجد راسب طيني ناعم من بحيرة ثينغفالافاتن في أنبوب التصريف الخاص بحوضك الساخن؟»

«لا أعلم عم تتكلم. إننا أحياناً ... إننا في العادة نغطس في البحيرة في الصيف وبعد ذلك ننزل في الحوض الساخن».

«أجل، لكنني أتحدث عن حجم أكبر بكثير من الماء. أعتقد أن الحوض كان مملوءاً بماء البحيرة».

خرج بالدفين من المستودع وبيده الصادم الكهرباء، ناوياً وضعه في صندوق سيارته الخلفي، فلحق به إرلندر وانتزع الجهاز من يده. لم يُبد بالدفين أي مقاومة.

قال إرلندر: «لقد تحدثتُ مع طبيب. سألته كيف يمكن للمرء أن يُحدث فشلاً قلبياً دون أن يلاحظ ذلك أي إنسان، فقال إنك ستحتاج إلى تصميم وكمية كبيرة من الماء البارد. أنت طبيب. هل توافقه الرأي؟»

ظل بالدفين وقفاً بجانب الصندوق الخلفي لسيارته دون أن يجيب.

فقال إرلندر: «أليست هي الطريقة ذاتها التي استخدمتموها على تريغفي في الماضي؟ لم تكن تستطيع استخدام أي أدوية على ماريا. لم تكن تستطيع المجازفة بترك أي أثر يمكن اكتشافه، صحيح؟ في حال أجروا تشريحاً على الجثة. الشيء الوحيد الذي يمكنك استخدامه هو جرعة صغيرة من الأقراص المنوِّمة لتخفيف أثر البرودة».

أغلق بالدفين باب الصندوق الخلفي بقوة، ثم قال بغضب: «لا أعلم عم تتحدث. ولا أعتقد أنك تعلم أيضاً. ماريا شنقت نفسها. إنها لم تنم في الحوض الساخن إذا كان هذا ما تتخيله. يجب أن تخجل من نفسك».

قال إرلندر: «أعلم أنها شنقت نفسها. أريد أن أعرف بالضبط لماذا. وكيف أقنعتماها أنت وكارولينا بفعل ذلك».

بدا بالدفين بأنه كان يستعد للدخول إلى سيارته والرحيل بدلاً من الاضطرار للاستماع إلى إرلندر أكثر مما فعل، حيث اتجه نحو باب السائق وفتحه وكان على وشك الدخول إلى السيارة عندما توقف والتفت ليواجه إرلندر.

ثم قال بخشونة وهو يغلق الباب بقوة: «لقد سئمت من هذا. سئمت من هذه المضايقة اللعينة. ماذا تريد؟» ثم مشى باتجاه إرلندر.

قال إرلندر بهدوء: «كان تريغفي هو الذي أعطاك الفكرة، أليس كذلك؟ ما أريد معرفته هو كيف أقنعتما أنتما الاثنان ماريا بالإقدام على فعلتها».

بغضب شديد، حدَّق بالدفين في إرلندر، الذي حدَّق فيه بالمقابل.

قال بالدفين «‘أنتما الاثنان’؟ ماذا تقصد بـ ‘أنتما الاثنان’؟»

«أنت وكارولينا».

«هل أنت مجنون؟»

«لماذا اهتممتَ فجأةً بجهاز الصدم الكهربائي الآن؟ إنه قابع هنا ولم يُلمَس منذ وفاة ماريا. لماذا أصبح مهماً جداً التخلص منه الآن؟»

لم يُجب بالدفين.

فقال إرلندر: «ألأنني أتيتُ على ذكره أمام كارولينا؟ هل خفت؟ هل فكّرت بأن من الأفضل لك التخلص منه؟»

واصل بالدفين التحديق فيه دون أن ينبس ببنت شفة.

قال إرلندر: «لم لا نذهب ونجلس في المنزل للحظة؟ قبل أن أطلب دعماً».

سأله بالدفين: «ما هو البرهان الذي تملكه؟»

«كل ما أملك هو شك جدي. أود حقاً أن أثبته».

«وماذا بعد ذلك؟»

«ماذا بعد ذلك؟ لا أدري. هل تدري أنت؟»

لم يجب بالدفين.

فقال إرلندر: «لا أعرف إذا كان ممكناً محاكمة الناس للمساعدة على الانتحار، أو لدفع شخص ما عمداً كي يقتل نفسه. وهذا ما فعلتماه أنت وكارولينا. بشكل منهجي وبدون تردد. لعل المال لعب دوراً في الأمر. إنه مبلغ كبير من المال وأنت في وضع مريع من الناحية المالية. ثم هناك كارولينا، بالطبع. سوف تحصلان على كل ما تتمنياه فقط إذا استعجلَتْ ماريا بالموت».

«أي نوع من الكلام هذا؟»

«إنه عالم قاس».

«لا يمكنك إثبات أي شيء. إنه هراء!»

«أخبرني ماذا حدث. متى بدأ ذلك؟»

كان بالدفين ما يزال متردداً.

قال إرلندر: «أظن أنني أعرف نوعاً ما ماذا حدث. إذا لم يكن الأمر كما أعتقد، فيمكننا مناقشة ذلك. لكنك سوف تكون مضطراً للتحدث معي. أخشى أنك لا تملك أي خيار آخر».

لم يُجب بالدفين.

فأخرج إرلندر هاتفه الجوال وقال: «متى بدأ ذلك؟ إما أن تخبرني الآن أو سيعج المكان بعناصر الشرطة قبل أن تدرك ذلك».

قال بالدفين بصوت خافت: «قالت ماريا إنها تريد أن تعبر».

«تعبر؟»

«بعد وفاة ليونورا، أرادت ماريا أن تعبر الخط الفاصل إلى حيث كانت تعتقد أنها تستطيع الوصول إلى أمها. فطلبت مني أن أساعدها. هذا

كل شيء».

«الخط الفاصل؟»

«هل أنا بحاجة لتهجئتها لك؟»

«وماذا؟»

قال بالدفين: «لندخل. سأخبرك عن ماريا إذا كنت ستتركنا بسلام بعد ذلك».

«هل كنت في منزل العطلات عندما توفيت؟»

«اهدأ. سأخبرك كيف حدث الأمر. حان الوقت لتسمع ذلك. لن أحاول إنكار مسؤوليتي. لم نكن صادقيْن معها لكنني لم أقتلها. لم أكن أبداً لأقدر على فعل ذلك. أبداً. ينبغي عليك أن تصدّقني».

33

دخلا إلى المنزل وجلسا في المطبخ. كان الجو بارداً في الداخل، لكن بالدفين لم يشغِّل المشعّات لأنه لم يكن ينوي إطالة أمد اللقاء. وراح يخبر قصته، بشكل منظَّم، نقطة نقطة وبصوت واضح، واصفاً كيف قابل ماريا في الجامعة، ومعيشتهما مع ليونورا في غرافارفوغر والسنتين الأخيرتين من حياة ماريا بعد وفاة أمها. بدت القصة بالنسبة لإرلندر بأنها محفوظة غيباً في بعض الجوانب، كما لو بالدفين تدرَّب عليها، لكنها في جوانب أخرى بدت معقولة ومنطقية معاً.

كانت علاقة بالدفين مع كارولينا سارية منذ عدة سنوات. لقد خرجا معاً عندما كانا في كلية المسرح لكن علاقتهما لم تتطور آنذاك. تزوَّج بالدفين من ماريا، أما كارولينا فكانت تنتقل من علاقة لأخرى وفي الفترات الفاصلة كانت تعيش لوحدها. وأطول علاقتها عاشتها دامت أربع سنوات. ثم التقيا من جديد وأعادا إحياء علاقتهما القديمة من دون علم ماريا. كانا يلتقيان سراً، ليس بشكل منتظم ولكن ليس أقل من مرة واحدة في الشهر. ولم يرغبا بتطوير علاقتهما إلا قبل فترة وجيزة من تشخيص إصابة ليونورا بالسرطان، حين بدأت كارولينا تطلب من بالدفين أن يترك ماريا كي يتمكَّنا من العيش معاً. وهو لم يكن معارضاً للفكرة، فالعيش مع حماته أثَّر سلباً على زواجه. وكان قد بدأ يوضِّح لماريا على نحو متزايد بأنه لم يتزوج أمها ولم يكن يتمنى ذلك.

عندما مرضت ليونورا، بدا الأمر كما لو أن الأرض انتُزعت من تحت قدمي ماريا. لقد حوَّل هذا الحدث حياتها كما حوَّل حياة ليونورا تماماً. لم تكن تبارح ليونورا أبداً. انتقل بالدفين إلى الغرفة الإضافية المخصصة للضيوف في حين كانت ماريا تنام بجانب أمها المحتضرة. تركت العمل كلياً، وقطعت كل صلاتها تقريباً مع الأصدقاء وانعزلت في المنزل. وذات يوم، اتصل وسيط عقاري بهما, بعد اكتشافه أن ليونورا وماريا كانتا المالكتين المشتركتين لقطعة أرض صغيرة في كوبافوغر وكان يريد شراءها منهما. كانت المنطقة واعدة ما جعل سعر الأرض هناك يرتفع بشكل هائل. ورغم أنهما كانتا تعلمان بوجود هذا العقار، إلا أنه لم يخطر في بالهما أبداً أنها يمكن أن تجلب لهما أي ثروة وبالكاد كانتا تتذكرانها عندما قدَّم الوسيط العقاري عرضه إليهما. كان المبلغ الذي أراد دفعه ضخماً جداً. لم يرَ بالدفين مثل هذه الأرقام كتابةً أبداً من قبل. أما ماريا فلم تكن تعير المسائل الدنيوية أي

اهتمام، وفي تلك الأثناء كل ما كانت تهتم به هو أمها. تركتْ بالدفين يشرف على البيع. فاتصل بمحام ساعدهما على الاتفاق على السعر وعلى طريقة الدفع، وجهَّز الوثائق وسجَّل البيع. وهكذا أصبحوا أثرياء بين ليلة وضحاها، وبصورة تفوق أشد أحلام بالدفين جموحاً.

ازداد انعزال ماريا مع تدهور صحة أمها، وخلال أيام ليونورا الأخيرة لم تفارق غرفتها أبداً. أرادت ليونورا أن تموت في منزلها، وكان الطبيب يزورها بشكل منتظم لإلقاء نظرة على مخزونها من المورفين ولكن لم يكن يُسمَح لسواه برؤيتها. كان بالدفين جالساً لوحده في المطبخ عندما غادرت ليونورا هذه الحياة. سمع عويل ماريا من غرفة النوم فعرف أن الأمر انتهى.

فقدتْ ماريا قدرتها على التواصل الاجتماعي لأسابيع. أخبرَتْ بالدفين بما جرى بينها وبين أمها قُبيل وفاتها، عندما اتفقتا على أن تعطيها أمها إشارة في حال كان هناك وجود لحياة بعد الموت.

قاطعه إرلندر، قائلاً: «إذاً لقد أخبرتك حول بروست؟»

أخذ بالدفين شهيقاً عميقاً، ثم قال: «كانت في حالة متوترة جداً، تعيش على المهدئات ومضادات الاكتئاب، ولهذا السبب نسيَتْ ذلك على الفور. لستُ فخوراً بكل الأشياء التي فعلتها -بعضها كان حقيراً تماماً، أعلم ذلك، لكن ما حصل لا يمكن الرجوع عنه».

«لقد بدأ الأمر مع بروست، أليس كذلك؟»

أجاب بالدفين مؤكداً: «بحثاً عن الزمن الضائع. عنوان مناسب. كانتا دائما تبدوان كما لو أنهما تتذكَّران زمناً ضائعاً. لم أفهم هذا الأمر أبداً».

«ماذا فعلْتَ؟»

«أخذتُ الجزء الأول من الرف ذات ليلة من الصيف الماضي وتركته على الأرض».

«هكذا بدأتَ أنت وكارولينا بوضع الأفخاخ لها؟»

قال بالدفين بهدوء: «أجل، بدأ الأمر حينئذ».

كان المنزل بارداً ومظلماً لأن بالدفين لم يفتح الستائر. ألقى إرلندر نظرة إلى غرفة الجلوس حيث انتهت حياة ماريا.

«هل كانت تلك فكرة كارولينا؟»

«بدأتْ تتساءل حول الاحتمالات التي يمكن أن يفتحها هذا الأمر. كانت تريد المضي أبعد مما كنت أريد. شعرتُ ... كنتُ مستعداً لمساعدة ماريا إذا كانت تريد استكشاف هذه المسائل: الحياة الأخروية، الحياة بعد

الموت، اكتشاف إن كان يوجد شيء ما على الجانب الآخر. كانت تتحدث حول هذا الأمر كثيراً، معي، وبالطبع، في الغالب مع ليونورا. كانت تستمد الكثير من الراحة من فكرة الحياة الأخروية. كانت تشعر بالعزاء من فكرة أن وجودنا هنا على الأرض لم يكن النهاية. كانت تفضِّل الفكرة التي تقول إنها البداية لشيء ما. قرأَتْ كتباً. أمضتْ ساعات على الإنترنت. درستْ الموضوع بشكل شامل».

«إذن، فأنت لم تكن تريد المضي إلى نهاية الطريق، حينئذ؟»

«لا، قطعاً لا. ولم أفعل».

«لكنكما استغليتما ضعف ماريا؟»

«كانت حيلة قذرة، أعرف. كنتُ أشعر بالسوء حيالها طوال الوقت».

«ولكن ليس إلى درجة إيقافها؟»

«لا أعرف بماذا كنت أفكر. كانت كارولينا تضغط علي. لقد هدَّدتني بكل أنواع التهديدات. وفي النهاية وافقْتُ على تجربة الأمر. كنت أشعر بالفضول أيضاً. ماذا لو استعادت ماريا وعيها حاملةً صوراً من الجانب الآخر؟ ماذا لو كان كل هذا الكلام حول الحياة الأخروية صحيحاً؟»

قال إرلندر: «وماذا لو لم تنجح في إعادة إنعاشها؟ ألم تكن تلك هي المسألة الرئيسية بالنسبة إليك؟ المال؟»

قال بالدفين: «وهذا أيضاً. إنه شعور غريب، امتلاك حياة شخص ما في يديك. سوف تعرف ذلك إذا كنت طبيباً. إنه شعور قوي على نحو غريب».

ذات ليلة دخل بالدفين على رؤوس أصابعه إلى غرفة الجلوس، واتجه صوب المكتبة، وأخذ كتاب بروست، طريق سوان، ووضعه بعناية على الأرض. كانت ماريا نائمة في سريرهما. لقد أعطاها جرعة أكبر بقليل من المعتاد من الأقراص المنوِّمة، إضافة إلى عقاقير أخرى لم تكن تعلم أي شيء عنها، عقاقير تُفقد التوازن وتسبِّب الهلوسة. كانت ماريا تثق فيه للإشراف على أدويتها، فقد كان زوجها، فضلاً عن كونه طبيباً.

ثم عاد إلى السرير بجانبها. اقترحتْ كارولينا أن تلعب دور الوسيطة الروحانية في مؤامرتهما. كان على بالدفين أن يشجِّع ماريا على التحدث مع وسيطة روحانية تُدعى ماغدالينا ادَّعى أنه سمع شخصاً ينصح بها. كانا يعلمان أن ماريا لن تجري أي استطلاع حول الأمر. كانت تملك ثقة عمياء في بالدفين.

كانت ضحيةً سهلة الاصطياد.

لم ينم بالدفين جيداً في تلك الليلة، واستيقظ قبلها في الصباح، وراقبها وهي نائمة. كان يعلم بأنها ستُصدَم عندما ستصحو وتذهب إلى غرفة الجلوس. كانت قد تخلَّت منذ وقت طويل عن الجلوس والتحديق في رفوف المكتبة، مع أنه لاحظ أنها كانت تنظر بشكل لا إرادي إلى الرفوف مرات كثيرة في اليوم. كانت تنتظر إشارة من ليونورا وكانت ستحصل على تلك الإشارة. ستكون مُجهَدة جداً بحيث لن تشك في بالدفين. كان يعتقد بأنها لن تتذكَّر حتى أنها أخبرَتْه حول الكتاب.

أيقظ ماريا بلطف قبل ذهابه إلى المطبخ. سمعها وهي تنهض. كان يوم السبت. ولم يمضِ وقت طويل حتى ظهرت عند باب المطبخ.

قالت: تعال إلى هنا. انظرْ ماذا وجدت!»

قال بالدفين: «ماذا؟»

قالت ماريا بصوت هامس: «لقد فَعَلَتْها! الإشارة. كانت أمي ستختار ذلك الكتاب. إنه مُلقى على الأرض. الكتاب مُلقى على الأرض! إنها ... تتصل معي!»

«ماريا ...»

«لا، حقاً».

«ماريا ... يجب عليك ألا ...»

«ماذا؟»

«هل وجدتِ الكتاب على الأرض؟»

«أجل».

«حسناً، بالتأكيد، هذا ...»

«انظرْ أين هو مفتوح». قادته إلى حيث كان الكتاب ملقى على الأرض.

قرأتْ كلمات الشعر بصوت عالٍ. كان يعلم أن الكتاب انفتح عند تلك الصفحة بالصدفة المحضة عندما وضعه على الأرض.

«صحيح إن الغابة سوداء الآن،
لكن السماء زرقاء...»

قالت ماريا: «ألا تعتقد أنها مناسبة. صحيح إن الغابة سوداء الآن، لكن السماء زرقاء ... هذه هي الرسالة».

«ماريا ...»

«لقد بعثَتْ لي رسالة كما قالت تماماً. لقد أرسلتْ رسالة».

«بالتأكيد إنه ... إنه أمر لا يُصدَّق. هذا ما كنتما تناقشانه و-»

«كما قالت بالضبط. هذا ما قالتْ إنها ستفعله بالضبط».

فاضتْ عينا ماريا بالدموع، فوضع بالدفين ذراعه حولها وقادها إلى كرسي لتجلس عليه. كانت في حالة عاطفية غامرة، تتذبذب بين الحزن والفرح، لكن شعوراً بالسلام الداخلي افتقدته منذ وقت طويل غمرها في الأيام التالية؛ شعورٌ بالتصالح لطالما رغبَتْ به.

وبعد نحو أسبوع، سألها بالدفين بشكل مفاجئ: «هل من المنطقي التحدث مع وسيط روحاني؟»

وبعد وقت قصير، استقبلتْ كارولينا ماريا في شقة صديق كان مسافراً في جزر الكناري. لم تكن ماريا تعرف أبداً أن بالدفين وكارولينا درسا التمثيل معاً، وأن علاقة رومانسية جمعت بينهما في تلك الأيام. في الحقيقة، لم تكن ماريا تعرف إلا القليل عن أصدقاء بالدفين عندما كان طالباً في كلية المسرح.

أشعلت كارولينا البخور، ووضعت موسيقا هادئة ولفَّت شالاً قديماً حول كتفيها. كانت تستمتع بالأشياء المتخيَّلة، وقد استمتعتْ عندما زيَّنت نفسها بظلِّ العينين، ورسمت بالقلم حاجبين ثخينين، ووضَّحت خطوط وجهها بإضافة لمسات من طلاء شفاه قرمزي اللون. لقد تدرَّبت على الدور أمام بالدفين، الذي زوَّدها بمعلومات متنوعة قد تكون مفيدة خلال عرض قواها الروحانية. وقائع من طفولة ماريا، ومن حياتها مع بالدفين، وعلاقتها الوثيقة بأمها، كما حدَّثها عن مارسيل بروست أيضاً.

قالت كارولينا بعد أن جلستا وأصبح بوسعها البدء بعرض قواها الروحانية: «أحس أنكِ لستِ سعيدة. أنت ... أنت تعانين. لقد خسرتِ كثيراً جداً».

فقالت ماريا: «توفيت أمي مؤخراً. كنا مقرَّبتين جداً».

«وأنت تفتقدينها».

«بشكل لا يُحتمَل».

حضَّرت كارولينا نفسها بشكل احترافي من خلال زيارة وسيط روحاني للمرة الأولى في حياتها. لم تنتبه كثيراً لما قاله الوسيط لكنها انتبهت بحرص شديد لطريقة استخدامه للغة، وطريقة تحريك يديه ورأسه وعينيه، وتنفسه. تساءلتْ إذا كان ينبغي عليها التظاهر بالدخول في غيبوبة بحضور ماريا أو

تقليد الوسيط الذي ذهبت إليه والجلوس ببساطة وتحسُّس الأشياء وطرح الأسئلة. رغم أنها لم تقابل ليونورا أبداً، إلا أن بالدفين أعطاها وصفاً جيداً لها، إضافة إلى صورة درسَتْها بالتفصيل.

قرَّرت كارولينا عدم اللجوء إلى التظاهر بالغيبوبة عندما وصلت إلى تلك المرحلة.

واكتفت بالقول: «أشعر بحضور قوي».

بينما كانت ماريا وبالدفين مستلقيين في السرير معاً في تلك الليلة، أخبرته بالتفصيل بما جرى في جلسة تحضير الأرواح.

ظل بالدفين صامتاً مدةً طويلة بعد انتهاء ماريا من إخبار قصتها، قبل أن يلتفت إليها ويقول: «هل أخبرتُك يوماً حول شخص عرفته عندما كنت أدرس الطب؟ كان اسمه تريغفي».

34

تحاشى بالدفين النظر في عيني إرلندر بينما كان المحقق جالساً قبالته في المطبخ، يستمع إلى قصته. كان ينظر إما عبر إرلندر إلى غرفة الجلوس أو إلى الطاولة أو فوق كتف إرلندر، لكنه لم يقابل عيني إرلندر أبداً. كانت عيناه تبدوان ماكرتين وتنضحان بالخزي.

قال إرلندر باشمئزاز واضح: «وفي النهاية ناشدَتْك كي تساعدها على العبور».

قال بالدفين وهو يُخفض عينيه لينظر إلى الطاولة: «لقد ... تناولت الطعم على الفور».

«واستطعتما التخلص منها دون أن يدرك أحد ذلك».

«كانت تلك هي الفكرة، أعترف بذلك، لكنني لم أستطع إكمالها. عندما وصلتُ إليها، لم تكن في ذهني».

قال إرلندر بغضب: «لم تكن في ذهنك!»

«هذا حقيقي -لم أستطع اتخاذ الخطوة الأخيرة».

«ماذا حدث؟»

«أنا ...»

«ماذا فعلْت؟»

«أرادَت المواصلة بحذر. كانت تخاف الموت».

قال إرلندر: «ألا نخافه جميعاً؟»

استلقيا في السرير حتى ساعات الصباح الأولى، يناقشان احتمالات إيقاف قلب ماريا لمدة طويلة بما يكفي لتمكينها من العبور إلى العالم التالي ولكن ليس إلى حد المجازفة بإيذائها. أخبرها بالدفين حول التجربة التي أجراها هو وأصدقاؤه في كلية الطب على تريغفي وكيف أنه مات لكنهم نجحوا في إعادته إلى الحياة من جديد، وكيف أنه لم يشعر بأي شيء ولم يخرج بأي ذكريات من موته، ولم يرَ ضوءاً ولا أشكالاً بشرية. قال بالدفين إنه يعلم كيف يُجري تجربة الاقتراب من حافة الموت دون المجازفة كثيراً. لكنها، بالطبع، لم تكن خالية من الخطر تماماً، وكان ينبغي على ماريا أن تدرك ذلك. وفي الوقت نفسه، كانت ماريا مناسبة من الناحية الجسدية ولم يكن لديها ما تخشاه حقاً.

قالت ماريا: «كيف ستعيدني إلى الحياة؟»

«في الواقع، توجد أدوية، ومن ثم هناك الإسعاف الأولي العادي في الحالات الطارئة، أي الضغطات القلبية والتنفس الاصطناعي. أو بوسعنا استخدام الصدمات الكهربائية. جهاز الصدم الكهربائي. سوف اضطر لامتلاك واحد. إذا فعلنا ذلك، سيتوجب علينا أن نحرص بشدة على ألا يكتشف الأمر. إنه غير قانوني تماماً. من الممكن أن أُشطَب من سجل الأطباء».

«هل يمكن أن تفعلها هنا؟»

«في الحقيقة، كنت أفكر في منزل العطلات. لكنه مجرد تصوُّر، على أي حال. فنحن لن نقوم بذلك حقاً».

كانا مستلقيين في الظلام ويتحدثان همساً.

وبعد لحظات من الصمت، قالت ماريا: «أود أن أجرِّبها».

«لا. إنها خطرة جداً».

«لكنك قلت للتو بأنها ليست صعبة جداً».

«أجل، ولكن أن نتحدث حول الأمر شيء، وأن نقوم به شيء آخر، أن نجرِّبه عملياً».

قالت ماريا بصوت أشد تصميماً: «أريد أن أقوم بها. لماذا في منزل العطلات؟»

«لا، ماريا، توقفي عن التفكير في الأمر. أنا ... سيكون ذلك تجاوزاً كبيراً للحدود. إنني لست واثقاً من قدرتي على القيام بذلك».

«هذا طبيعي. ثمة خطر بأنه أموت فعلاً وأتركك في وضع محرج».

قال بالدفين: «يوجد خطر حقيقي. ليست هناك حاجة للقيام بمجازفة من هذا النوع».

«هل ستفعل ذلك من أجلي على أي حال؟»

«أنا ... لا أعلم، أنا ... ينبغي علينا عدم التحدث حول هذا الأمر».

«أريد أن أفعل ذلك. أريدك أن تفعل ذلك من أجلي. أعلم أنك تستطيع القيام بها. إنني أثق بك، بالدفين. ليس هناك من أثق به أكثر منك. هل ستفعلها من أجلي؟ رجاءً؟»

«ماريا ...»

«يمكننا القيام بذلك. سيكون كل شيء على ما يرام. إنني أثق بك يا بالدفين. لنفعل ذلك».

«ولكن، ماذا لو أن شيئاً سار بشكل خاطئ».

«أنا مستعدة لأخذ هذه المجازفة».

بعد أربعة أسابيع، ذهب بالدفين وماريا إلى منزل العطلات بجانب بحيرة ثينغفالافاتن. أراد بالدفين ضمان عدم تعرُّضهما لأي إزعاج، وكذلك الاستفادة من الحوض الساخن على الشرفة. كانا سيحتاجان لكمية كبيرة من الماء البارد إذا كانا سيستخدمان طريقة تخفيض درجة حرارة جسد ماريا إلى أن يتوقف قلبها. لقد ذكر لها أساليب أخرى لكنه كان يعتبر هذه الطريقة بأنها الأفضل والأقل خطورة.

بدأ الزوج والزوجة ملء الحوض الساخن بالماء البارد وقطعٍ من الجليد جُلبت بواسطة دلاء من البحيرة. لم يستغرق ذلك وقتاً طويلاً لأن الحوض لم يكن يبعد سوى بضع خطوات فقط عن حافة الماء. كان الطقس بارداً فقال بالدفين لماريا إنه ينبغي عليها أن تلبس ثياباً خفيفة قدر الإمكان كي يعتاد جسمها على البرودة قبل أن تغمر نفسها في الحوض. وفي النهاية جرَف الثلج عن صخور الشاطئ وملأ الحوض بها. بحلول ذلك الوقت كانت ماريا قد أخذت قرصين منوِّمين خفيفين قال إنهما سيساعدانها على تخفيف تأثير البرودة.

تلتْ ماريا مزموراً وصلاةً قصيرةً قبل إنزال نفسها ببطء في الحوض. كانت البرودة أشبه بسكاكين تنغرز داخلها لكنها لم تُظهر ذلك. دخلت في الماء بشكل تدريجي، أولاً إلى الكاحلين، ثم الفخذين، والحوض والبطن. وبعد ذلك جلست بحيث بلغ الماء أعلى ثدييها ثم كتفيها ورقبتها إلى أن بقي رأسها فقط فوق الماء.

سألها بالدفين: «هل أنت بخير؟»

فأجابت وهي تشهق: «إنه ... بارد ... جداً».

لم تكن قادرة على السيطرة على ارتعاشها. قال بالدفين إنه سيتوقف بعد فترة قصيرة عندما يتخلى جسدها عن مقاومة البرد. ولن يطول الوقت قبل أن تفقد وعيها. وعندما تبدأ بالشعور بالنعاس ينبغي عليها عدم مقاومته.

قال بالدفين مبتسماً: «في الحالة الطبيعية، تقول القاعدة إنه يُفترض بك أن تقاومي النعاس. ولكن ليس في هذه الحالة. أنت تريدين أن تنامي. ما عليك إلا أن تدعي ذلك يحدث».

حاولت ماريا أن تبتسم. وبعد فترة وجيزة توقف الارتعاش وأصبح كامل جسدها أزرق من شدة البرودة.

قالت: «يجب ... أن أعرف ... بالدفين».

«أعلم».

«إنني ... أثق ... أثق بك».

وضع بالدفين السماعة فوق قلبها فوجد أن نبضه تباطأ بسرعة. أغلقت ماريا عينيها.

استمع بالدفين إلى نبض قلبها وهو يضعف أكثر فأكثر.

وأخيراً توقف قلبها عن الخفقان.

نظر بالدفين إلى ساعته. ثوان مرَّت. لقد ناقشا الانتظار من دقيقة إلى دقيقة ونصف. كان بالدفين يعتقد أن هذه المدة آمنة. حافظ بالدفين على رأس ماريا خارج الماء. مرَّت الثواني. نصف دقيقة. خمس وأربعون ثانية. كل ثانية كانت تبدو دهراً بأكمله. بدا عقرب الثواني بأنه يتحرك بصعوبة. بدأ بالدفين يشعر بالقلق. دقيقة. دقيقة وخمس عشرة ثانية.

مد يديه تحت ذراعي ماريا وبرفعة واحدة حملها خارج الحوض ثم لفَّ بطانية صوفية حول جسدها، وأدخلها إلى المنزل ووضعها على الأرض بجانب المشعّ الأكبر. لم تُظهر أي إشارة إلى الحياة. فبدأ بتطبيق التنفس الفموي وتمسيد قلبها. كان يعرف بأنه لم يكن يملك الكثير من الوقت. لعله تركها في الماء طويلاً جداً. نفخ الهواء في رئتيها وأصغى لدقات قلبها، ومسّد قلبها مجدداً.

وضع أذنه على صدرها.

وأخيراً، بدأ قلبها بالخفقان. دلَّك جسدها بالبطانية الصوفية ثم قرَّبها أكثر من المشع.

بدأ قلبها يخفق بسرعة أكبر. تنفَّس بالدفين الصعداء. لقد نجح في إنعاشها. لم يعد لون جسدها أبيض مزرَّقاً، بل استعاد القليل من حمرته الطبيعية.

أطلق بالدفين تنهيدة ارتياح وجلس على الأرض يراقب ماريا. ظل على هذا الحال مدة طويلة. كانت تبدو بأنها نائمة بهدوء.

فتحت عينيها وحدَّقت في السقف، بشيء من الحيرة. ثم التفتت ونظرت إليه طويلاً. ابتسم بالدفين، وبدأت ماريا ترتعش.

ثم قالت: «هل ... انتهى الأمر؟»

«أجل».

«أنا ... أنا ... رأيتها، رأيتها ... وهي آتية نحوي ...»

«ماريا ...»

«ما كان ينبغي عليك أن توقظني».

«مضى أكثر من دقيقتين قبل عودتك للحياة».

قالت ماريا: «كانت ... جميلة جداً. جميلة ... جداً. أردتُ أن ... أعانق ... أعانقها. ما كان ينبغي عليك أن توقظني. ما كان يجب أن ... تفعل ... ذلك».

«كنت مضطراً».

«ما كان ... يجب ... أن توقظني».

نظر بالدفين بتجهم إلى إرلندر. كان واقفاً بجانب المشع الذي استلقت ماريا بجانبه بعد عودتها للحياة من الموت في الحوض الساخن، حسب زعمه.

قال بالدفين: «لم أستطع تركها تموت. كان ذلك سيكون سهلاً. لم أكن بحاجة لإنعاشها. كان بوسعي وضعها في غرفة النوم وسيُعثَر عليها هناك في اليوم التالي. لن يلاحظ أحد أي شيء. نوبة قلبية عادية. لكنني لم أستطع فعل ذلك».

قال إرلندر مستهزئاً: «أوه، ألست رجلاً نبيلاً؟»

«كانت متأكدة من وجود شيء ما هناك على الجانب الآخر. ادَّعت بأنها رأت ليونورا. كانت ضعيفة جداً في البداية بعد استيقاظها ولهذا وضعتها في السرير. غفَتْ ونامت لساعتين بينما أفرغْتُ الحوض ونظَّفته ورتَّبت المكان».

«ولهذا أرادتْ العودة نهائياً هذه المرة؟»

قال بالدفين: «كان هذا خيارها».

«ثم ماذا؟ ماذا حدث بعد استيقاظها؟»

«تحدثنا. كانت تذكر بوضوح ما حدث عند عبورها، كما وصفَتْ الأمر. معظمه كان يشبه ما يصفه الناس: نفق طويل، ضوء، أصدقاء وأقرباء ينتظرون. كانت تحسّ بأنها وجدت السلام أخيراً».

«قال تريغفي إنه لم يرَ شيئاً. مجرد ظلمة».

قال بالدفين: «أتوقَّع أنك تحتاج لأن تكون قادراً على رؤيته. لا أدري. تلك كانت تجربة ماريا. كانت في حالة ذهنية رائعة عندما غادرتُ لأعود إلى المدينة».

«جئتما بسيارتين منفصلتين؟»

«كانت ماريا ستبقى هنا لفترة أطول بقليل كي تتعافى. أمضيتُ الليلة هنا معها، ثم عدتُ إلى المدينة في اليوم التالي عند وقت الغداء. اتصلَتْ معي في المساء، كما تعلم. في ذلك الحين، كانت قد استعادت عافيتها تماماً

وبدت مسرورة جداً على الهاتف. كانت تنوي العودة إلى المنزل قبل منتصف الليل. كان ذلك آخر اتصال أتلقاه منها. لم يكن باستطاعتك معرفة أنها كانت تخطط للقيام بشيء غبي. لم أظن مطلقاً بأنها يمكن أن تقتل نفسها. حتى أنه لم يخطر في ذهني أبداً».

قال إرلندر: «هل تعتقد أن تجربتك الصغيرة كانت المحفِّز؟»

«لا أدري. في الفترة التي تلت وفاة ليونورا مباشرةً، أحسستُ بأن ماريا يمكن أن تُقْدم على شيء كهذا».

«ألا تشعر بالحد الأدنى من المسؤولية فيما حدث؟»

«بالتأكيد ... بالتأكيد أشعر بذلك. أشعر بأنني مسؤول لكنني لم أقتلها. لم يكن بوسعي أبداً فعل ذلك. أنا طبيب. إنني لا أقتل الناس».

«ليس هناك أي شهود على ما حدث عندما كنتما أنت وماريا هنا؟»

«لا، كنا لوحدنا».

«ربما ستُمنَع من مزاولة المهنة».

«أجل، ربما».

«لكن ذلك لن يزعجك الآن بعد أن ورثت أموال ماريا؟»

«فكِّر بما تشاء بشأني. لا أبالي».

«وكارولينا؟»

«ماذا عنها؟»

«هل أخبرتها بأنك غيَّرت رأيك؟»

«لا، لم أتحدث معها ... لم أكن قد تحدثتُ معها بعد عندما أُبلغتُ بأن ماريا ماتت».

بدأ هاتف إرلندر الخلوي يرن فأخرجه من جيب معطفه.

قال صوت من الطرف الآخر من الخط: «ألو، أنا ثوربيرغور».

«من؟»

«ثوربيغور، الغطاس. لقد قمت ببضع رحلات إلى البحيرات الواقعة شرق ريكيافيك. أنا هناك الآن».

«أوه، أجل، ثوربيرغور. أنا آسف، كنت مشوشاً. هل هناك أي أخبار؟»

«أعتقد أنني وجدت شيئاً سيثير اهتمامك. لقد طلبتُ رافعة صغيرة وأبلغتُ الشرطة، بالطبع. لكنني لم أجرؤ على فعل أي شيء أكثر من ذلك دون وجودك هنا».

«ماذا وجدت؟»

«سيارة. أوستن ميني. في وسط البحيرة. لم أجد شيئاً في ساندكلوفتافاتن،

لذا فكَّرتُ في التحقق من البحيرات المجاورة. هل كان الطقس شديد البرودة عندما فُقدا؟»

«أجل، هذا ليس مستبعداً».

«لابد أنهما قادا سيارتهما فوق البحيرة. سأريك عندما تصل إلى هنا. إنني عند بحيرة أوكسافاتن».

«هل يوجد أحد في السيارة؟»

«هناك جثتان. رجل وامرأة حسب قدرتي على التمييز. لا يمكن التعرُّف عليهما بالطبع، ولكن يبدو أنهما الشخصان اللذان تبحث عنهما».

سكت ثوربيغور لوهلة، ثم قال مجدداً: «يبدو أنهما الشخصان اللذان تبحث عنهما، يا إرلندر».

35

في طريقه إلى بحيرة أوكسافاتن، اتصل إرلندر بدار رعاية المسنّين حيث كان الرجل العجوز راقداً عند باب الموت. لم يصلوه به وإنما بالطبيب المناوب الذي قال إن المريض قد لا يبقى على قيد الحياة إلا بضع ساعات، أو ربما دقائق. رغم أنه لم يكن بالإمكان تحديد المدة بالضبط، إلا أن عمره كان ينفذ بسرعة.

كان الليل يوشك أن يهبط عندما كان إرلندر يقود سيارته الفورد عبر سهل هوفمانافلوت، قبل أن يتجاوز جبل ميارساتي، ويمر بمحاذاة شاطئ بحيرة ساندكلوفتافاتن ثم ينعطف شمالاً باتجاه وادي لونداريكيادالور. شاهد رافعة صغيرة تتخذ موقعاً لها عند النهاية الشمالية من بحيرة أوكسافاتن. كانت سيارة ثوربيرغور، وهي من طراز جيب، متوقفة على مقربة من الرافعة. ركن إرلندر سيارته على الطريق ومشى باتجاه الغطاس الذي كان يقوم بارتداء خزاني الأوكسجين الخاصين به. كان يستعد للغطس مع خطّاف الرافعة.

بعد تبادل التحية، قال ثوربيغور: «كنتُ محظوظاً. في الحقيقة، لقد اصطدمت بالسيارة بقدمي».

«هل تظن أنهما الشخصان المقصودان؟»

«إنها السيارة نفسها على أي حال. ويوجد شخصان في الداخل. حاولتُ تسليط الضوء عليهما. ليس منظراً جميلاً، كما يمكنك أن تتخيَّل».

«لا، بالتأكيد. شكراً على قيامك بذلك من أجلي».

أخذ ثوربيغور خطافاً كبيراً من سائق الرافعة ومشى به إلى أن غطَّى الماء خصره، ثم غمر نفسه.

وقف إرلندر وسائق الرافعة على الشاطئ بانتظار ظهور ثوربيرغور من جديد. لم يكن سائق الرافعة -وكان رجلاً طويلاً ونحيلاً- يعرف إلا أن هناك سيارة في البحيرة، وربما تحوي جثتين. حاول استخلاص مزيد من المعلومات من إرلندر، الذي اكتفى بإعطائه جواباً غير واضح: «إنها قضية قديمة. قضية مأساوية قديمة نسيناها منذ زمن طويل، كما يحدث عادة».

ثم وقف بصمت وهو يحدِّق في البحيرة منتظراً ظهور ثوربيرغور فوق سطح الماء من جديد.

لم يودّع إرلندر بالدفين عند غادر منزل العطلات. كان يريد إخباره

كم كان يشعر بالاشمئزاز لما فعله هو وكارولينا بماريا، لكنه كان يعلم بأن لا فائدة من ذلك، فالأشخاص القادرون على القيام بمثل ذلك الفعل لن يُزعجهم التوبيخ. لم يسأل بالدفين إرلندر عما سيحدث بشأن التحقيق. وإرلندر نفسه كان محتاراً، إذ لم يكن يعرف ماذا يصدِّق. كان باستطاعة بالدفين إنكار كل شيء في المحكمة، فهو لم يخبر أحداً سوى إرلندر بما حدث فعلاً وإرلندر سيجد صعوبة في إثباب أي منه. على الأرجح كان بالدفين سيُشطَب من سجل الأطباء إن اعترف بإيقاف قلب ماريا وإنعاشها من جديد، ولكن كان من المستحيل معرفة إن كان سينال أي نوع من العقاب. كان عبء الإثبات يقع على جانب الادعاء وتحقيق إرلندر لم يخرج بأي أدلة صلبة. إذا اختار بالدفين تغيير إفادته عند تهديده باتخاذ إجراءات قانونية، فبوسعه ببساطة إنكار أنه غذَّى أمنية الموت عند ماريا وأوقف قلبها مؤقتاً، فضلاً عن قتلها. كان إرلندر يملك أدلة معينة حول سلسلة الأحداث المدبَّرة التي دفعت ماريا إلى الانتحار لكن الأدلة كانت ضعيفة إلى حد بعيد. لم يكن ممكناً محاكمة الناس على ممارسة الخدع، مهما كانت تلك الخدع غير أخلاقية.

رأى إرلندر رأس ثوربيرغور يظهر فوق سطح الماء، فصعد سائق الرافعة إلى رافعته. أعطاه ثوربيرغور إشارة كي يبدأ بلف الكابل. في تلك الأثناء، ظهرت سيارتا شرطة مسرعتين بأضوائهما الوامضة على الطريق. اشتغل محرك الرافعة وبدأ بلفِّ السلك الفولاذي الثخين، رويداً رويداً.

صعد ثوربيرغور إلى الشاطئ وخلع عدة غطسه، ثم مشى باتجاه سيارة الفورد حيث كان إرلندر واقفاً بجانب باب الراكب المفتوح، يستمع إلى أخبار المساء.

قال ثوربيرغور: «لابد أنك مسرور».

«لست واثقاً».

«هل ستخبر العائلتين بنفسك؟»

قال إرلندر: «قد يكون الوقت قد فات بالنسبة لإحدى القضيتين. توفيت والدة الصبي منذ بعض الوقت وأبوه راقد على فراش الموت الآن. يقولون إنه قد يرحل في أي لحظة».

قال ثوربيرغور: «سيتوجّب عليك الإسراع إذن».

سأله إرلندر: «هل هي صفراء؟»

«السيارة؟ أجل، إنها صفراء».

زمجرت الرافعة. توقفت سيارتا الشرطة ثم ترجَّل منهما أربعة رجال

ومشوا نحوهما.

قال ثوربيرغور: «هل ستتخلَّص من هذه؟» وأشار بيده إلى جهاز الصدم الكهربائي الذي وضعه إرلندر على مقعد الراكب في سيارته، الجهاز الذي أخذه من منزل عطلات ماريا وبالدفين.

قال إرلندرك «لا، إنه يتعلق بقضية أخرى».

«يوجد الكثير من العمل دائماً».

«أجل لسوء الحظ».

«مضى زمن طويل منذ أن رأيت قطعة من الخردة كهذه. هل يمكن أن يستفيد أي إنسان من صادم كهربائي معطل؟»

أجابه إرلندر بشرود: «أجل».

تموَّج الماء بفعل صعود الكابل الفولاذي وبعد عدة لحظات ظهرت السيارة.

قال إرلندر وهو يرمق ثوربيرغور بنظرة متحيِّرة: «انتظرْ، ماذا تعني بمعطَّل؟»

«ماذا؟»

«قلتَ إن الجهاز معطَّل».

«ألا يمكنك ملاحظة ذلك؟»

«لا. لا أعرف أي شيء عن هذه الأشياء».

«إنه عديم النفع تماماً. انظرْ، هذا القابس خَرِب. والسلك هنا، الوصلة إلى القطب الكهربائي معطَّلة. لا أحد يمكنه أن يستخدم هذا».

«ولكن ...»

«ماذا؟»

«هل أنت متأكد؟»

«لقد عملتُ في فرقة الإطفاء لسنوات. هذه مجرد قطعة من الخردة».

«قال إنه ...»، حدَّق إرلندر في ثوربيرغور، ثم أضاف بنبرة مستغربة: «إنه معطَّل؟»

أصدر محرك الرافعة صريراً قوياً مع خروج مؤخرة الأوستن ميني من الماء على مهل إلى أن بلغت الشاطئ. أوقف سائق الرافعة المحرك، واقترب رجال الشرطة من السيارة. كان الماء المختلط بالتراب والطين يتدفق من داخل وخارج السيارة. رأى إرلندر هيئتيْ جثتين بشريتين على المقعدين الأماميين. رغم أن السيارة كانت مغطاة بالوحل والأعشاب المائية، إلا أن الطلاء الأصفر كان ما يزال ظاهراً في أمكنة متفرقة على الجوانب. كان

زجاج النوافذ سليماً لكن الصندوق الخلفي كان مفتوحاً.

حاول إرلندر فتح باب الراكب لكنه كان عالقاً بثبات، فذهب إلى باب السائق فوجده مفتوحاً قليلاً وكان فيه طعجة. نظر إلى الداخل فرأى هيكلين عظميين. كانت غودرون، أو دونا، جالسةً خلف المقود. ميَّزها من شعرها. وافترض أن ديفيد يجلس بجانبها.

سأل إرلندر ثوربيرغور: «لماذا الباب مطعوج؟»

«هل تعرف كيف كانت حالة السيارة؟»

«لم تكن جيدة حتماً».

قال ثوربيرغور: «لم يكن لديهما الكثير من الوقت. لابد أنها حاولت فتح الباب من جانبها لكنها لم تفلح إلا في فتح شق صغير. كانت هناك صخرة مستندة على جانب السيارة. يبدو أن الراكب لم يكن قادراً على فتح بابه. لربما كان معطَّلاً. وربما لم تكن مقابض إنزال النوافذ تعمل أيضاً، أو أنهما حاولا فتح النوافذ، فهذا هو الإجراء الأول في مثل هذه الظروف. لعل السيارة كانت في حالة مريعة نوعاً ما».

«إذن كانا عالقيْن داخلها؟»

«أجل».

«بينما كانت حياتهما تنسحب منهما».

«آمل أن الصراع لم يدم طويلاً».

قال إرلندر وهو ينظر إلى البحيرة: «كيف وصلا إلى تلك المسافة في البحيرة؟»

«التفسير الوحيد هو أنها كانت مغطاة بالجليد. وأنها قادت السيارة فوق الجليد. في لحظة جنون ربما. لابد أنها كانت تعتقد بأنها تعرف ما كانت تفعله. ثم تصدَّع الجليد. وكان الماء بارداً. وعميقاً بما يكفي».

قال إرلندر: «وهكذا اختفيا».

«لا توجد حركة مرور كثيفة هنا بالقرب من البحيرة في هذا الوقت من السنة في هذه الأيام، فما بالك منذ ثلاثين عاماً. لم يكن هناك أي شهود. فجوة في الجليد كتلك سرعان ما ستُغلَق ثانيةً دون أي يلاحظ أحد بأنها كانت موجودة. مع أن الطريق كان سالكاً حتماً، بما أنهما تمكَّنا من قيادة السيارة كل تلك المسافة».

سأله إرلندر وهو يشير إلى كتلة بين المقعدين: «ما هذا؟»

قال ثوربيرغر: «هل مسموح النظر إليه. ألا يحتاج خبراء الأدلة الجنائية لفحصه؟»

لكن إرلندر لم يكن يصغي. مدَّ يده من فوق مقعد السائق وأمسك بالشيء الذي لفت انتباهه وأخرجه بحرص من السيارة، لكنه مع ذلك انقسم نصفين. وأراه لثوربيرغور.

فسأله الغطاس: «ماذا لديك هناك؟»

قال إرلندر وهو يتفحّص النصفين: «أعتقد أنه ... أعتقد أنه كتاب».

«كتاب؟»

«أجل. ربما حول البحيرات في المنطقة. لابد أن الشاب اشتراه من أجلها».

وضع إرلندر الكتاب في يدي ثوربيرغور، ثم قال وهو ينظر إلى ساعته: «يجب أن أذهب إلى أبيه قبل أن يفوت الأوان. أعتقد أننا وجدناهما. لا أظن أن هناك أي شك. يجب أن يسمع بما حدث. كان ابنه مغرماً، هذا كل ما في الأمر. لم يكن يريد تركهم مع شكوكهم. كان حادثاً».

مشى إرلندر بسرعة نحو سيارته. كان مستعجلاً لأنه كان مضطراً للقيام بزيارة أخرى -بحثاً عن الحقيقة- قبل التوجُّه إلى دار رعاية المسنين.

كانت طفلة صغيرة، تجلس لوحدها على شاطئ البحيرة، تصغي إلى الهمس الآتي من الماء. كانت شابة، تنظر إلى البحيرة، وترى جمالها والضوء المنبعث منها. كانت امرأةً كبيرة في السن، راكعةً بجانب الطفلة، ومن ثم طفلة صغيرة من جديد، تصغي إلى الهمس وتسمع نبرة الغفران في الكلمة التي كان الماءُ يهمس بها، والكلمة هي: طفلتي.

استغرقَتْ وقتاً طويلاً لاستعادة وعيها. كانت خائرة القوى لدرجة أنها بالكاد كانت قادرة على فتح عينيها.

قالت بصوت هامس: «بالدفين. كان حادثاً, ما حدث عندما توفي أبي ... كان حادثاً».

لم تستطع رؤية بالدفين لكنها أحسَّت بوجوده.

لم تعد تشعر بالبرودة وبدا لها كما لو أن عبئاً ثقيلاً رُفع عنها. كانت تعرف ما كان يتوجَّب عليها فعله. كانت ستخبر الحقيقة. كل شيء. كل ما حصل عند البحيرة. كانت ستخبر أي شخص يود أن يسمع حقيقة ما حصل.

كانت توشك على أن تدعوا بالدفين عندما اكتشفتْ أنها لم تعد

قادرة على التنفس. شيء ما كان يُطبق على حنجرتها.

فتحَتْ عينيها وبحثتْ عن بالدفين لكنها لم تستطع إيجاده.

أمسكت رقبتها بوهن.

وهمستْ: «هذا ليس صواباً. هذا ليس صواباً ...»

36

دخل إرلندر بسيارته إلى الشارع المسدود المؤدي إلى منزل بالدفين في غرافارفوغر، وركن السيارة بجانب الشارع الفرعي الموصل إلى المرآب، ثم ترجَّل من السيارة بعجلة. لم يكن متأكداً إنْ كان يفعل الصواب أم لا، فرغم أنه كان يفضِّل التوجُّه إلى الرجل العجوز مباشرةً، إلا أن أسئلةً حول جهاز الصدم الكهربائي كانت تضجُّ في رأسه ولم يكن باستطاعة أحد الإجابة عليها سوى بالدفين.

ضغط على جرس الباب وانتظر. وبينما كان يضغط على الجرس ثانيةً، لاحظ سيارة كارولينا متوقفة على الطريق ليس بعيداً عن المنزل. وعندما رن الجرس للمرة الثالثة سمع صوتاً من الداخل قبل أن يُفتَح الباب ويظهر بالدفين، ثم يقول: «أنت مجدداً؟»

قال إرلندر: «هل يمكنني الدخول؟»

فسأله بالدفين: «ألم نناقش الأمر؟»

«هل كارولينا معك؟»

نظر بالدفين إلى سيارتها ثم أومأ برأسه دلالة على الإيجاب وأفسح المجال كي يدخل إرلندر. وبعد إغلاقه الباب، دعا إرلندر إلى غرفة الجلوس. ظهرت كارولينا من غرفة النوم، ترتِّب شعرها.

قال بالدفين: «وجدنا أن ليست هناك فائدة من التخفي أكثر من ذلك. لقد أخبرتُك بما حصل. ستنتقل كارولينا لتعيش معي في الأسبوع المقبل».

قالت كارولينا: «لستَ بحاجة لإخباره بشيء. هذالا يخصه».

قال إرلندر مبتسماً: «صحيح تماماً». رغم أن كان يريد الذهاب إلى المستشفى بسرعة إلا أنه جهد كي يبدو مسترخياً. «ولكن قد يفكر المرء بأن من الأفضل لكما أن تحرصا على عدم لفت الأنظار كثيراً».

قالت كارولينا: «ليس لدينا ما نخفيه».

سألها إرلندر: «هل أنتِ متأكدة؟»

قال بالدفين: «ماذا تعني؟ لقد أخبرتك بكل شيء. تركتُ ماريا حية في منزل العطلات».

«أعرف ما أخبرتني به».

«ماذا تفعل هنا إذن؟»

«لقد كذبتَ بشأن القصة بأكملها. وكنتُ أتساءل إن كان بوسعي

إقناعكما على إخباري الحقيقة هذه المرة. سيشكِّل ذلك تغييراً مثيراً».

قال بالدفين: «لم أكذب بخصوص أي شيء».

سألته كارولينا: «لماذا تظن أنه يكذب؟ أننا نكذب؟»

«لأن كليكما كذابان. لقد كذبتما على ماريا. تآمرتما من وراء ظهرها. رتَّبتما مسرحية كاملة من أجلها. رغم أن بالدفين يدَّعي أنه تراجع في اللحظة الأخيرة، إلا أنها ما تزال جريمة. لقد كذبتما كلاكما علي منذ البداية».

قال بالدفين: «هذا هراء».

سألته كارولينا: «كيف تنوي إثبات ذلك؟»

ابتسم إرلندر ونظر إلى ساعته، ثم قال: «لا أستطيع».

قالت كارولينا: «ماذا تريد إذن؟»

«أريد أن أسمع الحقيقة».

قال بالدفين: «لقد أخبرتك الحقيقة. لستُ فخوراً بما فعلت لكنني لم أقتل ماريا. لم أفعل ذلك. لقد انتحرَتْ وأنا غادرتُ إلى المدينة».

حدَّق إرلندر في بالدفين مطوَّلاً دون أن ينطق كلمة واحدة، فحوَّل بالدفين نظره إلى كارولينا.

وأخيراً قال إرلندر: «أعتقد أنك فعلتها. لقد فعلتَ أكثر من مجرد دفعها إلى الانتحار. أنتَ قتلتَها. أنت وضعتَ الأنشوطة حول رقبتها. أنت شنقتها من العارضة».

كانت كارولينا قد جلست على الأريكة، أما بالدفين فكان واقفاً في مدخل باب المطبخ.

قال بالدفين: «لماذا تقول هذا؟»

«أنتما الاثنان نسجتما شبكة من الأكاذيب لماريا ومازلتما تكذبان. لا أصدِّق كلمة واحدة مما تقولان».

ردَّت كارولينا بحدة، قائلةً: «هذه مشكلتك».

فأيَّدها إرلندر، بقوله: «أجل، إنها مشكلتي».

قالت: «أنت لا تعلم ...»

قال إرلندر لبالدفين: «كيف تنام في الليل؟»

لم يجب بالدفين.

«بماذا تحلم يا بالدفين؟»

قالت كارولينا: «دعه وشأنه. إنه لم يفعل شيئاً».

قال إرلندر مثبِّتاً عينيه على كارولينا: «أخبَرني أنك ضغطتِ عليه كي

يفعل فعلته. بأن الذنب ذنبك. أحسستُ بأنه كان يضع المسؤولية عليك».

فقال بالدفين: «إنه يكذب».

تابع إرلندر، قائلاً: «قال إنكِ كنتِ القوة الدافعة من وراء ذلك».

فقال بالدفين: «لا تصغِ إليه».

قالت كارولينا وهي تنظر إلى بالدفين: «اهدأ. أعرف ما يحاول فعله».

سألها إرلندر: «هل كان بالدفين هو المحرِّك الرئيسي، إذن؟»

فقالت كارولينا: «لن تنجح. باستطاعة بالدفين قول ما يشاء».

قال إرلندر: «أجل، بالطبع. لا أعرف إن كنت سأهتم بأي شيء مما يقوله. حول نفسه. حولك. حول ماريا».

قالت كارولينا: «ما تعتقده هو مشكلتك».

«أنتما ممثلان. كلاكما. لعبتما دوريكما على ماريا. كتبتما سيناريو. اخترتما المكان. اخترتما الخلفية. وهي لم تشتبه بأي شيء. مالم تكتشف أمر جهاز الصدم الكهربائي».

قالت كارولينا: «جهاز الصدم الكهربائي؟»

قال إرلندر: «بالطبع، كان موجوداً هناك لملء الخلفية. كان -ماذا تسمُّونه؟- غرضاً من كماليات العرض. لم يكن يُقصَد منه أن يعمل. لم يكن يُقصَد استخدامه كإجراء أمان وقائي. لم يكن القصد من الجهاز إنقاذ حياة ماريا أبداً. كان مجرد غرض للعرض فقط في الموقع الذي صمَّمتماه ولجمهور مكوَّن من شخص واحد، لماريا».

تسمَّرت نظرتا كارولينا وبالدفين لوهلة، ثم أطرق بالدفين رأسه ونظر إلى الأرض.

قال إرلندر موجِّهاً كلامه لكارولينا: «كان الجهاز معطلاً. لهذا السبب اضطُرّ لجلبه من منزل العطلات. لقد استخدمه كي يخدع ماريا. كان يُفترَض به إظهار أنه كان صادقاً، أنه سيفعل كل ما بوسعه لضمان سلامتها».

قال بالدفين: «ماذا تظن أنك تعلم؟»

«إنني واثق بأنني أعلم. أنت قتلتها. كنت بحاجة لمال كانت هي الوحيدة التي تستطيع استخدامه، مالم تمت قبلك. وكنتَ مرتبطاً بعلاقة غير شرعية مع كارولينا ولم تكن تريد أن تعلم ماريا بشأنها. لم تكن قادراً على تطليقها بسبب المال. لكنك كنت تريد كارولينا. وأنا أتخيَّل أن الحياة مع ماريا كانت حتماً متعبة على المدى الطويل. كانت أمها موجودة دائماً وحتى بعد رحيلها بدا الأمر كما لو أنها كانت ما تزال موجودة في المنزل. لم تكن ماريا تفكر بأي شيء آخر. أعتقد أنك فقدت الاهتمام بها قبل

ذلك بمدة طويلة وأنها كانت مجرد عقبة في الطريق. في طريقك، في طريق كليكما».

سألته كارولينا: «هل يمكنك إثبات هذا الكلام السخيف؟»

«هل كنتِ هنا في ذلك المساء عندما جئنا لإبلاغ بالدفين بموت ماريا؟»

ترددت كارولينا لوهلة ثم أومأت برأسها دلالةً على الموافقة.

«ظننتُ بأنني رأيت حركة عند نافذة غرفة الجلوس بينما كنت أقود سيارتي مبتعداً عن المنزل».

قال بالدفين وهو يلتفت إلى كارولينا: «ما كان ينبغي عليك أن تأتي إلى هنا».

قال إرلندر: «ماذا حدث في منزل العطلات؟»

فأجابه بالدفين: ما أخبرتك به. لا شيء غيره».

«وجهاز الصدم الكهربائي؟»

«أردتُ طَمْأَنتها».

«أتوقع أن معظم ما أخبرتني به حول التسبُّب بموتها صحيح. وأتوقع أنها سمحت لك بقتلها طواعيةً. لكنها كانت تريد أن تعيش أيضاً. أعتقد أن كل ما أخبرتني به حول ما حدث بعد غيابها عن الوعي في الحوض كذب».

ظل بالدفين صامتاً.

فقال إرلندر: «حدث شيء ما على نحو غير متوقع فشعرتَ بأنك مضطر لتدبير عملية انتحار. كان الوضع سيكون أكثر أناقةً لو أنها ماتت كما كنت تريد وكما دبَّرتَ له بدقة شديدة؛ لو أنها ماتت في الحوض الساخن. لكنها لم تمت، صحيح؟»

واصل بالدفين التحديق فيه بصمت.

فتابع إرلندر كلامه: «حدث خطأ ما. استعادت وعيها. لعلك أخرجتها من الحوض وكنت تستعد لوضعها في السرير. لقد أحدثْتَ سكتة قلبية. ما كان أحد ليلاحظ أي شيء. كان تشريح الجثة سيظهر نوبة قلبية من أسباب طبيعية. إنك طبيب. كنت تعرف ذلك. كنت ستفلت بفعلتك. لقد تناولَتْ ماريا الطعم. كل ما كنتَ بحاجة إليه هو خيانتها. خيانة ثقتها. خيانة ثقة امرأة بريئة كانت تترنح منذ وقت طويل على حافة اليأس. ليس فعلاً نبيلاً تماماً، لكنك لست بطلاً أيضاً، أليس كذلك؟»

أنزلت كارولينا نظرها نحو الأرض.

قال إرلندر: «لعلك وضعتها في السرير. كنت ستتحقق من نبضها مرة أخيرة قبل العودة بسرعة إلى المدينة. اتصلتَ بالمنزل فردَّت كارولينا على اتصالك. كنت تريد أن يبدو الأمر وكأن ماريا هي التي اتصلت بك. ألقيتَ نظرة عليها لآخر مرة وصُعقت عندما وجدتَ أنها كانت ما تزال حية. لم تكن ميتة. كان نبضها ضعيفاً ولكن كان موجوداً. بدأَتْ تتنفس. كان هناك خطر بأنتصحو».

أصغَتْ كارولينا لإرلندر بصمت متحاشية النظر إليه.

«لعلها استيقظت بالفعل. لعلها فتحت عينيها كما وصفتَ وعبرتْ إلى عالم آخر. لعلها رأت شيئاً ما بالفعل، ولكن على الأرجح أنها لم ترَ شيئاً. لربما أخبرتْك حقاً شيئاً ما حول تجربتها لكنها لم تملك الوقت الكافي. وفي كل الأحوال، كانتمنهكة».

ظل بالدفين صامتاً.

«من المحتمل أنها أدركت ما كنت تقوم به. لعلها كانت أضعف من أن تقاوم. لم نجد أي إشارة إلى حدوث صراع. نحن نعلم أن ماريا اختنقت عندما اشتدت الأنشوطة حول عنقها».

وقفت كارولينا واتجهت نحو بالدفين.

قال إرلندر: «بشكل تدريجي انحسرت حياتها وماتت ماريا».

وضعتْ كارولينا ذراعيها حول بالدفين وحدَّقت في إرلندر.

فسأله إرلندر: «ألم يكن ما حدث شيئاً يشبه هذا؟ ألم تمت ماريا بهذه الطريقة في النهاية؟»

قال بالدفين: «هذا ما كانت تريده هي نفسها».

«بعضاً منه، ربما. ليس كله».

«لقد توسلَتْ إلي كي أفعل ذلك».

«وأنت عملتَ لها معروفاً».

رمق بالدفين إرلندر بنظرة خالية من التعبير وقال: «أعتقد بأنك يجب أن تخرج».

سأله إرلندر: «هل أخبرتْكَ بشيء ما؟ حول ليونورا؟»

هز بالدفين رأسه نافياً.

«حول أبيها؟ لابد أنها قالت شيئاً حول أبيها».

قال بالدفين: «ينبغي عليك أن تذهب. أنت موهوم. يجب أن أقاضيك للإزعاج».

سأله إرلندر مجدداً: «هل قالت شيئاً حول أبيها؟»

فلم يُجب بالدفين.

حدَّق إرلندر فيهما مطوَّلاً قبل أن يسير نحو مدخل المنزل.

فسألته كارولينا: «ماذا الآن؟ ماذا ستفعل بخصوص ذلك؟»

فتح إرلندر الباب الأمامي ثم التفت وقال: «يبدو أنكمافعلتماها».

قالت كارولينا: «فعلنا ماذا؟»

«ما نويتما فعله. أنتما تستحقان بعضكما».

سألته كارولينا: «ألن تتخذ أي إجراء؟»

قال إرلند وهو يستعد لإغلاق الباب خلفه: «لا يمكنني فعل الكثير. سأبلغ رؤسائي بالقضية ولكن-»

قال بالدفين: «انتظرْ».

التفت إرلندر ثانيةً.

قال بالدفين: «لقد ذكرَتْ أبيها بالفعل».

«اعتقدتُ ذلك. بأنها فعلت ذلك ربما عند النهاية».

أومأ بالدفين برأسه دلالةً على الموافقة، ثم قال: «اعتقدتُ بأنها كانت تريد إجراء اتصال مع أمها».

قال إرلندر: «ولكن كان هذا خطأ، أليس ذلك؟»

قال بالدفين: «بلى».

قال إرلندر: «كانت تحن إلى أبيها، صحيح؟»

«لم أفهم تماماً ما قالته. كانت تريد منه أن يغفر لها. ماذا كان يُفترَض به أن يغفر لها؟»

قال إرلندر: «لن تفهم أبداً».

«ماذا؟» حدَّق بالدفين في إرلندر، وأضاف: «هل كانت ... هل كانت ... ماريا؟ كانت معهما في القارب عندما توفي ماغنوس. هل كانت تلوم نفسها على ما حصل له؟»

هز إرلندر رأسه نافياً وقال: «لم تكن ستجد ضحية أكثر عجزاً منها». ثم أغلق الباب خلفه.

دخل إرلندر مسرعاً إلى دار المسنّين وصعد إلى جناح الرجل العجوز، ولما لم يجده في الغرفة، أُبلغ بأنه نُقل إلى غرفة أخرى. أسرع إرلندر إلى هناك وأُدخل كي يرى العجوز المستلقي تحت لحاف سميك لم يكن ظاهراً منه إلا رأسه ووجهه النحيل ويديه العظميتين المستلقيتين على الغطاء.

قالت الممرضة التي رافقت إرلندر إلى الغرفة: لقد مات منذ مدة

قصيرة. كانت ميتة هادئة. لم يسبِّب أي مشكلة».

جلس إرلندر بجانب السرير وأمسك بيد الرجل العجوز.

ثم قال بهدوء: «كان ديفيد مغرماً. كان ...»

مسح إرلندر بيده على جبين العجوز. تخيَّل غودرون وديفيد عندما أصبح واضحاً أخيراً بأنهما لن يتمكَّنا من النجاة من السيارة، فأمسك كل منهما بيد الآخر، واستسلما لمصيرهما، بينما كانت حياتاها تنسحب منهما ويتوقف قلباهما عن الخفقان في المياه الباردة.

«أتمنى لو أنني استطعتُ المجيء في وقت أبكر بقليل».

انسحبت الممرضة بهدوء إلى خارج الغرفة لتتركهما لوحدهما.

قال إرلندر بعد صمت طويل: «لقد قابل فتاة. لم يمت وحيداً. كان حادثاً. لم يُقدم على الانتحار. كان واقعاً في حب فتاة التقى بها وكانا يمرحان -كانا سعيدين، كنتَ ستتفَّهم ذلك. لقد ماتا معاً. كان مع فتاته وربما كان سيخبرك عنها عند عودته إلى المنزل، بأنها كانت في الجامعة وأنها كانت مرحة جداً ومهووسة بالبحيرات. بأنها كانت فتاته. فتاته، إلى الأبد».

37

وقف إرلندر بجانب المزرعة المهجورة، التي كانت ذات يوم موطنه، محدِّقاً في جبل هاردسكافي. كان من الصعب رؤية الجبل بسبب الضباب الجليدي الذي كان يهبط بهدوء فوق فيورد. لقد جهَّز نفسه جيداً، بجزمته القديمة الخاصة بالمشي، وسرواله السميك المضاد للماء، ومعطفه الدافئ الطويل. وبعد فترة طويلة من التأمُّل الصامت في الجبل، بدأ إرلندر السير حاملاً عصا مشي بيده وصرَّة صغيرة على ظهره. حقق تقدُّماً سريعاً في صمت الطبيعة التي كانت قد غطَّت حينئذ في سباتها الشتوي. ولم يمضِ وقت طويل حتى اختفى في الضباب البارد.

انتهى